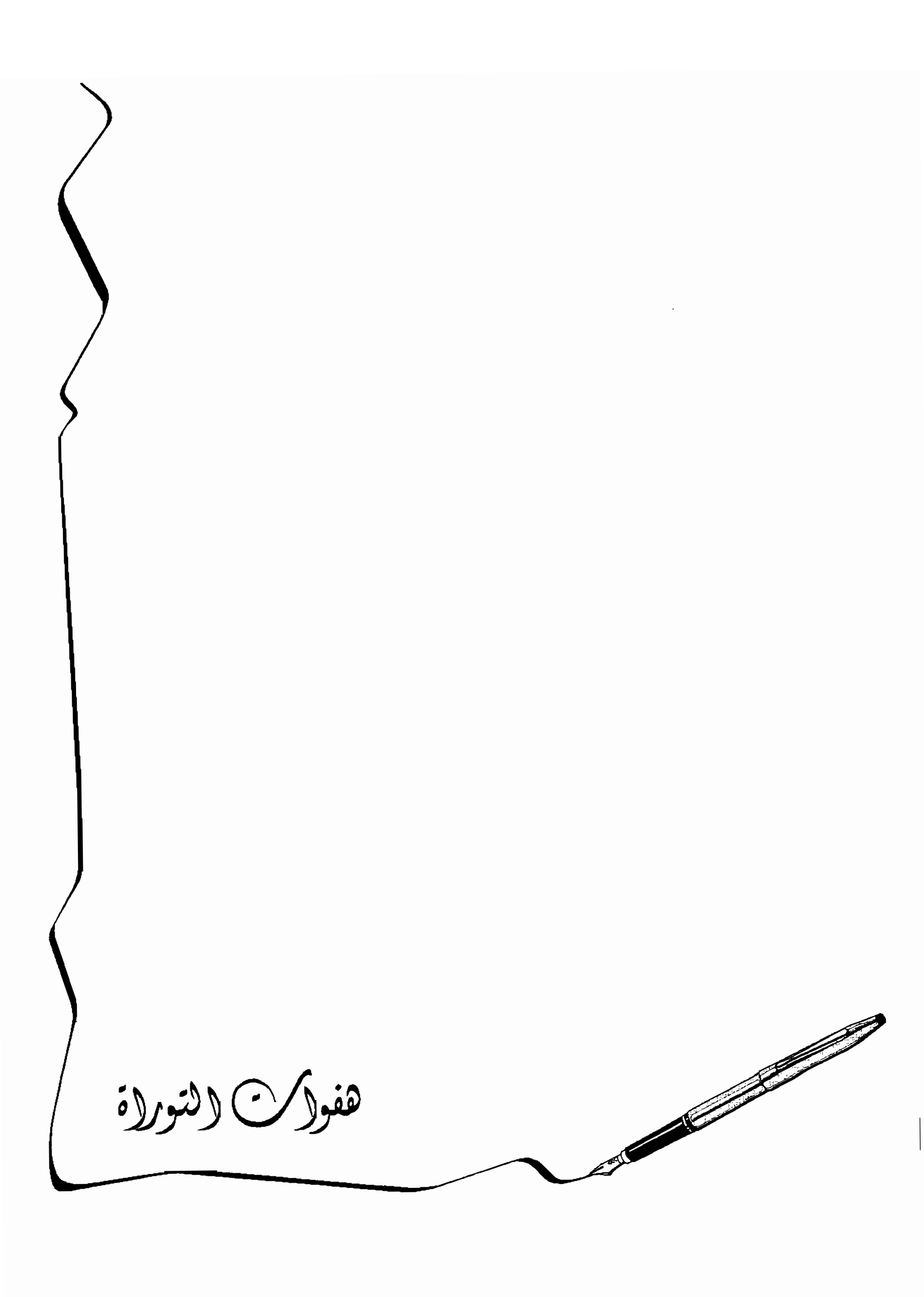

هفوات التوراة

حنا حنا

هفوات التوراة

- هفوات التوراة
- تأليف: حنـــا حنـــا

- الطبعة الأولى: سنة 2007
- عدد النسخ 1000 نسخة

دار النايا

للدراسات والنشر والتوزيع

سورية – دمشق

هاتف : 5626576 – جوال : 094624693

دار رام

للطباعة والنشر والتوزيع

سورية دمشق يرموك ص.ب: 29120

هاتف: 6372665 11 00963

الإهداء

إلى الرأي الآخر بكُلّ صدقٍ وإخلاص،

أُهدي هذا الكتاب جسراً من المحبّة للتّواصل،

حبّذا أنْ لا ينقطع أبداً...

حنا حنا

كلمة لابُدَّ منها

أيُّهـــا المُتجاهـــل إيَّـــاك الزّلـــل   واحـذر الـدَّجل فالمُصاب جَلَـل

سيِّدي القارئ، قبل أنْ نبدأ بدراسة صفحات هذا الكتاب للكـشف عـن بعض هفوات التَّوراة وسقطات المنزلات وعُيُوبها، أرجو منـك كُـلَّ الرَّجـاء أنْ تقبل على مُحاكمة هذه الطُّرُوحات بتعقُّل وبعيداً عن العاطفة العمياء التـي عـادة تكبح انطلاقة الفكر، ولاسيَّما هذه القضيَّة التي سأشير إليها في هذه الكلمة.

أمَّا المُشكلة التي أودُّ الإشارة إليها وهي حقيقة قضيَّة خطيرة جدَّاً، وأُؤكِّد إضافة لخُطُورتها وانتشارها الواسع بين مُختلف الطَّبقات والـشَّرائح مـن مُثقَّفـين وأشباه المثقفين، وبكُلِّ أسف أقول إنَّها تحمـل العيـب الكثـير لمُتبنِّيهـا ومُرَوِّجهـا تشدُّقاً بهدى زائف، ومن مُنطلق تعـصُّب لا يزيـد إلاَّ تعتـيماً وتـضليلاً للعقـل، ناهيك عن ألوان الشُّرُور الأُخرى التي تُفرزها هذه الـدَّعوة الباطلـة. أمَّـا هـذه الدَّعوة الزَّائفة، والتي أصفها بـالخطيرة فهـي أنَّ الكثـير ممَّـن يعنـون بمـضامين التَّوراة ونقدها وبكُلِّ أسف، يزعمون أنَّ التَّـوراة الحقيقيَّـة، أُخفيـت أو أخفتهـا اليهود والنّصارى، وهذه التَّوراة التي بـين أيـدينا هـي تـوراة مُـزوَّرة ومُـشوَّهة والحقيقة أنَّ هذا الكلام بكونها توراة حلَّت محلَّ التَّوراة الحقيقيَّـة والمخفيَّـة، هُـو كلام جهلة جهولين، إنْ لم يكن كلام أُناس احترفوا النِّفاق والدَّجل، أمَّـا قـولهم إنَّها توراة مُزوَّرة، فهُو حقيقة أُريد بها ضلال ممَّن أعنيهم هُنا، وهُـم كُثُـر، وهـذا مُؤسف، والمُؤسف أكثر أنَّهم أفرغوا دويـات أحبـار وملـؤوا صـفحات أسـفار وأضاعوا الكثير من الأعمار في تضليل أفكار في هذا المضمار، وباختصار أقول إنَّه

هُراء ظالم للحقيقة، أقول وأُكرِّر وأُؤكِّد بأنَّ هذا الكلام من أنَّ التَّوراة التي بين أيدينا هي توراة مُزوَّرة أو مُحرَّفة، هُو حقيقة أُريدَ بها باطل، فوصف التَّوراة من قبل البعض بكونها مُزوَّرة ليس لأنَّ حقيقة أنَّ هذه التَّوراة هي مُزوَّرة، وإنَّما لأنَّها لا تحتوي على ما يُثلج صُدُورهم ويُطرب قُلُوبهم من آيات تُؤيِّد اتِّجاهاتهم المذهبيَّة، وتُناغي عواطفهم الإيمانيَّة، وهذا هو لُبُّ القضيَّة.

تلك إذاً قسمة ضيزى لأنَّه الجُور يا عبد الصَّبُور.

آلاف الأشخاص، وعلى مدى أجيال وأجيال، كتبوا وقالوا في تزوير التَّوراة وعدم صحَّتها، ولنأخذ بعض النَّماذج المُعاصرة من هذه الكتابات على سبيل المثال: الدّكتور سامي عصاصة، الدّكتور أحمد سُوسة، الدّكتور محمود البار، السَّيِّد عبد المجيد همُّو.

يقول الدّكتور أحمد سُوسة إنَّ هذه التَّوراة التي بين أيدينا هي توراة مُزوَّرة، وليست ذات التَّوراة التي كتبها مُوسى، (وهذا الكلام صحيح كما أفهمه أنا لا كما يفهمه أحمد سُوسة، وأُزيد وأقول: رُبَّما مُوسى لم يكتب أيَّ صفحة من الكُتُب الخمسة المنسوبة إليه، أو رُبَّما بعض الكلمات القليلة قالها مُوسى، أو كَتَبَها وهي بدورها عملت عمل كُرة ثلجيَّة مُتدحرجة على مدى أجيال وأجيال، جمعت حولها قشرة سميكة كما نراها اليوم)، على أيِّ حال، لقد كرَّس الدّكتور أحمد سُوسة عدَّة صفحات من كتابه العرب واليهود في التَّاريخ (ص382)، لإثبات عدم صحَّة التَّوراة. الحقيقة رغم تقييمي وتثميني لكتابه القيم والثمين، كتاب العرب واليهود في التَّاريخ، لما كُرّس له من وقت وجُهد، إلاَّ أنَّ حقيقة التَّوراة التي ليست بين أيدينا، هي أسوأ ممَّا بين أيدينا من توراة بعد أن نُقِّحت وهُذِّبت هذه التَّوراة، وعلى مدى الأجيال، وهذا هُو موضوع كتابنا هذا، ونسيج نولنا هُنا، ولكنْ؛ علينا أنْ نعلم أنَّ التَّزوير والإسقاط لم يكن نحو الأسوأ كما يُوحي لنا أحمد سُوسة ومن ساواه في كُتُبهم وأقوالهم، وإنَّما التَّزوير كان نحو الأفضل حتماً، فالتَّزوير لم يكن تلويثاً للتَّوراة أو تبشيعاً في صُورة أنبياء ياهو كما يُريد أنْ يقول لنا أحمد سُوسة وغيره، وإنَّما كان تلميعاً وتنصيعاً لهذه الصُّورة قدر الإمكان.

إنَّ ما في تـوراة اليـوم مـن أخطـاء وعُيُـوب، والتـي يُقـال عنهـا مُـزوَّرة وشوائب دخيلة، (وهي ليست كذلك)، فإنَّ هذه العُيُوب الرَّاهنة بالتَّوراة، وهي من أصل التَّوراة وهي بيت قصيدنا أيضاً، فهي بالحقيقة لا تُشكِّل نـسبة 1٪ ممَّـا كان في التَّوراة الأوَّليَّة في القُرُون السَّابقة للمسيح من أخطاء وعُيُـوب، تتنـاقض ورغبات أحمد سُوسة ومن ذهب مذهبه.

يقول أحمد سُوسة إنَّ التَّوراة التي بين أيدينا افترت عـلى أنبيـاء الله بـأعمال قبيحة تتنافى ومكانتهم الاجتماعيَّة والدِّينيَّة، فقد نسبت إلى الملك داوود، أنَّـه زنـا بزوجة أحد قُوَّاده (2 صم 11: 2ـ26)، كما نسبت إلى سُـليمان أنَّـه أحـبَّ نـساء كثيرات أجنبيَّات (1 مل 11: 1ـ9)، وإلى لُوط إثماً مع ابنتَيه (تك 19: 30-37)، وإلى أمنـون بـن داوود اغتـصاب أُختـه تامـار (2 صـم 13: 1ــ29)...إلـخ. ويُضيف الدّكتور أحمد سُوسة قوله، إنَّ من أهـمِّ مظـاهر الانحـراف عـن تـوراة مُوسى الأصليَّة، أنَّ التَّوراة التي كتبها الكهنة بعد عصر مُوسى بعدَّة قُرُون، تقوم على التَّفرقة العُنصريَّة، وذلـك أنْ تجعـل اليهـود شـعب الله المُختـار، وتنظـر إلى ما عداه نظرتها إلى شُعُوب دُونهم منزلة في المُجتمـع الإنـساني، وتـضع شريعتهـا على هذا الأساس، فتبيح لليهودي امتيازات خاصَّة دُون سواه من غـير اليهـود، في حين أنَّ ديانة مُوسى الأصليَّة كانت تقوم على أساس التَّوحيد العـالمي المُطلـق من غير أنْ تُفرِّق بين الأقوام، وفضلاً عن ذلك فإنَّ التَّوراة الأصليَّة التـي أنزلهـا الله على مُوسى كانت تُقرُّ بالبعث والنُّشُور واليوم الآخر، في حين أنَّ التَّوراة التي كَتَبَها أحبار اليهود فيما بعد عهد النَّبي مُوسى بعدَّة قُـرُون، قـد خلـت مـن ذكـر اليوم الآخر والجنَّة والنَّار[1].

يُسهب الدّكتور أحمد سُوسة كثيراً على هذا المنوال ولكنْ؛ بداية أقول ليس صحيحاً ما زعمه أحمد سُوسة من أنَّ ديانـة مُوسـى الأصـليَّة كانـت تقـوم عـلى أساس التَّوحيد، ففي ديانة مُوسى هُناك الإله الإيل، وهُـو وارد كثـيراً في أسـفار التَّوراة الخمسة المنسوبة إلى مُوسى، وهو إله كاهن مدين العربي الوثني رعوئيـل،

1 - العرب واليهود في التَّاريخ، ص384.

حمو مُوسى، واسمه ذو دلالة على هذا الانتماء، وكذلك الإله العلي أو إله عليون، وهُو إله ملكي صادق، ذلك الكاهن الكنعاني الوثني الذي سجد له إبراهيم (انظر ص178).

وكذلك الإله أهيه الذي أورد ذكره مُوسى في خُرُوج 3: 13، وهذا الإله أهيه لا زال حتَّى اليوم له مُريدوه وهُم الصَّابئة والمندائيون، الذين يُسمَّون حتَّى اليوم باسمه وهذه بسملتهم (باشمه أهية) أي باسم الحياة وهُو أحد الآلهة الوثنيَّة المعني بالحياة، وآلهة كثيرة كان يُؤمن بها مُوسى ولسنا الآن بصدد هذا التَّشعُّب، وللمزيد حول هذه الآلهة انظر كتابنا صُورة الله الوثنيَّة والدَّمويَّة في صفحات التَّوراة، ثُمَّ إنَّ قول أحمد سُوسة إنَّ ديانة مُوسى كانت تُقرُّ بالبعث والنُّشُور واليوم الآخر، فهذا أيضاً ليس صحيحاً، فالإيمان باليوم الآخر والقيامة جاء في القُرُون القليلة السَّابقة للميلاد، وكُلُّ هذه الأُمُور أشرنا إليها وهي في الصَّفحات التَّالية من ضمن هذا الكتاب، انظر صفحة 73 وما بعد، ثُمَّ قول أحمد سُوسة بأنَّ مُوسى كانت نظرته إلى العالم نظرة غير عُنصريَّة، فهذا كذلك ليس صحيحاً، وهل لأحمد سُوسة أنْ يُفسِّر لي لماذا قتل مُوسى الرَّجل المصري الذي كان في خلاف مع العبري، أليس بدافع عُنصري من مُنطلق ناصر أخاك ظالماً أو مظلوماً؟ أليست هذه عُنصريَّة ضدَّ الأغيار، ثُمَّ إنَّ الكُتُب السَّماويَّة جميعاً تعتبر الإسرائيليِّيْن هُم شعب الله المُختار، وإنَّ الله أنعم عليهم وفضَّلهم على العالمين، وهذه هي العُنصريَّة، بل هي أسوأ أنواع العُنصريَّة التي وضعت بذرتها الكُتُبُ المُقدَّسة ومهما سفسط المُتفلسفون بتبريراتها وتأويلاتها فهي أخلاقيّاً مرفوضة.

أمَّا قول أحمد سُوسة إنَّ أحبار اليهود افتروا على أنبياء الله بتلك الأعمال القبيحة، فهذا الكلام مرفوض ومردود على أحمد سُوسة، لأنَّ بالحقيقة داوود زنا مع زوجة أوريا الحثي، كما أنَّ سُليمان أحبَّ نساء كثيرات، وكذلك لوط زنا مع ابنتَيْه، وأمنون بن داوود اغتصب أُخته، ومُنْذُ عهد مُوسى وحتَّى اليوم لم يكن وُجُود لتوراة أنكرت هذه الأُمُور، وهذا غيض من فيض هذه العُيُوب، ولكنْ؛

إذا كان هذا الكلام هُو افتراء من الأحبار على الأنبياء كما يزعم أحمد سُوسة، ومَنْ ذهب مذهبه، فما هُو المُبرِّر والدَّاعي لهذا الافتراء، وما هي الثَّمرة التي يتوخَّاها مَن افترى هذا الافتراء، فهل لك من جواب يا هذا الزَّاعم؟

من المعروف وبمُنتهى البساطة والبداهة أنَّ الأعداء يُشوِّهون تاريخ أعدائهم ويُلوِّثون صُورة رُمُوز أعدائهم، ولكنْ؛ أنْ يأتي شعب على تلويث وتبشيع صُورة أسلافه وتاريخه فهذا كلام يتجاوز حُدُود السَّذاجة والبلاهة.

يتساءل الدّكتور سامي عصاصة: لماذا أساء مُدوِّنوا التَّوراة كُلَّ الإساءة إلى أجدادهم وإلى أنبيائهم والصَّالحين؟ لماذا مسخوا الوقائع التَّاريخيَّة مسخاً ممجوجاً؟ هل يعود ذلك إلى عامل الزَّمن الذي غيَّب على المُدوِّنين الحقيقة، أمْ أنَّ هُناك مصلحة في عمليَّات تشويه تاريخ الأجداد؟ تُرى ألا يتماشى هذا التَّحريف المُشين مع الشُّذُوذ العالق في فكر حاخاماتهم المُتطرِّفين؟ إنَّنا لم نستطع العُثُور على جواب شافٍ من خلال ما اطَّلعنا عليه، فأعمال تشويه الماضي من قبل أبناء الطَّائفة ذاتها، يحصل عادة من أجل تنصيع ماضٍ تعيس. أمَّا هُنا فنحن بصدد تمريغ تاريخ بأكمله في أقذر صفات المُجتمعات على أيدي أتباع ذلك الدِّين أنفسهم، تُرى هل يبرز أبناء هذه الطَّائفة فساد رجالاتهم التَّاريخيِّيْن لاستبعاد كُلّ مَنْ يخطر في باله اعتناق هذا الدِّين التُّحفة خشية تدنيس المُجتمع المُختار بدماء لا يبلغ احمرارها احمرار دمائهم[1].

لا يا سيِّدي سامي عصاصة، ولا عصعص الله لك فهماً يا دكتور، والحقيقة ليس الأمر كما ذهبت، إنْ كُنت لا تدري والجميع يدري أنَّ الدَّم اليهودي من البدء كان ولازال كُوكتيل أعراق ومن شذاذ الآفاق، أمَّا سُؤالك لماذا أساء مُدوِّنو التَّوراة كُلَّ الإساءة إلى أجدادهم، فهذا سُؤال هُو المُغالطة بحدِّ ذاتها، لأنَّ مُدوِّني التَّوراة لم يُسيئوا إلى أجدادهم قط، إنَّما أحسنوا إلى أجدادهم، ولكنْ؛ لماذا كُلُّ هذه الإساءة المُدوَّنة في هذه الصَّفحات من التَّوراة؟ هكذا يكون السُّؤال يا سيِّدي. فالجواب بسيط وهُو لأنَّ هذا الشَّعب المُختار كان في الحقيقة

1 – هل اليهوديَّة التّلموديَّة دين، صفحة 197.

في هذه السَّويَّة الأخلاقيَّة المُنحطَّة، بل كان بصُورة أسوأ ممَّا هُو اليوم مُدوَّن في هذه الصَّفحات المُتواجدة بين أيدينا، وهذا ما جعلهم أنْ يُهذِّبوا ويُشذِّبوا في هذه الأخبار لتحسين صُورة أسلافهم، وعلى مدى الأجيال، ورغم هذا تبقى التَّوراة صفحات مُثقلة بالعُيُوب وبشتَّى ألوانها أمَّا الظَّنّ أنَّ هذا كان بسبب عامل الزَّمن، فهذا الكلام ليس صحيحاً، وليس فيه أيّ معقوليَّة، لأنَّ عامل الزَّمن، يا سيِّدي يا دكتور سامي، لا يجعل مُريدي التَّوراة أنْ يُضيفوا أخباراً مُشينة، وكُلُّنا يعلم وأنت تعلم أيضاً، أنَّ عامل الزَّمن يُضخِّم الأعمال المحمودة ويُنسي الأعمال المذمومة، في المُراد من الأسلاف، ولا مصلحة ولا فائدة هُناك للمُدوِّنين في الافتراء على الأنبياء. أمَّا ظنُّك يا سيِّدي سامي من أنَّ هذا تزوير وتحريف مُشين ليتماشى مع الشُّذُوذ العالق في فكر حاخاماتهم المُتطرِّفين وأنت تسأل ولا ترى جواباً لهذا، وهُنا أعجب منك يا سيِّد سامي كُلَّ العجب، كيف تظنُّ أنَّ حاخاماً مُتطرِّفاً يقوم بتحريف الدِّين الحنيف إلى مُشين، وكيف يجعل من سلفه الشَّريف سلفاً غير شريف؟! فنقول وبكُلِّ تأكيد وصدق إنَّ مُدوِّني التَّوراة لم يُزوِّروا إلاَّ إلى الأفضل، وذلك بحذف وإضافة ما بوسعهم لتلميع وتنصيع صُورة سلفهم الصَّالح في وهم مُريدي هذا السَّلف.

وأخيراً يا سيِّدي سامي، إنَّ ظنَّك بأنَّ الحاخامات مرَّغوا تاريخ رجالاتهم وأنبيائهم رُبَّما لاستبعاد الأغيار عن اعتناق هذا الدِّين فهذا أيضاً كلامٌ يرفضه المنطق، وكما أسلفنا أنَّ اليهوديَّة كانت ولا زالت كوكتيل أعراق لا تعرف له طعماً، هذا هو ردُّنا على الدّكتور سامي عصاصة على أيِّ حال، لقد جئت على دراسة كُلِّ هذه الأُمُور في صفحات هذا الكتاب وغيره من الكُتُب.

انظر كُتُبنا (دراسات توراتيَّة ـ الأسوأ من سادوم وعامورة: تلك الزَّانيات المُقدَّسات في صفحات التَّوراة ـ صُورة الله في التَّوراة). ونعود ثانية للدّكتور أحمد سُوسة لنقول وبكُلِّ بساطة من أين لك يا سُوسة يا دكتور أنْ تعرف بأنَّه كان هُناك توراة غير هذه التَّوراة التي بين أيدينا، وما هي مصداقيَّتك في هذا الادِّعاء، أمَّا ما أُريد أنْ أُشير إليه هُنا مُجرَّد إشارة، هُو أنَّ ما هُو قبيح في أخلاقيَّات مُجتمع

ما وفي زمن ما، كثيراً ما كان مليحاً في أخلاقيَّات مُجتمع آخر، وفي زمن آخر، فزواج إبراهيم الخليل من أُخته على سبيل المثال، لم يكن مُعيباً في يوم من الأيَّام وعند كتابة التَّوراة أو ما قبل التَّدوين لم يكن بهذه الدَّرجة السَّيِّئة كما نراه اليوم، أمَّا العُيُوب والخطايا التي كان لها المفهوم نفسه، كما في مُجتمعاتنا اليوم، فعند تدوينها كان لها أسباب منها خلافات الأسباط اليهوديَّة وأنبيائها فيما بينها وأسباب أُخرى لسنا الآن في صددها، إنَّ كُلَّ ما أريد أنْ أقوله للدّكتور أحمد سُوسة ومن ذهب بمذهبه، هُو أنَّ كُلَّ ما هو مُدوَّن اليوم في صفحات التَّوراة من زنا وغير ذلك من العُيُوب والحطَّات والأعمال الشِّرِّيرة الذي نسب إلى العهد القديم فهُو صحيح وهُو قليل ممَّا تبقَّى ذكره بعد أنْ شُطب الكثير الكثير من صفحات هذه التَّوراة.

أمَّا الدّكتور محمود البار في كتابَيْه: (أباطيل التَّوراة بجُزأَيْه)، فقد كرَّس كُلَّ جُهده في هذَيْن الكتابَيْن لإثبات انتحاليَّة التَّوراة وتزويرها إلاَّ أنَّ في كلا الكتابَيْن لم أقع على أيِّ جملة مُفيدة أو على شاهد منطقي ومُعتبر يُثبت أنَّ هذه التَّوراة التي بين أيدينا ليست التَّوراة الحقيقيَّة، فكُلُّ ما جاء به الدّكتور محمود البار، هُو إفراز عاطفي بعيد كُلَّ البُعد عن العقل والمنطق، ولا أريد التَّعليق والإسهاب على هذه المزاعم المُملَّة والمُخجلة، أيضاً احتراماً لوقت القارئ، ولكنْ؛ لنا وقفة اضطراريَّة مع عبد المجيد همُّو، وهُو رُبَّما أكثر مَنْ أسهب في هذه الدِّراسات، وهُو يزعم أنَّه يتوخَّى الحقيقة كُلَّ الحقيقة، من هذه الدِّراسة الهادئة.

فتعالوا إذاً لنقرأ بين سُطُور هذه الدِّراسة العلميَّة الهادئة جدَّاً والتي انتهجها عبد المجيد همُّو مُتوخِّياً منها الحقيقة.

يزعم عبد المجيد همُّو أنَّ التَّوراة فقدت ثلاث مرَّات، ولا يزعم أنَّها فُقدت على ثلاث دفعات، ولكنْ؛ إذا كانت التَّوراة فُقدت في المرَّة الأُولى كيف لها أنْ تُفقد بعد ذلك؟

يقول عبد المجيد همُّو في كتاب «ما بين مُوسى وعزرا» تحت عُنوان «التَّوراة الضَّائعة، ص82»: إنَّ هذه التَّوراة التي بين أيدينا تشهد على هذا

الضَّياع، وحُجَّته في هذا أنَّ المـرَّة الأُولى التـي فُقـدت فيهـا التَّـوراة كانـت أثنـاء انكسار الإسرائيليِّيْن أمام الفلسطينيِّين، وعلى أثر هذا استولى الفلـسطينيُّون عـلى تابوت الرَّبِّ الذي كانت فيه التَّوراة الحقيقيَّة، وهذه هـي شـهادة التَّـوراة وهـي ما تحدَّث عنها النَّبي صموئيل في قوله، (ولا زال الحديث لعبد المجيد همُّو):

وكان كلام صموئيل إلى جميع إسرائيل: وخرج إسرائيل للقـاء الفلـسطينيِّيْن للحرب ونزلوا عند حجر المعونة، وأمَّـا الفلـسطينيُّون فنزلـوا في أفيـق، واصـطفَّ الفلسطينيُّون للقاء إسرائيل واشتبكت الحرب، فانكسر إسرائيل أمـام الفلـسطينيِّيْن وضربوا من الصَّفِّ في الحقل نحو أربعة آلاف رجل، فجاء الشَّعب إلى المحلَّة وقال شُيُوخ إسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرَّبُّ أمام الفلسطينيِّيْن، لنأخذ لأنفسنا من شـيلوه تابوت عهد الرَّبِّ فيدخل في وسطنا ويُخلِّصنا من يد أعـدائنا، فأرسـل الـشَّعب إلى شيلوه، وحملوا من هُناك تابوت عهد ربِّ الجُنُود الجالس على الكروبيم وكان هُنـاك ابنا عالي حفني وفنحاس، مع تابوت عهد الله، وكان عند دُخُول تابوت عهد الـرَّبِّ إلى المحلَّـة أنَّ جميـع إسرائيـل هتفـوا هُتافـاً عظـيماً حتَّـى ارتجَّـت الأرض، فـسمع الفلسطينيُّون صوت الهُتاف، فقالوا: ما هُـو صـوت هـذا الهُتـاف العظـيم في محلَّـة العبرانيِّيْن، وعلموا أنَّ تابوت الرَّبِّ جاء إلى المحلَّة فخاف الفلسطينيُّون لأنَّهم قالوا قد جاء الله إلى المحلَّة وقالوا: ويل لنا لأنَّه لم يكن مثل هذا مُنْذُ أمـس، ولا مـا قبلـه، ويل لنا مَنْ يُنقذنا من يد هؤلاء الآلهة[1] القادرين، هؤلاء هُم الآلهـة الـذين ضربـوا مصر بجميع الضَّربات في البرِّيَّة، تشدَّدوا وكونـوا رجـالاً أيُّهـا الفلـسطينيُّون لـئلا تستعبدون للعبريِّيْن كـما اسـتعبدوا هُـم لكـم فكُونـوا رجـالاً وحـاربوا، فحـارب القلسطينيُّون وانكسر إسرائيـل، وهربـوا كُـلُّ واحـد إلى خيمتـه، وكانـت الـضَّربة عظيمة جدَّاً، وسقط من إسرائيل ثلاثة آلاف رجل وأُخذ تابوت الله.

(سفر صموئيل الأوَّل 4: 1ـ11).

(انتهى حديث عبد المجيد همُّو).

---

(1) كثيراً ما نعت العبريُّون أنفسهم بالآلهة، وأبناء الآلهة: «أنا قلت إنَّكم آلهة وبنـو العـلي كُلُّكـم، لكـنَّ مثـل النَّاس تموتون» (مزمور 82: 6).

وهُنا لنا وقفة مع هذا الصّندوق أو ما يُسمَّى بتابوت الرَّبِّ وهُو عبارة عن صندوق من التُّراث والتَّقليد للبدو الرُّحَّل ولا زال حتَّى اليوم يقتني أُولئك البدو الرُّحَّل هذا الصندوق في خيامهم كخزانة سهلة التَّنقُّل تحفظ فيه الأشياء المهمَّة للعائلة، ويُسمَّى أحياناً صندوق العروس، أمَّا تابوت الرَّبِّ هذا فقد كان فيه الوعاء الذي يحتوي على المنِّ أو ما يُسمَّى بالخُبز السَّماوي، وكذلك كان التَّابوت يحتوي على عصا هارون ولوحي العهد اللَّذَيْن فيهما وصايا الله (خُرُوج 25: 16). وبحسب وصف التَّوراة لهذا الصّندوق فإنَّ طُوله كان ذراعين ونصفاً، وإنَّ عرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف.

(خُرُوج 25: 10).

بحسب التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس فإنَّ طُول التَّابوت ذراعان ونصف، يُساوي المتر ورُبع المتر، ولكنْ؛ من عادة العبريِّيْن أنَّهم دائماً يُبالغون في الأرقام والأحجام، إلاَّ هُنا جعلوا تابوت الرَّبِّ تابوتاً قزماً لا يتجاوز طُوله المتر ورُبع المتر، فما السِّرُّ في هذا، هل ربُّهم العظيم الذي ليس مثله بين الآلهة هُو قزم إلى هذه الدَّرجة؟!!!.

أمَّا هذا التَّابوت، فيُقال إنَّ فيه كانت تُحفظ التَّوراة الحقيقيَّة وهُنا لُبُّ القضيَّة. الحقيقة أنَّ نُصُوص التَّوراة تقول إنَّ لوحَيْ الوصايا التي كَتَبَها الله بإصبعه كانت محفوظة في هذا التَّابوت (خُرُوج 25: 16)، أمَّا بقيَّة التَّوراة فكانت توضع إلى جانب التَّابوت كما جاء في سفر التَّثنية:

«خُذُوا كتاب التَّوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرَّبِّ إلهكم ليكون هُناك شاهداً عليكم».

تثنية 31: 26.

إذاً؛ كتاب التَّوراة هذا وضعوه بجانب التَّابوت لا في داخل التَّابوت ولا يُمكن أنْ يتَّسع هذا التَّابوت لغير اللَّوحَيْن الحجريَّيْن أو لوحَيْ الشَّهادة وهي عبارة عن وصايا الله، التي كَتَبَها بإصبعه وسلَّمها لمُوسى ليحفظها داخل التَّابوت.

نعم! لوحَا الوصايا أو لوحَا الشَّهادة كتبهما الله شخصيّاً بإصبعه أمام عينَيْ مُوسى على الجبل.

ثُمَّ أعطى الله لمُوسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحَيْ الشَّهادة، لوحَيْ حجر مكتوبين بإصبع الله.

خُرُوج 31: 18.

فانصرف مُوسى ونزل من الجبل ولوحا الشَّهادة في يده لوحان مكتوبٌ على جانبيهما، من هُنا ومن هُنا كانا مكتوبَيْن، واللَّوحان هُما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللَّوحَيْن.

(خُرُوج 32: 15).

ولوحَا الشَّهادة هذان وضعا في التَّابوت بأمر من الله.

وتضع في التَّابوت الشَّهادة التي أُعطيك.

(خُرُوج 25: 16).

وهذه الشَّهادة هي عبارة عن الوصايا العشر التي أُعطيت لمُوسى.

(تثنية 5: 16ـ22).

ثُمَّ وضعها مُوسى في التَّابوت ولم يكن في وسع التَّابوت أنْ يحتوي على أكثر من هذَيْن اللَّوحَيْن أمَّا بقيَّة التَّوراة فكانت تُوضع إلى جانب التَّابوت كما رأينا.

والآن نعود إلى الفلسطينيِّيْن الذين أخذوا التَّابوت الذي لم يكن فيه إلاَّ هذان اللَّوحَان، ولكنْ؛ ما يجب أنْ نعرفه جيِّداً وأنْ لا ننساه أيضاً هُو، أنَّ هذه التَّوراة كانت كالورم السَّرطاني؛ حيثُ تفارخت وتوالدت جيلاً بعد جيل، فكان لوحَا الشَّريعة أو وصايا الله وبعض الكلمات والتَّوصيات القليلة التي قالها أو كَتَبها مُوسى افتراضاً بمثابة الكرة الثَّلجيَّة الصَّغيرة التي تدحرجت على مرِّ الأجيال حتَّى جمعت حولها قشرة سميكة يقدر حجمها بألف ضعف ممَّا كانت عليه أيَّام مُوسى، أقول ألف ضعف ولا أجد أيَّ مُبالغة فيما أقول، أمَّا بشأن التَّابوت واحتوائه على التَّوراة فلا يُمكن له

استيعاب أكثر من هذَيْن اللَّوحَيْن الحجـريَّيْن ولا سيَّما أنَّ نُـصُوص التَّـوراة لا تذكر أنَّ مُوسى كان يكتب توراته على غير الحجارة. أمَّا غير هذا فقد كان محفوظاً في صُدُور بعض العبريِّيْن كالكهنة والمُتنبِّئين وكُلِّ حكواتي من أُولئك الكهنة والمُتنبِّئين كان ينسى الكثير ويزيد الكثـير إلى هـذه الرِّوايـات، وهـذه السِّمات نقرؤها من كثرة التَّناقضات التي لازالت حتَّى اليـوم رغـم التَّنقيـح والتَّنسيق المُستمر في هذه الصَّفحات. أمَّا قول عبد المجيـد همُّـو ومَـنْ ذهـب مذهبه، من أنَّ التَّوراة الحقيقيَّة فُقدت عندما فقد الإسرائيليُّون هذا التَّـابوت وهُم مُستشهدون بذات التَّـوراة ولا سـيَّما الـنَّصّ الـذي سُـقناه قبـل قليـل فالحقيقة أنَّ نُصُوص التَّوراة تُؤكِّد على أنَّ الفلسطينيِّيْن الذين أخـذوا تـابوت الرَّبِّ أعادوه إلى الإسرائيليِّيْن غير منقوص، بل أضافوا إليه هداياهم الذَّهبيَّة لمُراضاة الإسرائيليِّيْن، لأنَّ هذا التَّابوت كان قد حطَّم إلههم داجون والأصح أنَّ يهوه الكائن في هذا التَّابوت كان قد بُعث حيَّاً في تلك اللَّيلـة وخـرج مـن التَّابوت، وجزَّ رأس الإله الفلسطيني الذي كان قد نصب إلى جانبه في المعبد وبَتَرَ أطرافه كما أصاب الفلسطينيِّيْن بالمصائب والويلات الكثـيرة[1]، هـذا إذا اعتمدنا نُصُوص التَّوراة كما يعتمدها مَنْ يزعم أنَّ التَّـوراة تـشهد عـلى ذاتهـا بأنَّها ضاعت، وكيف تكون هذه الشَّهادة مـن شـاهد مفقـود أصـلاً ويـأتون (بشاهد آخر ما شاف حاجة)؟ لست أدري!!.

إذاً التَّوراة لم تُفقد ولم تكنْ ضمن التَّابوت، والتَّابوت عاد إلى الإسرائيليِّيْن وفيه لوحَا الشَّهادة وغير منقوص.

وكان تابوت الله في بـلاد الفلـسطينيِّيْن سـبعة أشـهر فـدعا الفلـسطينيُّون الكهنة والعرَّافين قائلين ماذا نعمل بتابوت الرَّبِّ أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانـه، فقالوا إذا أرسلتم تابوت إله إسرائيل فلا تُرسلوه فارغاً، بل ردُّوا له قُربان إثم.

(صموئيل الأوَّل 6: 1ـ3).

---

(1) جعل في شرج كُلِّ فلسطيني بواسير كالمناخس والمغارس لا تهدأ ليل نهار إلى أنْ أعـادوا هـذا التَّـابوت إلى أصحابه.

ففعل الرِّجال كذلك، وأخذوا بقـرتَيْن رضـيعتَيْن وربطوهمـا إلى العجلـة وحبسوا ولدَيْها في البيت، ووضعوا تابوت الـرَّبِّ عـلى العجلـة مـع الـصّندوق وفيران الذَّهب وتماثيل بواسيرهم فاستقامت البقرتان في الطَّريق إلى طريق بيت شمس، وكانتـا تـسيران في سـكَّة واحـدة وتجـأران ولم تمـيلا يمينـاً ولا شـمالاً، وأقطاب الفلسطينيِّيْن يسيرون وراءهما إلى تُخَم بيـت شـمس، وكـان أهـل بيـت شمس يحصدون حصاد الحنطة في الوادي فرفعوا أعينهم ورأوا التَّابوت وفرحوا برُؤيته فأتت العجلة إلى حقل يهوشع البيت شمسي، ووقفت هُناك وهُناك حجـر كبير فشقُّوا خشب العجلة وأصـعدوا البقـرتَيْن محرقـة للـرَّبِّ فـأنزل اللاَّويُّـون تابوت الرَّبِّ والصّندوق الذي معه الذي فيه أمتعة الذَّهب.

(صموئيل الأوَّل 6: 10ـ15).

إذاً؛ التَّابوت عاد إلى الإسرائيليِّيْن كاملاً غير منقوص وإنْ زعم عبد المجيد همُّو ومَنْ ذهب مذهبه مُستشهدين بالتَّوراة فهذا الادِّعاء باطل ومـردود، وهـذه الحوادث التي سردناها جميعها حدثت في عصر القُضاة أي قبل عهد المُلُوك وهُنـا لابُدَّ لنا من أنْ نستشهد ثانية بسفر المُلُوك وكاتبـه مجهـول وكـذلك سـفر أخبـار الأيَّام الذي كَتَبَه عزرا نحـو القـرن الخـامس ق.م. (±450 ق.م). يـشهدان أنَّ لوحَيْ الشَّهادة كانا محفوظين في التَّابوت.

لم يكن في التَّابوت إلاَّ لوحا الحجر اللَّذان وضعهما مُوسى.

(سفر المُلُوك الأوَّل 8: 9، وأخبار الأيَّام الثَّاني 5: 10).

أمَّا المرَّة الثَّانية التي ضاعت فيها التَّوراة كما يزعم عبد المجيد همُّـو فيقـول عندما سبى نبوخذنصَّر أورشليم، ولا أُريد الرَّدَّ على هذا الزَّعم وقد أسـهبت في الحُجَّة الأُولى، ولكن علينا أنْ نتذكَّر أنَّ عندما عادوا من السَّبي، كـان عـزرا مـن وقت لآخر يقرأ عليهم الشَّريعة، والأهمُّ من هذا أنَّ في الحقيقة لم يكن هُناك شيء اسمه سبيٌ، وإنَّما كانت هجرة طوعيَّة إلى بابل تطلُّعاً لحيـاة أفـضل حتَّـى إنَّ مَـنْ سمُّوهم مسبيِّيْن كانوا قد أخذوا معهم كُتُبهم وآلات طـربهم وغنُّـوا عـلى أنهـار بابل وعزفوا كما تشهد لنا المزامير وحول هـذه القـضيَّة انظـر كتابنـا: «دراسـات

توراتيَّة تحت عُنوان سُقُوط بابل»؛ حيثُ أكَّدنا بالشَّواهد والدَّلائل بأنَّ ما سُـمِّي سبياً كان هجرة طوعية لا أكثر.

وباختصار نقول إنَّ الرِّسالة جاءت أخيراً إلى العبرانيِّيْن في العهـد الجديـد لتُؤكِّد لنا على عدم ضياع لوحَيْ الشَّهادة اللذين كانا دائماً محفوظين في التَّابوت. (عبرانيِّيْن 9: 4).

وبقي لي أن أذكر أنَّ المسيح الذي جاء لينتقد التوراة بقوله:

فلو كان العهد السابق بلا عيب لما ظهـرت الحاجـة إلى عهـد آخـر يحـل محله.... الرسالة إلى العبرانين 8:7

والسؤال إذاً المسيح الذي جاء لينتقد العهد القديم لماذا لم يذكر أن التـوراة ضاعت أو هذه التوراة ليست توراة موسى. وهناك عشرات الـشواهد في العهـد الجديد تؤكد على أن هذه التوراة هي توراة موسى وهذا لايمنع مـن إبطالهـا كـما قال ثانيةً:

وأما ماعتق وشاخَ فهو إلى الزوال.

الرسالة إلى العبرانين 8: 13

سيِّدي القارئ أعتقد أنَّنا أسهبنا بما فيه الكفاية للتَّأكيـد عـلى عـدم ضـياع التَّوراة وبكُلِّ صراحة وصدق وأمانة، نقول إنَّ هذا الزَّعم من أنَّ التَّوراة الحقيقيَّة أخفتها اليهود والنَّصارى، وبكُلِّ أسف فهُـو يـأتي مـن مُنطلـق تعـصُّب أعمـى لا يُبصر إلا وهماً وخُطُورة هذه البدعة المُفتعلة والمُزيِّفة للحقيقة، هي أنَّها تُلـوِّث أوَّلاً في أخلاق هذا الدَّاعي وثانياً تُسيء إلى القارئ الذي يتوه وراء هذا الـضَّلال كمَنْ يلحق البوم الذي لا يقوده إلاَّ إلى خراب، فالزَّعم هـذا دُون سـند أو دعـم بثوابت وبراهين يبقى هُراء رخيصاً كرُخص زاعميه ولا يحقُّ لأيٍّ كان وأيّاً كـان حجمه، وأيّاً كان انتماؤه، وأيّاً كانت وظيفته وتحت أيِّ مُسمَّى، أو قصد أنْ يزعم بأنَّ وثيقة ما هي مُزوَّرة دُون أنْ يُظهر الوثيقة الحقيقيَّة، أو يُثبت بالمنطق والمعقول وبالمُقارنة والشَّواهد دعوته، فحبَّذا لو أنْ يحترم نفسه ويترفَّع هـذا الإنـسان عـن هذا البُهتان وأنْ لا يُلقي أيّاً كانت الادِّعاءات والاتِّهامات على عواهنها وعلاَّتها،

ثُمَّ سُؤال انتهله من البساطة وحبَّذا أنْ يسأل لنفسه هـذا الـسُّؤال مَـنْ يـزعم أنَّ التَّوراة الحقيقيَّة أُخفيت، وهُو: هل مُمكن يا عاقل أنْ يُخفى كتـاب دينـيٌّ، وكأنَّـه كتاب من نُسخة واحدة، لا يملكها إلا فُلان الذي أخفاه، ثُمَّ هذا الأحمـق الـذي أخفى التَّوراة الحقيقيَّة وجاء بهذه التَّوراة التي بين أيدينا، وهـي تحمـل كُـلَّ هـذه العُيُوب والوقاحة والتي لم تترك أيَّ ملك من مُلُـوك إسرائيـل ولا أيَّ نبـيٍّ مـن أنبياء العبريِّيْن دُون أنْ يهتك في عرضه وشرفه وأخلاقه، فما هي غايته من هذا يـا رعاك الله؟، ثُمَّ هذه التَّوراة التي كانت ولا زالت أكثر كُتُب العالم انتشاراً، وعـبر كُلِّ مراحل التَّاريخ وبأبعاد جُغرافيَّة شاسعة، إنْ كان بسبب المسيحيَّة وانتـشارها الواسع، أو بسبب يهود الشَّتات في كُلِّ أنحاء العالم، من الألف الأوَّل قبل الميلاد وحتَّى اليوم، فهل يُعقل يا (مُحترم) أنَّ اليهود يُخفون التَّوراة الحقيقيَّـة المُنَزَّلـة مـن لَدُن الرَّبِّ والتي تُقدِّس شعب الله المُختار، ويأتون بتـوراة مُزيَّفـة تهتـك وتقـبح هذا الشَّعب المُقدَّس من وجهة نظر السَّماء. وهل يُعقل يا مُحـترم أنْ يختـار الله لـه شعباً بدقَّة فائقة ويأتي اليهود هذا الشَّعب المُختار ويُنكر فضل الله عليهم بتحقيره لنفسه ولمُلُوكه وأنبيائه، فأيُّ منطق هذا وأيُّ أخرق سـاذج يُـصدِّق هـذا، إلا إذا كانت العصبيَّة المذهبيَّة أعمت بصيرته وأخصت عقله وأخصبت حماقته.

ثُمَّ هل لي ولك يا سيِّدي الفاضل أنْ نُـزاود أكثـر مـن اليهـود في تعظـيم وتقديس إبراهيم وإسحاق ويعقوب الذي هُو إسرائيل؟ هل لي ولك يـا سـيِّدي أنْ نكون مُلُوكاً أكثر مـن الملـك، أعنـي هـل لي ولـك أن نكـون يهـوداً ونُعظِّـم اليهوديَّة أكثر من اليهودي؟ إذاً فليتذكَّر، ودُون أيِّ مُكابرة، كُلُّ مَنْ يـذهبون إلى هذا المذهب المُضلِّل ولا سيَّما الأكثر تطرُّفاً وتشدُّقاً وتزمُّتاً، أنَّهم لفهم أي غامض من غوامض عقائدهم السَّماويَّة لا يستنجدون إلا بهذه التَّـوراة التـي بـين أيـدينا والتي قالوا عنها توراة مُبدلة ليجدوا فيها ضالَّتهم، وإنْ لم يجدوا ضالَّتهم في هذه الكُتُب المُبدلة الزَّعم فلن يجدوها في أي مرجع آخر وتبقى لُغزاً عجز عنـه الفهـم لعمر طال أربعة عشر قرناً، ففي قصَّة عبادة الإسرائيليِّيْن للعجل الـذَّهبي الـذي صنعه هارون أخو مُوسى على سبيل المثال، يـسأل أحـدهم حـول تفـسير الآيـة

طه87، ما هُو المقصود بقوله تعالى: «**ولكنّا حَمَلْنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها**»، يسأل هذا السَّائل يا رعاك الله: أين قذفوها؟ يقول المُفسِّرون إنَّهم قذفوها في النَّار، كيف عرفوا ذلك لولا أساطير التَّوراة التي يقولون عنها توراة مُبدلة، ويُضيف السَّائل قوله: مَنْ هُم مليكًا بابل هاروت وماروت، ومتى كانت سِنُوُّ حُكْمهم؟ وبالرُّجُوع إلى أسفار التَّوراة وهي المرجع الأصل لكُلِّ السَّماويات لا تجد لهذَيْن السَّاحرين أو الملكَيْن أيَّ أثر ورغم أنَّ الاكتشافات الأركيولوجيَّة كشفت عن كُلِّ أسماء مُلُوك بابل، إلاَّ أنَّهما لم تأتِ على أيِّ ذكر لهاروت أو ماروت، فهل لأحد أنْ يُفسِّر لنا هذا الطّلسم أم هُو من الألغاز التي لا يعرف مُرادها إلاَّ الله؟

إنَّ اسم ماروت ورد في التَّوراة فقط لمرَّة واحدة (ميخا 1: 12)، وهُو اسم لموضع في يهوذا الغربي وليس اسماً لملك أو ساحر بابلي، أمَّا في الحكايات الشَّعبيَّة، فقد ورد كثيراً في قصص وروايات مُختلفة، كما جاء في قصَّة كليلة ودمنة، على لسان الجرذ وهُو اسم المدينة التي يسكنها النَّاسك وقد أورد الرَّازي أيضاً ما رُوي عن قصَّة المرأة التي ذهبت إلى هاروت وماروت في بابل لتتعلَّم منهما السِّحر.

(مُعجم الفلكلور، ص143).

لقد اختلطت في الرِّوايات الشَّعبيَّة الكثيرة حول حقيقة هاروت وماروت، إذا كانا ملكين أم ساحرين، وبحسب مُعجم الفلكلور فأنَّ هاروت وماروت كانا ملكين هبطا إلى الأرض لاختبار مدى قُدرتهما على مُقاومة ما يتعرَّض له البشر من إغواء، وتذهب الرِّواية إلى أنَّهما شاهدا امرأة جميلة فتنتهما، فارتكبا معها الفحشاء وشاهدهما رجل فقتلاه، وعندما خُيِّرا بين عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة اختارا أنْ ينالا عقابهما في الحياة الدُّنيا، فعُلِّقا من أقدامهما ورأساهما مُنكَّسَان في بئر ببابل. وهما يعلمان النَّاس فُنُون السِّحر إلاَّ أنَّهما يحرصان على تحذيرهم من شُرُوره.

(مُعجم الفلكلور، ص208).

وبقي لي هُنا أنْ أُشير إلى أنَّ هذه القصَّة الشَّعبيَّة التي تروي بأنَّ هاروت وماروت كانا ملاكين هبطا من السَّماء، ومارسا الجنس مع المرأة الجميلة، إنَّ هذه الرِّواية لها جُذُورها التَّوراتيَّة، وهُو ما جاء في سفر التَّكوين الإصحاح السَّادس التي تروي أنَّ الملائكة والذين تُسمِّيهم التَّوراة أبناء الله، هبطو إلى الأرض وتزاوجوا من بنات النَّاس الجميلات.

أعود وأقول: أخي، عزيزي، حبيبي الزَّاعم، إنَّ التَّوراة الحقيقيَّة أخفاها الكُفَّار من اليهود والنَّصارى، وجاؤوا بغيرها للمرَّة الثَّانية والثَّالثة، أرجوك ثُمَّ أرجوك. أنْ تسمو قليلاً بأخلاقك وتقلع عن عينك غشاوة التَّعصُّب الأعمه، والتَّزمُّت الأكمه، وأنْ تُبصر الحقيقة بنُور العقل لا بنير النقل الببغائي الآسن، وأنْ تنطق بصدق الأمانة التي أنت حاملها، وما يُناسب حساسيَّة الموضوع وخُطُورة المسؤوليَّة، فأنت تنقل رسالة إلى الأجيال، فكُن أميناً وشُجاعاً حُرَّاً بما تقول وتكتب لهذا أقول وأُكرِّر يا سيِّدي الفاضل، إنَّ التَّوراة في الأمس هي توراة اليوم والتَّوراة عند اليهود ذاتها عند المسيحيِّيْن النَّصارى، ولكنْ؛ إنْ أُسقطت كلمة ورُقِّعت بأخرى، أو حتَّى إنْ حُذف سفر بكامله عبر التَّاريخ فهذا شيء آخر، وهذا لا يُعطيك الحقَّ والمصداقيَّة في دعوتك، أنَّ هُناك مَنْ أخفى التَّوراة الحقيقيَّة، ولكنْ؛ إذا أردت يا سيِّدي الفاضل أنْ تعرف بعض ما زُوِّر وحُوِّر، فأنا أُشير إليه بهذا الكتاب وبغيره من الكُتُب، ولكنَّ ما أُثبته من نقص وتناقض وإسقاط وتحوير بالتَّوراة، فهُو لا يُوافق زعمك حتماً ولا يقضي مُرادك أيضاً، وفي كُلِّ الأحوال، إنَّ التَّوراة التي بين أيدينا رغم عُيُوبها وحطاتها هي التَّوراة الحقيقيَّة، ولا توراة غيرها، فلا تحزن يا ولدي، ولا تتجرَّع مرارة الخيبة والإحباط، وكفانا يا رفيقي مُغالاة وتعصُّباً، الذي قادنا إلى الجحيم الذي نحن فيه، إنْ كُنت تدري بما يجري في ديار العرب يا أخا العرب، وإنْ كُنت لا تدري فالطَّامة أدهى والمُصاب أرهب، وهُو الضَّلال الذي جعل الويل يزمن مُتجثِّماً على صُدُورنا وحبس أنفاسنا، ولا زلنا وحتَّى إشعار آخر، مخدوعين ومبتهجين، بل مُفتخرين بالأكاذيب التَّوراتيَّة التي فوقها شُيِّدت وتشيد صُرُوح

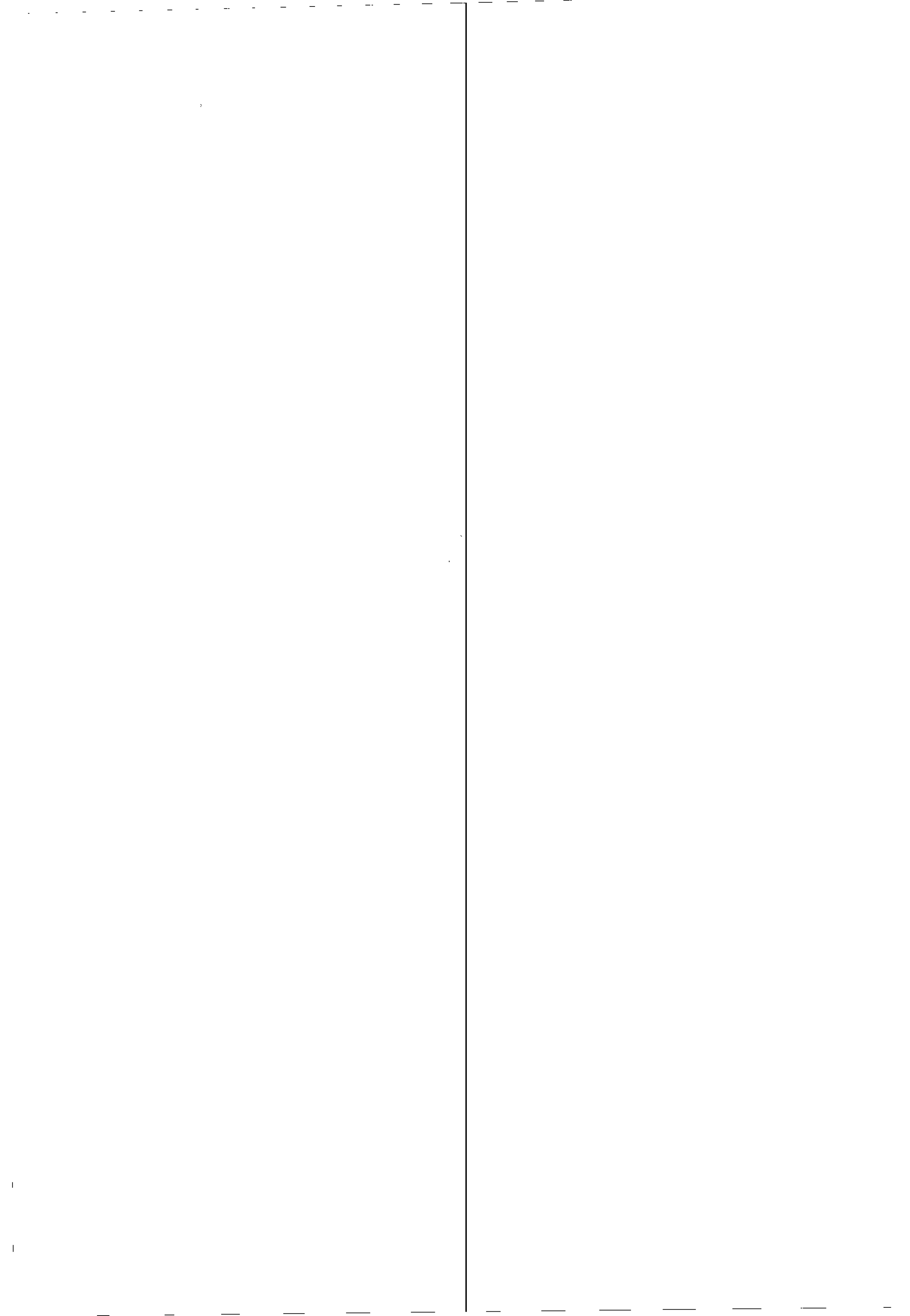
الإمبراطوريَّة الإسرائيليَّة، كالكذبة التي تقول: إنَّ الغُلام الذي جاؤوا به من وراء الخرفان ذلك الصُّعلوك الإسرائيلي داوود قتل العُملاق الفلسطيني جليات، ألسنا أحفاد الفلسطينيِّيْن الذين تحدَّثت عنهم التَّوراة، أُفكاً وبُهتاناً، وكُنَّا أوَّل المُصدِّقين والمُباركين في لعن أجدادنا الفلسطينيِّيْن والفراعنة والآشوريِّيْن والعرب كُلِّ العرب، فها نحن أوَّل مَنْ يُبارك للشَّرِّير في تمزيق أشلاء أطفالنا في فلسطين، ولا زلنا نُزمِّر مع الأشرار المزامير التي تُمجِّد مَنْ يُهشِّم رُؤُوس أطفالنا في العراق حين نُغنِّي أغاني داوود التي تقول:

يا بنت بابل المُخرَّبة طُوبى لِمَنْ يُجازيك جزاءك، الذي جازيتنا، طُوبى لِمَنْ يُمسك أطفالك ويضرب بهم الصَّخرة.

(المزمور 137: 8).

ألسنا أحفاد بابل ونحن نلعن أجدادنا البابليِّيْن بهذه الأغاني الشَّرِّيرة الحقيرة، فها هي قوى الشَّرِّ تُترجم هذه الأغاني الشَّرِّيرة على أرض الواقع في بابل العراق. مليون ونصف مليون ضحيَّة عراقيَّة حتَّى اليوم بين طفل رضيع وشيخ ضليع... وآه! وأواه! يا عبد السَّميع من هذا الأمر الفظيع.

والآن، آن الأوان يا خلاَّن، لندخل في صلب موضوعنا موضوع الكتاب، الأسفار المخفيَّة والأسفار السَّاقطة أو غير القانونيَّة والأسفار نصف القانونيَّة، كما تُسمَّى بعضها وحتَّى الأسفار القانونيَّة أو المُقدَّسة وما فيها من عُيُوب، ودع عنك لومي وعتابي، فإنَّ تلك المهاترات والتُّرَّهات والمُماحكات لا طائل منها، فإمَّا هي قبضة ريح أو هي ما لا تُغني العقل إلاَّ زيادة في التَّخربط والتَّخبُّط والتَّلخيط، والتَّشنطط، الذي نحن فيه نلج ونكتوي، وأشرار هذا العالم وما فيها من جشع وطمع تبتهج من حولنا وتستنزف دماءنا، وتستحوذ على خيراتنا وهي ساخرة منَّا ومن تصوُّراتنا بينما عُقُولنا أودعناها في أضرحة الأولياء حتَّى جاء عليها البلاء، فخارت فينا العزيمة إلاَّ لسان ضليع الشَّتيمة لا يُجدي نفعاً لحياة كريمة.



هفوات التَّوراة

الأسفار المنحولة والأسفار المُزوَّرة

كانت حكايات التَّوراة وأساطيرها موروثاً شفهياً قديماً تتناقلها الأجيال اللاَّويَّة أَبَّاً عن جد، شفهاً بشكل أساطير وحكايات مُسلِّيَّة، عندما كانوا يقضون سهراتهم ومُسامراتهم تحت الخيام أمام الحكواتي أو ما يُسمَّى بالحازي أو الرَّائي، وخاصَّة في فصل الشِّتاء البارد حول مواقد النَّار الدَّافئة، ولا سيَّما طبيعة العبرِّيِّيْن الرَّعويَّة، بوسع فراغها المُمل وليالي الشِّتاء الطَّويلة، جعلت هذه الأحاديث الشَّيِّقة تأخذ حيِّزاً كبيراً من حياتهم اليوميَّة، وكان هذا شغلهم الشَّاغل، وهاجسهم المُمتع وما زاد إلى هذه القصص المُسلِّيَّة، عُنصراً مُمتعاً مُشوِّقاً، تلك القصص الغراميَّة التي تتحدَّث عن تمُّوز وعشتار كنشيد الأنشاد. وأكثر من هذا تلك القصص الجنسيَّة المُثيرة التي تخوض في غمار الشُّذُوذ الجنسي والاغتصاب. وبالرَّغم من أنَّ أكثر هذه الخُلاعيَّة الشَّبقيَّة الجنسيَّة، نُسِّقت من التَّوراة إلاَّ أنَّ هذه التَّوراة لا زالت حُبلى بهذا النَّمط من الحكايات المُنحطَّة والبذيئة، ولا مجال لسرد الشَّواهد الكثيرة لأنَّ الصَّفحات هُنا تضيق بهذا الكمِّ ونكتفي بالإشارة فقط إلى بعضها، كرواية يهوذا، وهُو الأب الرُّوحي لسبط يهوذا في قصَّة زناه مع كنَّته تامار زوجة أبنائه الثَّلاثة الوارد ذكرها في سفر التَّكوين الإصحاح الثَّامن والثَّلاثون.

فأين الشَّرف؟ وأيُّ شرف يبقى في أخلاقيَّات هذا النَّبي وغيره من دُعاة النُّبوَّة الذين ضاجعوا زوجات أبنائهم، إنْ كان برضاهنَّ أو كُرهاً لهنَّ، إنْ كان

بوحي من ربِّهم أو بمُبادرة منهم، فهل أولئك هُم السَّلف الصَّالح الدَّاعون لدين الله، والذين ما علينا إلا الاقتداء بهم؟

وكذلك أودُّ أنْ أُشير إلى قصَّة النَّبي البار لوط، ومُضاجعته لابنَتَيْه كما جاء في سفر التَّكوين، الإصحاح التَّاسع عشر، وكذلك نُشير إلى قصَّة أمنون ابن الملك داوود واغتصابه لأُخته تامار، الوارد ذكرها في الإصحاح الثَّالث عشر من سفر صموئيل الثَّاني، وهُناك الكثير الكثير من قصص الزِّنا والدَّعارة والاغتصاب، ولا سيَّما مع المُحرَّمات، ولا مجال لذكرها، فإنْ أردنا المزيد والتَّفصيل في دراسة هذه الأنماط العُهريَّة، فيُمكننا أنْ نقرأ الكثير عنها في كتابنا «الأسوأ من سادوم وعامورة: الزَّانيات المُقدَّسات في صفحات التَّوراة» فهي تُحفة تُخلِّد أخلاق شعب مُقدَّس، بامتياز الوحي المُقدَّس. وشهادة الكتاب المقدس والذي لا يدري يظنه كف عدس.

عند تدوين التَّوراة استكربت الكثير من تلك الأسفار، ومع الأيَّام ومن وقت لآخر، هُذِّبت وشُذِّبت بقيَّة الأسفار ونُقِّحت ولُقِّحت بأقلام النَّوايا الحسنة، وعلى مدى التَّاريخ لم يتوقَّف من وقتها وحتَّى اليوم هذا التَّرقيع والتَّلميع، وبعد التَّدوين وإلى أوقات مُتأخِّرة نسبيَّاً من التَّاريخ العبري نسج على ذات النّول الخلف الصَّالح.

أُسقطت بعض الأسفار من مجموعة الكُتُب المُقدَّسة بسبب انحطاطها الأخلاقي على حدِّ زاعمي رافضيها، أو لركاكة رواياتها وعدم توافقها مع المنطق، أو لاختلاف وتناقض بعضها الآخر، إمَّا مع أسفار أُخرى أو لاختلافها مع الواقع الجُغرافي، أو مع الأحداث التَّاريخيَّة المعروفة، ففي سفر يهوديت على سبيل المثال، وهُو من الأسفار نصف القانونيَّة أو الأسفار القانونيَّة الثَّانية كما تُسمِّيه الكنائس القبطيَّة والسُّوريَّة الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة ورد فيه أنَّ نبوختنصر ملك نينوى كما جاء في إصحاحه الأوَّل:

وإنَّ نبوكدنصر (نبوختنصر)، ملك آشور الذي كان مالكاً على نينوى المدينة العظيمة.

(سفر يهوديت 1: 5).

ولكنْ؛ ما هُو معروف للجميع أنَّ نبوختنصر كان ملكاً لبابل، وليس ملكاً لنينوى وهذا من البديهيَّات الثَّابتة في صفحات تاريخ المنطقة، وهُو أيضاً ما أكَّدت عليه الأسفار الأُخرى من الكُتُب المُقدَّسة، وهذا ما جاء في عشرات الآيات، نذكر منها على سبيل المثال:

في أيَّامه صعد نبوختنصر ملك بابل...

(المُلُوك الثَّاني 24: 1).

وفي السَّنة الثَّالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا، ذهب نبوختنصر ملك بابل إلى أورشليم...

سفر دانيال1: 1.

إذاً؛ نبوختنصر هو ملك لبابل وليس ملكاً لنينوى كما جاء في سفر يهوديت.

وفي قاموس الكتاب المُقدَّس تحت عُنوان آدم وحوَّاء نقرأ:

أسفار آدم وحوَّاء ـ كتبة هذه الأسفار غير القانونيَّة يهود كتبوها في الآراميَّة قبل سُقُوط أُورشليم في سنة 70 ميلاديَّة ولا زالت أجزاء من هذه الأسفار باقية إلى اليوم في ترجمات مُختلفة وتُسمَّى هذه الأسفار في التَّرجمة اليونانيَّة (رُؤيا مُوسى)، وهذا خطأ ومَنْ يدرس هذه التَّرجمات سوف يرى أنَّ فيها إضافات وضعها كُتَّاب مسيحيُّون، ونجد فيها وصفاً خياليَّاً مُفصَّلاً لما حدث لآدم وحوَّاء بعد السُّقُوط.

قاموس الكتاب المُقدَّس ص4.

ومن الأسفار المفقودة جاء في التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس صفحة 742: «تذكر ثلاثة كُتُب في سفري المُلُوك الأوَّل والثَّاني هي: كتاب أخبار أيَّام مُلُوك إسرائيل، كتاب أخبار أيَّام مُلُوك يهوذا (14: 19، 29)، كتاب تاريخ سُليمان (11: 41)، وكانت هذه الكُتُب سجلاَّت تاريخيَّة لإسرائيل ويهوذا وكانت المصادر الرَّئيسيَّة التي وجَّه الله كاتب سفرَيْ المُلُوك لاستخدامها ولم تُكتشف أيّ نسخ من هذه الكُتُب».

إذاً؛ أُسقطت بعض الأسفار بسبب هذه التَّناقضات والأخطاء والعُيُوب، ولكنْ؛ رغم ما أُسقط وقُطع، ورُقِّع، وفُسخ، ومُسخ، ونُسِّخ من الصَّفحات إلاَّ

أنّنا نجد أنَّ مُدوِّني هذه التَّوراة سهوا عن كثير من هذه التَّناقضات المنطقيَّة والعُيُوب الأخلاقيَّة، ولا سيَّما أنَّ السِّفر الواحد كثيراً ما كان منهله أكثر من مصدر وكاتبه أكثر من كاتب، فعلى سبيل المثال، إنَّ ما جاء في سفر أشعيا يقول قاموس الكتاب المُقدَّس: «والرَّأي الذي ساد طوال الأجيال هُو أنَّ أشعيا النَّبي الذي عاش في القرن الثَّامن وأوائل القرن السَّابع قبل الميلاد، هُو كاتب هذه النُّبوءات، إلاَّ أنَّ النُّقَّاد في العُصُور الحديثة قالوا إنَّ أشعيا كَتَبَ القسم الأوَّل من الإصحاح الأوَّل حتَّى الإصحاح التَّاسع والثَّلاثين، وإنَّ كاتباً آخر اصطلحوا على تسميته أشعيا الثَّاني كَتَبَ القسم الذي يشمل من الإصحاح الأربعين حتَّى الإصحاح الخامس والخمسين، وإنَّ كاتباً ثالثاً اصطلحوا على تسميته أشعيا الثَّالث كَتَبَ القسم الذي شمل من الإصحاح السَّادس والخمسين حتَّى الإصحاح السادس والسّتين.

ويُضيف الكتاب قوله:

«وقد قال النُّقَّاد إنَّ هُناك إشارات في أشعيا إلى الأُمم الأجنبيَّة تُظهر أحوال ما بعد السَّبي لا الأحوال والظُّرُوف التي كانت سائدة في عصره.

(قاموس الكتاب المُقدَّس، ص83ـ84).

ولكنْ؛ لماذا حفاظاً على قُدسيَّتها وعصمتها ولماذا هذا التَّغابي؟ لماذا لا يُقال إنَّ سفر أشعيا كَتَبَه أكثر من شخص، ونسبته إلى أشعيا هُو انتحال للشَّخص المذكور؟ وبالتَّالي يبقى سفر أشعيا سفراً منحولاً مُزوَّراً ساقطاً من القُدسيَّة؟ هل يُريد المُلفلفون أنْ يجعلوا من الأشعيات الثَّلاثة واحداً أحداً؟ هذا غير مُمكن لأنَّ هذا السّفر يتحدَّث عن أخبار غطَّت فترة زمنيَّة تجاوزت القرنَيْن من الزَّمان.

إنَّ الأسفار التي نُسبت إلى غير كاتبها كثيرة والإضافات إلى هذه الأسفار أكثر من أنْ تُحصى، وحول هذه القضيَّة ولا سيَّما التوراة المنسوبة إلى مُوسى، يقول مُعجم اللاَّهوت الكتابي:

«ولعل أهمَّ وأثمن مجموعة لدى اليهود هي التَّوراة، أي أسفار مُوسى الخمسة. فإذا كانت هذه الأسفار تُسجِّل حوادث البدء؛ حيثُ لم يكن هُناك

غير الله خالقاً (قصَّة الخلق في سفر التَّكوين)، فهُناك أيضاً مواقـف تُظهـر أنَّهـا جاءت بعد عصر مُوسى نفسه: فهُناك القوانين التـي تحكـم الـشَّعب في عـصر الزِّراعة، عندما اسـتقرَّ في أرض كنعـان بعـد مـوت مُوسـى بـسنوات طويلـة (خُرُوج 34: 21ـ26 وغيرهـا)، وهُنـاك قـوانين تخـتصُّ بـالحجِّ إلى حـبرون وبعدها إلى أُورشليم في وقت المواسم والأعياد (تثنية 12: 18ـ22 وغيرهـا)، هذه كُلُّها وغيرها الكثير أُمُور حدثت بعد عهد مُوسى بأيَّام طويلة»، ويُـضيف مُعجم اللاَّهوت قوله: «في كُتُب الأنبيـاء لم يكـن التَّتـابع التَّـاريخي أو الزَّمنـي للنُّبوءات هُو الذي يُحدِّد موضعها في الكتاب، ويظهـر هـذا بوُضُـوح في سـفر نبوءات إرميا: فمَنْ يقرأ السفر لابُدَّ وأنْ يعـرف أنَّ الإصـحاح الأخـير يُـشابه ما جاء في (أشعيا 40 وما بعده)، أي يخصُّ عصراً مُتأخِّراً، ويعتقد العُلـماء أنَّ مـا كتبـه إرميـا في 25: 12ـــ14، يحتـوي معلومـات مُتـأخِّرة عـن عـصر إرميا(39: 1و2و4و10)، وضعت في غير مكانهـا وهكـذا». هـذا مـا يقولـه مُعجم اللاَّهوت الكتابي ويُضيف أيضاً ويقول: وليس ذلـك فقـط، بـل هُنـاك تيَّارات عديدة مُتباينة وأحياناً مُتناقضة تظهر في العهد القديم. فبعـد أنْ رجـع الشَّعب من السَّبي، تملكه تيَّار العُزلة عن الأُمم ومقاطعة كُلّ ما هُو غريب عن عادات الشَّعب وتقاليده. ولعل أهمَّ مثل على ذلك هُـو إجبـار أولئـك الـذين تزوَّجوا غريبات أنْ يُطلِّقوهنَّ.

(نحميا 13: 23ـ31).

وهدَّد نحميا ومَنْ معه كُلَّ مَنْ تكون له صلة خارجاً عن إسرائيـل بـالنَّفي والقطع، هذا التَّيَّار يناقضه تيَّار آخر وهُـو الـدَّافع الـذي كـان وراء كتابـة سـفر راعوث وخُصُوصاً 4: 13ـ 23؛ حيث يظهر الكاتب أنَّ داوود نفسه جاء من أُمٍّ غريبة عن إسرائيل، كذلك كـان الـدَّافع وراء يُونـان بـما فيـه تـوبيخ شـديد لـه (يُونان4: 9ـ11). وهُنـاك حادثـة عمـل تعـداد لبنـي إسرائيـل فقـد وردت في صموئيل الثَّاني 24: 1 على أنَّها نتيجة لغضب الرَّبِّ على الـشَّعب، أمَّـا في أخبـار الأيَّام الأوَّل 21: 1، فقد كانت من تدبير الشَّيطان وليس الرَّبّ. ومَـنْ يـستطيع

أنْ يُنكر أنَّ ما جاء في إرميا 7: 21ـ22، يُناقض ما ورد في كُلٍّ من سفر اللاَّويِّيْن عن تقدمة الذَّبائح.

(مُعجم اللاَّهوت الكتابي، ص10).

هذا اعتراف خطير من مُعجم اللاَّهوت الكتابي حول هذه التَّناقضات الصَّارخة، وإنْ حاول المُفسِّر التخفيف والتَّلطيف لها بعض الشَّيء ونحن لنا فيها تفسير وتوضيح أكثر، ولا سيَّما في قضايا أهمّ ممَّا ذكر، ولكنَّنا الآن بصدد الإشارة إلى بعض الخلافات البسيطة، فعلى سبيل المثال، لو انتبهنا إلى صفحات التَّوراة نُلاحظ بأنَّ سنَّ الخدمة كان يبدأ في الثَّلاثين من العمر بحسب ما جاء في عدد 4: 3، من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين كُلٌّ داخل في الجُنْد ليعمل عملاً في خدمة الاجتماع.

بينما نجد في نفس السّفر عدد 8: 24، هذا ما للاويِّيْن من ابن خمسة وعشرين سنة فصاعداً يأتون ليتجنَّدوا. أمَّا أخبار الأيَّام الأولى يُخبرنا بأنَّ الملك سُليمان حدَّد سنَّ الخدمة من سنِّ الثَّلاثين وما فوق بحسب الإصحاح الثَّالث والعشرين الفقرة الثَّالثة، بينما الفقرة الرَّابعة والعشرين من الإصحاح نفسه، تُحدِّد سنَّ الخدمة ابتداءً من سنِّ العشرين وما فوق، فإنْ دلَّ هذا التَّباين في السفر الواحد أو بين سفر وآخر على شيء، فهذا يعني أنَّ حتَّى السّفر الواحد كَتَبَه أكثر من شخص، وهذا أيضاً ما أكَّد عليه مُعجم اللاَّهوت الكتابي، وكذلك قاموس الكتاب المُقدَّس كما أسلفنا قبل قليل، ولهذا كان من الطَّبيعي جدَّاً أنْ يختلف اسم الشَّخص بين رواية وأُخرى وحتَّى الرِّواية الواحدة عندما يأتي المُتنبِّئ بكلام مُكرَّر لغيره من الأنبياء، ويزعم أنَّه يكتب مُلقَّناً من الرُّوح القُدس فهنا أيضاً وكثيراً ما تظهر أخطاء في النَّقل لتشابه الحُرُوف كما جاء في سفر التَّكوين 46: 10، بكر شمعون باسم يموئيل، بينما كاتب سفر أخبار الأيَّام الأوَّل 4: 24، وسفر العدد 26: 12، أورده باسم نموئيل، وما هُو جدير بالذِّكر أنَّ حرف الياء والنُّون في اللُّغة الآراميَّة واللُّغة العبريَّة وكذلك العربيَّة، هُما حرفان مُتشابهان أي أنَّ حرف الياء يُشبه حرف النُّون، وهذا ما جعل مُدوِّن إحدى الرِّوايتَيْن وهُو

ينقلها عن غيره يُخطئ لتشابه الحرفَيْن المذكورَيْن. فإنْ دلَّ هذا على شيء فهذا يعني أنَّ كاتب سفر التَّكوين 46: 10 ليس كاتب سفر العدد 26: 12، وبالتَّالي؛ أحد السّفرَيْن لم يكتبه مُوسى، ورُبَّما كاتب سفر العدد 26: 12 هو كاتب سفر أخبار الأيَّام الأوَّل 4: 24، ولا سيَّما أنَّ هذا السّفر الأخير لا زال مجهولاً كاتبه حتَّى اليوم.

ومن الأسماء التي اختلفت كثيراً بين رواية وأُخرى نذكر مثلاً آخر، وهُو كاتب الملك داوود، ومن بعده سُليمان، هذا الكاتب أيضاً جاء بعدَّة أسماء مُتباينة في عدَّة روايات ففي أخبار الأيَّام الأوَّل 18: 16، جاء باسم شوشا وفي مُلُوك الأوَّل 4: 3، جاء باسم شيشا وفي صموئيل الثَّاني 8: 17، جاء باسم سرايا وفي صموئي الثَّاني 20: 15 جاء باسم شيوا، وكُلُّ هذه الأسماء هي أسماء لشخص واحد، ومُمكن التَّأكُّد من هذا بدراسة هذه الفقرات المُشار إليها ومُقارنتها. انظر كذلك قاموس الكتاب المُقدَّس تحت هذه الأسماء. وهو يُؤكِّد على هذه الأخطاء، فإذا كان هُناك دلالة على هذه الاختلافات فلها معنى واحد، وهُو أنَّ الذي كان يُدوّن هذه الكلمات مُدَّعياً أنَّه يكتب بوحي من الرُّوح القُدس أو من الله فهُو يكذب.

وكما أنَّ مُوسى لم يكتب سفرَيْ التَّكوين والعدد المُشار إليهم قبل قليل للحُجَّة التي بيَّنَّاها، أو على الأقلِّ أنَّ أحد السّفرَيْن لم يكتبه مُوسى، هكذا النَّبي صموئيل لا يُمكن له أنْ يكتب اسم هذا الكاتب المار ذكره باسمَيْن مُختلفَيْن ولا سيَّما أنَّ قسماً من سفر صموئيل الأوَّل، وصموئيل الثَّاني بالكامل، يتحدَّث عن موت صموئيل وأحداث كثيرة حدثت بعد موته وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً، أمَّا الآن فنُتابع هذه النَّماذج من الأخطاء الواردة في صفحات التَّوراة.

في سفر صموئيل الثَّاني 23: 31 ورد اسم أحد أبطال داوود باسم أبي علبون العرباتي، بينما سفر أخبار الأيَّام الأوَّل 11: 32، يُسمِّيه أبا ايل العرباني.

ورد اسم أبيمالك في أخبار الأيَّام الأوَّل 18: 16، اسماً لكاهن في أيَّام داوود وهُو ابن أبيثار من نسل عالي، بينما يُسمِّيه أخبار الأيَّام الأوَّل 24: 6 أخيمالك وشتان ما بين أبي مالك وأخي مالك.

ورد في عدد 26: 38 أحيرام اسم لرجل بنيـاميني وهُـو أب لعـشيرة مـن سبط بنيامين، بينما جاء في أخبار الأَيَّام الأوَّل 7: 12 باسـم أحـير، أمـا في سـفر التَّكوين 46: 21 جـاء باسـم إيحـي وفي أخبـار الأَيَّـام الأوَّل 8: 1 جـاء باسـم أخرخ. انظر قاموس الكتاب المُقدَّس تحت هذه الأسـماء، أو الـصَّفحة 30 تحـت اسم أحيرام! وهي تحفة نادرة توضح هذه الشوشرة.

أحد أبطال داوود يُدعى يجـال بـن ناثـان مـن صـوبة بحـسب صـموئيل الثَّاني23: 36، بينما في أخبار الأَيَّام الأوَّل 11: 38 يُدعى يوئيل أخو ناثان.

يـصري هُـو رئـيس الفرقـة الرَّابعـة مـن المُغنـين بحـسب أخبـار الأَيَّـام الأوَّل25: 11 بينما في أخبار الأَيَّام الأوَّل 25: 3 جاء باسم صري.

ابن يوشيا وخليفته يُدعى يهو أحاز بحسب مُلُوك الثَّاني 23: 30، بيـنما في أخبار الأَيَّام الأوَّل 3: 15 وإرميا 22: 11 يُدعى شلوم.

ابن آحاز من نسل يوناثان بن شاول جاء باسم يهـو عـدَّة بحـسب أخبـار الأوَّل 8: 36 بينما في أخبار الأوَّل 9: 42 جاء باسم يعرة!

وكان كاهن يُقيم في أورشـليم اسـمه أحـزاي ابـن مـشليموث بـن أمـير (نحميا 11: 13) بينما سفر أخبار الأَيَّام الأوَّل 9: 12 يُسمِّيه يحزيرة.

رأس أُسرة عاد بعض أفرادها من سبي بابل مع زر بابل والبعض مع عزرا يُسميه عزرا (2: 13ـ8: 13) باسم أدونيقام بينما نحميا 10: 16 يُسمِّيه أدونيا.

أخيا ابن أخيطوب وكان رئيس كهنة يُسمِّيه (صموئيل الأوَّل 21: 1ــ9) أخيمالك وفي (صموئيل الأول 14: 3 و18) جاء باسم أخيه.

رجل من بنيامين من الذين نقلوا من جبع إلى مناحة يُـسمِّيه أخبـار الأَيَّـام الأوَّل 8: 6ـ7، أخيا بينما العدد 4 ومن الإصحاح نفسه يُسمِّيه أخوخ.

ازني ابن جاد وهُو أبـو عـشيرة الأزنيِّـيْن (عـدد 26: 16)، يُـسمِّيه سـفر التَّكوين 46: 16، أصبون.

وللتَّأكُّد من هذه الأخطاء والتَّناقضات في الكتاب المُقدَّس انظـر قـاموس الكتاب المُقدَّس تحت هذه الأسماء لأنَّ هذا القاموس يُؤكِّد على هذه التَّناقضات.

بعد أن أشرنا بإشارة عابرة إلى بعض الأخطاء والتَّباينات في الأسماء كما أكَّدنا على أنَّ السّفر الواحد لابُدَّ وأنْ كَتبَه أكثر من شخص ولنا في هذا بعض الحديث، ولكنْ؛ الآن أودُّ أيضاً أنْ أُشير إلى أخطاء في التَّوراة من نوع آخر، ومن ثُمَّ نأتي لدراسة الأسفار السَّاقطة أو ما تُسمَّى بالأسفار المنحولة، أو المُزوَّرة أو غير القانونيَّة، كما سنأتي أيضاً على دراسة الأسفار نصف القانونيَّة أو نصف المنحولة، وكذلك سنأتي على دراسة بعض الأسفار القانونيَّة المُقدَّسة أو غير المُزوَّرة، ولكنْ؛ بداية أودُّ أنْ أُشير إلى نماذج من التَّباين والاختلاف في الرِّواية بين العهدَيْن القديم والجديد.

عشرات الآيات في العهد القديم جاءت لتقول إنَّ الرَّبَّ رجل حرب، كما في خُرُوج 15 : 3، بينما العهد الجديد أو الرِّسالة المسيحيَّة وخاصة المُوجَّهة للعبريِّيْن كانت على عكس ذلك تماماً كما في الرِّسالة إلى العبرانيِّيْن 13 : 20، الرَّبُّ إله سلام وليس رجل حرب.

وإذا كان إله إسرائيل أمر بطرد سُكَّان الأرض، وقتل شُعُوبها وامتلاك أراضيها ملكاً أبديَّاً، فإنَّ المسيح قال أعطوا ما لقيصر لقيصر لأنَّ مملكتي ليست من هذا العالم.

يُوحنَّا 18 : 36.

فتطردون كُلَّ سُكَّان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتُبيدون كُلَّ أصنامهم المسبوكة، وتُخرِّبون جميع مُرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها...

(عدد 33 : 52ـ53).

لست الآن هُنا بصدد استحضار الكثير من وجه التَّناقض الأيديولوجي بين المسيحيَّة واليهوديَّة، رغم أنَّ المسيحيَّة جاءت ثورة على المُوسويَّة، ونقضتها عن بكرة أبيها، وفي كُلِّ شيء من الكهنوت والختان والسَّبت وفي كُلِّ شيء جوهري، وهُنا لست بهذا الصَّدد، وإنَّما أودُّ أنْ أُشير إلى نوع آخر من الخلاف بين العهدَيْن وهُو تباين الرِّواية الواحدة بين العهدَيْن.

فعلى سبيل المثال، ورد في سفر التَّكوين 10: 24 و11: 10 وأخبار الأيَّام الأوَّل 1: 18ـ أنَّ سام ولد أرفكشاد وأرفكشاد ولد شالح، أي أنَّ شالح هُو ابن ارفكشاد ابن سام، بينما في لُوقا 3: 36، ورد بأنَّ شالح ابن قينان ابن أرفكشاد ابن سام، أي إنَّ قينان أسقط من سفر التَّكوين أو أُضيف إلى إنجيل لُوقا؟

يقول كليم الله مُوسى الذي ينقل لنا أخبار الوحي مُباشرة من الله ووجهاً لوجه:

وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب، جاء كُلُّ إنسان وبيته، راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير وكانت جميع نُفُوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً.

(سفر الخُرُوج 1: 1ـ5، وكذلك تكوين 46: 27).

إذاً سبعون نفساً فقط دخلوا أرض مصر بينما لوقا البشير يقول غير هذا الكلام:

فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب، وجميع عشيرته خمسة وسبعون نفساً.

(أعمال الرُّسُل 7: 14).

جاء في أخبار الأيَّام الأوَّل 3: 15ــ16، بأنَّ أولاد يُوشيا: يوحانان ويهوياقيم وصدقيا وشلوم وابنا يهوياقيم يكنيا وصدقيا، أي إنَّ يكنيا ليس ابن ليوشيا، بل هو ابن ليهوياقيم، أمَّا في إنجيل متَّى فقد جاء بأنَّ يوشيا ولد يكنيا وأخوته عند سبي بابل.

إنجيل متَّى 1: 11.

والآن عودة ثانية إلى العهد القديم والتَّناقض بين سفر وآخر والتَّناقض في السّفر الواحد:

يقول النَّبي صموئيل إنَّ أبيجايل ولدت ولداً واحداً لداوود اسمه كيلاب، بحسب ما جاء في صموئيل الثَّاني 3: 3، بينما أخبار الأوَّل 3: 1 جاء دانيئيل ابناً لأبيجايل!

ورد في سفر المُلُوك الثَّاني 24: 8، وكان يهوياكين ابن ثمان عشرة سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر في أورشليم، ولكنْ؛ في أخبار الأيَّام الثَّاني 36: 9 ورد: كان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيَّام في أُورشليم. فهل كان عمر هذا الطِّفل حين ملك ثمان عشرة سنة، أم ثمان سنين؟وهل ملك ثلاثة أشهر أم ملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام أم أن عشر سنوات من عمر ياهو ياكين من الرواية الأولى سقطت في الرواية الثانية لتصبح عشرة أيام زيادة في السنين حكم هذا الملك؟ هل هذا التخبيص يمكن لنا أن نقول عنه كتب بإرشاد الروح القدس؟ أليس من المفروض أن يكون الوحي معصوماً من الخطأ؟ فما قولكم يا من هداكم ربكم؟ ولكن ما يزيد في رصيد هذا الرَّاوي من الغباء هُو قوله إنَّ هذا الملك يهوياكين والبالغ من العمر ثمان سنوات كان له عدد من النِّساء لا يذكر عددها رُبَّما كالنَّبي سُليمان حاز على ألف زوجة مع أنَّ هذا الملك الطِّفل لم تتجاوز فترة حُكمه الثَّلاثة شُهُور وعشرة أيَّام فكيف حصل هذا يا رعاك الله! هل لك يا سيِّدي أنْ تُسعفني بالجواب؟ ثُمَّ هل تعلم يا سيِّدي أنَّ هذا الطِّفل هُو جدير بأنْ يُحسد من أناس حسودين جدَّاً مثلي لأنِّي وبعد أنْ تجاوزت الثَّمان سنوات من عمري صبرت عشرين سنة أُخرى إلى أنْ تزوَّجت بزوجة واحدة فقط، أخذت فيها مُؤبَّد والعزُّ للذي لا يُعَزُّ على عوز سِواه، فكيف لا يُحسد هذا الطِّفل الذي لم يتجاوز الثَّمان سنوات وله الكثير من النِّساء؟ والله يا ياهو ياكين أنت محسود مثل ابن داوود الذي ألف في زوجاته الألف بين جارية مُخصية وحُرَّة أصيلة. وسبي ياهو ياكين إلى بابل وأُمُّ الملك ونساء الملك! وخصيانه...

(سفر المُلُوك الثَّاني 24: 15)

والسُّؤال هُنا ثانية: ما هي حاجة هذا الطِّفل يهوياكين لهؤلاء الخصيان من الخدم والحشم، هل حقَّاً كان لهذا الطِّفل نساء كثيرات فأخصى خدمه وحشمه خوفاً من فُحُولة أُولئك الخدم؟ أنا لا أظنُّ أنَّ هذه الأخبار هي أكثر من كذبة توراتيَّة.

ولم يكن في كُلِّ إسرائيل رجل جميل وممدوح جدَّاً كأبشالوم من باطن قدمه حتَّى هامته، لم يكن فيه عيب وعند حلقه رأسه، إذ كان يحلقه في آخر كُلِّ سنة

لأنَّه كان يُثقل عليه فيحلقه، كان يزن شعر رأسه مئتي شاقل بوزن الملك، وولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها تامار، وكانت امرأة جميلة المنظر.
(صموئيل الثَّاني 14: 25ـ27).

أنْ تكون قُوَّة شمشون في شعره لا في عضلات جسمه أو أنْ يزن شعر هذا الشَّاب الجميل أبشالوم مئتي شاقل أي نحو ألفين وخمسمائة غرام فهذا كلام فيه (إنَّ) ولكنَّه كلام وحي من الرَّبِّ شاء مَنْ شاء، وأبى مَنْ أبى، وها هي التَّوراة تشهد وكفى بكلام الله شهيداً.

ولكنْ؛ كيف لنا أنْ نستوعب ونفهم من هذا الوحي قوله إنَّ هذا الشَّاب الجميل أبشالوم ولد له ثلاثة من البنين وبنت واحدة، وكانت امرأة جميلة المنظر، وإذا تابعنا هذه الأخبار نجد بعد أربعة إصحاحات من السّفر نفسه أنَّ لهذا الأبشالوم لم يولد أي ولد أو بنت ليُخلِّد اسمه! فما رأيكم يا رعاكم ربّكم؟

إذاً تعالوا لنقرأ هذه الأخبار التي دُوِّنت بوحي من الرُّوح القُدس:

وكان أبشالوم قد أخذ وأقام لنفسه وهُو حي النَّصب الذي في وادي الملك، لأنَّه قال ليس لي ابن لأجل تذكير اسمي، ودعا النّصب باسمه وهُو يدعى يد أبشالوم إلى هذا اليوم.

(صموئيل الثَّاني 18: 18).

وللفائدة المرجوَّة وأخذ العبرة أيضاً، أذكر سيِّدي القارئ من أنَّ هذا الأبشالوم الجميل جدَّاً أو الممدوح في لغة الوحي، والذي لم يكن في كُلِّ إسرائيل رجل جميل وممدوح مثله كما يصفه النَّبي صموئيل، فصدق أو لا تُصدِّق بأنَّه كان قد ضاجع عشراً من نساء أبيه دفعة واحدة، وأمام كُلِّ إسرائيل ودُون أي مُقاومة من تلك النِّساء، لا لسبب إلاَّ لأنَّه كان جميلاً جدَّاً، لا بل لأنَّها خطَّة الله التي أوحاها للنَّبي أخي توفل، الذي كان يتكلَّم كلام الله تماماً، وإذا علمنا أنَّ هذا الفحل أبشالوم هُو ابن النَّبي والملك داوود، فلابُدَّ أن نُسبِّح القادر القدير على هذه التَّخلفة التي شابهت السَّلف الـ... عفواً المُحترم جدَّاً جدَّاً.

وقال أبشالوم لأخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل فقال أخيتوفل لأبشالوم ادخل إلى سراري أبيك اللَّواتي تركهنَّ لحفظ البيت، فيسمع كُلُّ إسرائيل أنَّك قد صرت مكروهاً من أبيك فتتشدَّد أيدي جميع الذين معك، فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل، وكانت مشورة أخيتوفل التي كان يُشير بها في تلك الأيَّام كمَنْ يسأل بكلام الله!!!
(صموئيل الثَّاني 16: 20).

أليس هذا الأبشالوم فحل الله المُختار، أليست هذه الإلهامات وحياً من الله للنَّبي أخيتوفل للتَّهذيب والتَّأديب وأخذ العبر؟ أليست كُلُّ صفحات التَّوراة إلهامات مُقدَّسة؟

كُلُّ الكتاب هُو مُوحى به من الله، ونافع للتَّعليم والتَّوبيخ للتَّقويم والتَّأديب الذي في البر لكي يكون الإنسان كاملاً مُتأهلاً لكُلِّ عمل صالح.
(رسالة بولس الثَّانية إلى تيموثاوس 3: 16).

ورد في صموئيل الأوَّل 16: 10 بأنَّ يسى أبو داوود له ثمانية أبناء كما نقرأ في صموئيل الأوَّل 17: 12، وداوود هُو ابن ذلك الرَّجل الأفراتي من بيت لحم يهوذا، الذي اسمه يسى وله ثمانية من البنين، أمَّا في أخبار الأوَّل 2: 13 ورد بأنَّ يسى له سبعة من البنين: ويسى ولد بكره الياب وابيناداب الثَّاني وشمعي الثَّالث ونثنيئل الرَّابع ورادي الخامس وأوصم السَّادس وداوود السَّابع وأختاهم صروية وأبيجايل.

فأيُّها أصدق سبعة أم ثمانية أم تسعة؟.

أمَّا في صموئيل الأوَّل 16: 9 و17: 13 ورد بأنَّ اسم الابن الثَّالث شمة بينها في صموئيل الثَّاني 21: 21 وأخبار الأوَّل 2: 13 ورد باسم شمعي!

أمَّا الآن أودُّ أنْ أُشير مُجرَّد إشارة عابرة لا إلى نماذج من هذه التَّناقضات الآنفة الذِّكر وإنَّما إلى نماذج من النَّسخ والمسخ والتَّقطيع والتَّرقيع القبيح الذي ينتهجه أُولئك المُفسِّرون الأُمناء جداً والنُّزهاء جدًّا، جدًّا، فيما يُفسِّرون ويُؤتَمنون عليه.

ورد في صموئيل الثَّاني 7: 4، وفي تلك اللَّيلة كـان كـلام الـرَّبِّ إلى ناثـان قائلاً: اذهب وقُل لعبدي داوود هكذا قال الرَّبُّ: أ أنت تبني لي بيتـاً لـسكناي؟ إنَّ هذا الكلام من ربٍّ فهذا ربٌّ جهول، لا يعلم إذا كان داوود هُو الذي سيبني له البيت أو غيره، ولكنَّ ترقيعاً لهذه الحقيقـة وتمييعـاً لهـذه الوثيقـة المهزلـة جـاء المُفسِّرون ليزيدوا في الطِّين بلَّة، فكتبوا في كثير من النُّسخ هذه الآية بهذه الصُّورة (لست أنت الذي ستبني لي بيتاً)، إذاً قطعت كلمة أ أنت الاستفساريَّة ورُقِّعـت بكلمة لست أنت هذا كُلُّ شيء في التَّفسير التَّطبيقي للكتـاب المُقـدَّس، وكـذلك جاء في كتاب الحياة وهُو ترجمة تفسيريَّة للكتاب المُقدَّس، وهُو يقول: ولكـنْ؛ في تلك اللَّيلة قال الرَّبُّ لناثان اذهب وقُل لعبدي داوود لست أنت الـذي تبنـي لي بيتاً، لإقامتي.

وهذا مثل آخر على أمانة المُفسِّرين المُحلَّفين النَّزيهين جدًّا جدًّا.

في قـصَّة الحـرب بـين إسرائيـل وفلـسطين انكـسر إسرائيـل واسـتولى الفلسطينيُّون على تابوت الرَّبِّ فوضعوه في معبد داجون، فقام ياهو وخرج مـن تابوته في منتصف اللَّيل وكسر يد داجـون ورقبتـه وعـاد إلى مخبئـه ثانيـة، وعنـد الصَّباح خاف الفلسطينيُّون وأعادوا هـذا التَّـابوت إلى إسرائيـل، ولـشدَّة فـرح الإسرائيليِّن بعودة تابوت الرَّبِّ اندفع لرؤيته خمسون ألف رجل وسبعون رجلاً، فغضب الرب منهم فقتلهم جميعاً والجدير ذكرهُ أن أُولئك الذين تـدافعوا لرُؤيـة تابوت ربِّهم كانوا من بيت شمس وبيت شمس هـذه يـسكنها فقـط اللاَّويُّـون، واللَّاويُّون هُم النُّخبة الأقدس التي أوصى مُوسى بأنْ تقتصر مهنة الكهنـوت في نسلهم فقط.

ورد في صموئيل الأوَّل 6: 19، وعاقب الـرَّبُّ أهـل بيـت شـمس فقتـل منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً لأنَّهم نظروا إلى ما بداخل التَّابوت، هـذا ما جاء في صفحات التَّوراة، ولأنَّ هذا الكـلام الأخـرق لا ينطـق بـه إلاَّ أحمـق مجذوبٌ من آذانه الطويلة، ولا يُمكن لعاقل أنْ يقبل به إذ كيف يُمكـن لخمـسين ألف رجل وسبعين رجلاً أيضاً أنْ يهجموا ويتدافعوا لينظـروا إلى هـذا التَّـابوت

الذي لا يُمكن أنْ ينظر إلى ما بداخله أكثر من عشرين أو ثلاثين رجلاً بـالكثير، ولأنَّ هذا الكلام الغبي أحرج المُفسِّرين الأفاضـل فـابتلعوا فقـط خمسين ألـف رجل من هذه الرِّواية السَّاذجة وقالوا: وعاقب الرَّبُّ أهـل بيـت شـمس فقتـل منهم سبعين رجلاً، قارن في ماجـاء في صـموئيل الأوَّل 6: 19، مـن صـفحات التَّـوراة ومـا جـاء تفـسيراً لهـذه الآيـة في التَّفـسير التَّطبيقـي للكتـاب المُقـدَّس صفحة 570، وانظر كذلك لكتاب الحياة، وهُو ترجمة تفسيريَّة للكتاب المُقدَّس، وكذلك الكتاب المُقدَّس إصدار لبنان 1995، أمَّا بقية التَّوراة العربيَّة والأجنبيَّـة فلم تحذف هذه الخمسين ألفاً وتركتها على حالها.

والـسُّؤال المُحـرج للمُفـسِّرين يبقـى: إذا كـان المُفـسِّرون لا يُـصدِّقون هـذه الأكاذيب فلماذا يلتزمون لعدم الأمانة في التَّرجمة والتَّفسير؟ لماذا النَّسخ والمسخ ولمـاذا ابتلعوا خمسين ألف رجل من أصل خمسين ألفـاً وسـبعين؟ ألم يكـن الأجـدر بهـم أنْ يقفزوا على تفسير هذه الآية بالكامل، كغيرها من الآيات المُحرجة التي قفـزوا عليهـا في مواضع أُخرى؟ هل يُمكن أنْ تكون هذه الأخبار كُتبت على صفحات المُقدَّسـات بتلقين من الرَّبِّ؟ أليس الوحي معصوماً من الخطأ والنِّفاق والمُبالغات غير المعقولة؟

إنَّ هوس المُبالغات في ما دوَّنه كَتَبَة التَّوراة كثيرة، فتـارة يعـد يـاهو شـعبه المُختار بأنَّهم سيكونون أكثر من تُراب الأرض ورمال البحـار، ونُجُـوم الـسَّماء، وتـارة يُخبرنـا مُـدوِّنو التَّـوراة أنَّ فُلانـاً مـن العبريِّـيْن قَتَـلَ بهـزَّة رمـح مئـات الأشخاص، نعم بهزَّة رُمح، فكيف تكون هذه الهزَّة التي تقتل المئـات؟ لا أفهـم فهل لك يا سيِّدي أنْ تستوعب هذه الهزَّة من ربِّ العزَّة؟

هذه أسماء الأبطـال الـذين لـداوود يوشـيب بـشبث التحكمـوني رئـيس الثَّلاثة، هو هزَّ رُمحه على ثمانمائة قتلهم دفعة واحدة.

(صموئيل الثَّاني 23: 8).

يا سُبحان الله على هذه البُطُولة! وهذا أيضاً البطل أبشاي أخو يـوآب ابـن صروية هُو رئيس ثلاثة، هذا هزَّ رُمحه على ثلاثمائة قتلهم دفعة واحدة.

(صموئيل الثَّاني 23: 18).

ولن ننسى طبعاً يشبعام بن حكموني رئيس الثَّوالـث هُـو هـزَّ رُمحـه عـلى ثلاثمائة قتلهم دفعة واحدة.

(أخبار الأيَّام الأوَّل 11: 11).

فما رأيكِ يا سيِّدتي الرَّقيقة بهذه الهزَّات الرَّشيقة؟

والآن عودة ثانية إلى نماذج أُخرى من النَّسخ والمسخ في الأصل:

وردت كلمة اليبروح خمس مرَّات في العهد القديم، وهذه الكلمة تُرجمـت عدَّة ترجمات مُختلفة بين نسخة وأُخرى،

في النُّسخة الهُولنديَّة طبعة أمستردام 1899، وطبعة أمستردام 1917، جـاءت مُترجمة إلى كلمة (Dudaim)، وهذه الكلمة ترجمتها بعض المراجع إلى ثمرة النُّبلاء وفي النُّسخة الهُولنديَّة طبعة هارلم سنة 1997، جاءت هذه الكلمة مُترجمة إلى تُفَّاح الحُـبِّ (Liefdes appelen)، وفي ترجمـات أُخـرى جـاءت مُترجمـة إلى كلمـة (Alruin)، أي اللُّفَّاح وهذه هي التَّرجمة الصَّحيحة، انظر إلى كلمة اللُّفَّاح الوارد ذكرها في كُـلٍّ مـن: سفر التَّكوين 30: 14ـ15ـ16، وكذلك انظر كتاب نشيد الإنشاد 7: 13.

والآن أودُّ الإشارة إلى آية شديدة الإحـراج للمُفسِّرين الأفاضـل الـذين حاولوا كثيراً تجميل هذه الآية المُخزية التي لَوَت عُـنقهم حتَّـى جعلـت أُنُـوفهم تحت إبطهم خجلاً.

إنَّ التَّقطيع والتَّرقيع لتلميع هذه الآية لم يضبط مع الأفاضل حتَّـى اليـوم، والآية أصلاً مُترسِّبة من سفر أسقطه رجـال الـدِّين في سـلَّة المهمـلات، ضـمن سلسلة الأسفار السَّاقطة، وهُو سفر ياشر الـذي توسَّـع كثـيراً في الحـديث عـن الحُبِّ اللُّوطي بين داوود ويوناثان ابن الملك شاول.

اختفى سفر ياشر، إلاَّ أنَّ الإشارات إليه والاستشهاد به بقي حتَّـى اليـوم على صفحات الكُتُب القانونيَّة، أمَّا ما يعنينا من رواسب سـفر يـاشر إلى التَّـوراة القانونيَّة هُو ما ذكره النَّبي صموئيل في قوله:

لقد كُنت شهياً إلي جدّاً وكان حُبُّك عندي أولى من حُبِّ النِّساء.

صموئيل الثَّاني 1: 26.

أي أنَّ داوود كان يشتهي يوناثان أكثر من شهوته للنِّساء.

أكثر من عشر نُسخ جاءت مُختلفة الواحدة عن الأُخرى في ذكر هذه الآية، وكُلُّ نُسخة من هذه النُّسخ جهدت لتخفيف المعنى المُخجل الذي تتضمَّنه هذه الآية، إلاَّ أنَّ كُلَّ المُحاولات باءت بالفشل، والمعنى بقي يطفو أمام كُلِّ ناظر، ولكنْ ليس ما يهمُّنا هُنا في هذه الآية إلاَّ ما جاءت به النُّسخ التَّوراتيَّة من اختلافات بين نُسخة وأُخرى، أمَّا إذا أردنا المزيد حول العلاقة السَّادوميَّة بين الملك داوود ويوناثان، فمُمكن أن نجد ضالَّتنا في كتابنا دراسات توراتيَّة، ص287. وكذلك كتابنا. الأسوأ من سادوم وعامورة:الزانيات المقدسات في صفحات التوراة ص 277.

جاء في النُّسخة المطبوعة في لندن سنة 1671:

كُنت لي حبيباً جدَّاً وكان حُبُّك عندي أفضل من محبَّة النِّساء.

ضاقت نفسي بك يا أخي يوناثان، قد كنت لي حبيباً جدّاً وكان حبك عندي أفضل من محبة النساء كمثل ما أحبت الأم ابنها الوحيد، كذلك فكانت محبتي لك.

صموئيل الثاني، الإصحاح الأول، الآية 26

وفي طبعات دار الكتاب المُقدَّس في الشَّرق الأوسط بلا تاريخ جاء:

كُنت حُلواً لي جدَّاً، محبَّتك لي أعجب من محبَّة النِّساء.

أمَّا نُسخة الكتاب المُقدَّس عن دار الكتاب المُقدَّس في الشَّرق الأوسط طبعة لبنان 1995، فقد جاء فيها: مليئاً بالألم والحُزن أبكيك لأنَّ صداقتك لي أولى من حُبِّ النِّساء.

وفي التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس وكذلك كتاب الحياة وهُو ترجمة تفسيريَّة للكتاب المُقدَّس فقد أوردا:

لشدَّة ما تضايقت عليك يا أخي يوناثان، كنت عزيزاً جدَّاً، ومحبَّتك لي كانت محبَّة عجيبة أروع من محبَّة النِّساء.

هذه كانت إشارة عاجلة نوعاً ما إلى بعض تلك الأخطاء والتَّناقضات والنسخ والمسخ، والعُيُوب الواردة في صفحات التَّوراة ولا مجال لذكر أكثر من

هذا هُنا ولكنْ؛ كما أسلفنا إنَّ بعد تدوين التَّوراة حُذفت الكثير منها لما وُجد فيها من انحطاط في المستوى الرُّوحي والأخلاقي على حدِّ زعم رافضيها بالرَّغم من أنَّ التَّوراة ما فيها من انحطاط أخلاق يستحيل أنْ تجده في أيِّ كتاب آخر والانحطاط الأخلاقي بكُلِّ ما تعنيه الكلمة من معنى، وهذه السِّمات والظَّواهر لا زالت تُثقل صفحات التَّوراة حتَّى اليوم. كما أنَّ هُناك أيضاً من الأسفار السَّاذجة والرَّكيكة والمُثرثرة لازالت تُزيِّن هذه المنزلات، ولكنَّها اليوم لا تُناسب لُغة العصر، لأنَّ ما كان يقبل به العقل حين كُتبت هذه المفاهيم الدِّينيَّة قبل آلاف السِّنين، لم يعد مقبولاً اليوم. فاليوم مثلاً لا يوجد أيُّ عاقل لا يُدرك أنَّ السَّماء هي عبارة عن فضاء لامتناهٍ، وأنَّ الأمطار تأتينا من الغُيُوم، وهذه المفاهيم اليوم هي من البديهيَّات المُسلَّم بها، بينما قبل آلاف السِّنين علَّمتنا الدِّيانات الوثنيَّة البدائيَّة، ومن ثُمَّ الدِّيانات السَّماويَّة غير هذا الكلام، إذ أقنعتنا أنَّ السَّماء عبارة عن مادَّة صلبة، خزَّن الرَّبُّ خلفها المياه حين خلق الكون، وجعل لها مصاريع تفتح وتغلق بأمر من الله، وعلى نظام افتح يا سمسم، وإنَّ هذه الأمطار تأتينا من هذا المخزون، عبر هذه الطاقات كما نفهم من سفر التَّكوين:

وقال الله ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه، فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد، وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء.

(سفر التَّكوين 1: 6).

وانفتحت طاقات السَّماء وكان المطر على الأرض أربعين يوماً.

تكوين 7: 11.

وانسدَّت ينابيع الغمر وطاقات السَّماء فامتنع المطر من السَّماء.

تكوين 8: 2.

وهُنا لا تحضرني نظريَّة العالم الفلكي والقائد العسكري السَّفَّاح يشوع بن نون، بشأن دوران الشَّمس حول الأرض بقدر ما يحضرني جبروت هذا الفذ الذي أوقف الشَّمس بقُدرة قادر!

حينئذٍ كلَّم يشوع الرَّبَّ يوم أسلم الرَّبُّ الأموريِّيْن أمام بني إسرائيل وقال أمام عُيُون إسرائيل يا شمس دُومي على جبعون، ويا قمر على وادي ايلون، فدامت الشَّمس ووقف القمر، حتَّى انتقم الشَّعب من أعدائه، أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر، فوقفت الشَّمس في كبد السَّماء، ولم تعجل للغُرُوب نحو يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرَّبُّ صوت إنسان لأنَّ الرَّبَّ حارب!!!! عن إسرائيل!

(سفر يشوع 10: 12).

الرَّبُّ حارب نيابة عن مُختاريه لأنَّه سمع صوت إنسان وأطاع فأوقف الشَّمس رغم أنَّها كانت تدور أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر؟

أين ياشر يا شاطر وأين سفر ياشر أليس سفر ياشر مرميَّاً في سلَّة المُهملات؟ ألم يسقط هذا السّفر من أسفار الكُتُب القانونيَّة، فلما الاستشهاد به ألا يكفي القول إنَّ يشوع أوقف الشَّمس.

جاء سجين الفاتيكان جاليليو جاليلي 1564ـ1642، لينتقد هذا الخطأ العلمي حول قضية دوران الشمس حول الأرض، وقال لا بل الأرض تدور حول الشمس، فقال عنه رجال الدين، جاهل وما شابه، وكان دائماً يقول: يُشرِّفني أنْ أُنعت بالجاهل، ولا يُشرِّفني الدِّفاع عن الخطأ العلمي، وهذا ما حمل السُّلطات الكنسيَّة لسجنه سبع سنوات حتَّى عرف بسجين الفاتيكان، وعندما أخضعته الكنيسة لمحاكم التَّفتيش السَّيِّئة الذِّكر، وأجبروه أنْ يجثو على رُكبتَيْه ويعترف أنَّ الأرض ثابتة لا تدور، وعندما انتهى من تلاوة ما أُجبر عليه نهض وضرب الأرض بقدمه صارخاً: (ومع ذلك فهي تدور)، وأصبحت هذه العبارة من أشهر ما قاله المشاهير.

إذاً كون السَّماء جلد صلب يحتفظ خلفه بمخزون مائي وللسماء طاقات ومصاريع تفتح وتغلق وإنَّ الشَّمس تدور، إنَّ هذه المفاهيم السَّاذجة أكل الزَّمان عليها وشرب، ولم تبقَ معقولة اليوم ومع هذا لا زالت هذه الأسفار والنُّصوص قانونيَّة بالإجماع، من كُلِّ رجال الدِّين وبشتَّى مشاربهم واتِّجاهاتهم، ودُون أيِّ

خلاف أو شكٍّ في قانونيَّتها وقُدسيَّتها، لكنَّنا اليوم أصبحنا نسمع بخُصُوصها عن نظريَّات وآراء جديدة كقولهم أو قول بعضهم بأنَّ هذه الأسفار هي أسفار افتراضيَّة، ليست حقيقيَّة لكنَّها قانونيَّة ومُقدَّسة، وُضعت بإلهام الرُّوح القُدس، لإرشاد وتشجيع المُؤمنين، ولكنَّ هذه الرُّؤى هي مزاعم هشَّة لا تقوى أمام أي انتقاد يكفي أنْ لا قُدسيَّة لأيِّ خطأ، إنْ كان افتراضياً أم حقيقياً، ولكنَّ هذه الأسفار التي قالوا عنها افتراضيَّة لا تختلف في تخبُّطها كثيراً عن غيرها من الأسفار التي لا زالوا يقولون عنها إنَّها حقيقيَّة. ومن هذه الأسفار الافتراضيَّة نذكر سفر أيُّوب من العهد القديم، وسفر رُؤية يُوحنا اللاهوتي من العهد الجديد، ولاسيَّما هذا الأخير، وهُو سفر غير كُلِّ الأسفار من حيثُ ما فيه من الأُسطورة والثَّرثرة حتَّى الهلوسة، أمَّا سفر أيُّوب فقد كان أوَّل مَنْ قال بفرضيَّة هذا السّفر وبقُدسيَّته، في الوقت نفسه هُو مُوسى بن ميمون أشهر عُلماء اليهوديَّة والذي قالوا عنه ليس مثل مُوسى إلاَّ مُوسى أي ليس مثل النَّبي مُوسى إلا مُوسى ابن ميمون، وتبع هذا الأخير الكثير وخالفهم أكثر.

سفر أحيقار
حكيم من الشَّرق

في صفحات التَّوراة الكثير من التَّوجيهات إلى إبادة كُلّ ما له علاقة بمذاهب الأغيار، كهدم المعابد ورُمُوزها الدِّينيَّة وغير ذلك، وفي صفحات العهد الجديد من التَّعاليم المسيحيَّة لا نقع على شيء من هذا القبيل، ولكنَّ الاجتهادات الشخَّصيَّة ومُغالات المُؤمن المسيحي في إيمانه وولائه للمسيحيَّة حمله إلى إبادة كُلّ ما ليس له علاقة بالمسيحيَّة حتَّى الأُمُور التي لا تتعلَّق بالدِّين اعتبرها من اللَّوثة الوثنيَّة، وبالنَّتيجة جاءت المسيحيَّة كغيرها من الدِّيانات السَّابقة واللاحقة على الإجهاز على كُلّ ما لا يمُتُّ إلى الدِّين الجديد بصلة. فعلى سبيل المثال، إنَّ معبد ريمون الآرامي في دمشق هدمه الرُّومان وشيَّدوا على أنقاضه معبد كرس لجوبيتر في عهد تريانس 98ـ117م، ومع انتشار المسيحيَّة، جاء الملك قسطنطين وهدم هذا المعبد وشيَّد على أنقاضه كنيسة كرست، ليُوحنَّا المعمدان، سنة 379م، ومع انتشار الإسلام جاء الوليد بن عبد الملك سنة668ـ715م، وحوَّله إلى جامع، وهُو المعروف بالجامع الأموي.

يقول البطريرك افرام الأول برصوم 1887 - 1957م:

«وكان جدودنا حين اعتناقهم الدين المسيحي المبين وتذوقهم حلاوته ضحوا في سبيله بأغلى ماعندهم فأحرقوا كل الكتب والآثار المدنية والعلمية خشية ان تُوقع معالمها الوثنية أحفادهم في شرك التوثن».

اللؤلؤ المنثور ص 17

هكذا تكون الديمقراطية عندما تنقلب المفاهيم، وهذه هي الحرية التي تكلم عنها المسيح بقوله:

«فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حيوة وهي التي تشهد لي».

يوحنا 5:39

يقول الأب ألبير أبونا وهُو أُستاذ اللُّغة الآراميَّة وآدابها في معهد مار يُوحنَّا الحبيب ـ الموصل 1970:

وقد عثر على بعض بقايا من اللُّغة الآراميَّة في دورها الانتقالي، وهي آثار وثنيَّة أفلتت من يد الدَّمار الذي أتى على كُلِّ ما لم يكن مسيحيَّاً، وبقي لنا من هذه الآثار كتابات قليلة مُتفرِّقة منها ... قصَّة أحيقار ...

(أدب اللُّغة الآراميَّة، ص33).

قبل التَّقليب في صفحات الأبوكريفا أو الأسفار السَّاقطة ودراستها بشيء من التَّفصيل فإنَّه من المُفيد جدَّاً أنْ نطَّلع على سفر من أسفار الوثنيَّة كما يُسمِّيه السَّماويُّون، والذي لم يقبل به لا اليهود ولا مَنْ تلاهم، لكنْ؛ لدراسة هذا لسفر أجد له الضَّرورة التي تُلقي الضَّوء وتُبيِّن أثر هذا الكتاب على كتاب التَّوراة وغيرها من الآداب والثَّقافة العالميَّة، خاصَّة أنَّ لهذا السّفر وُجُود وحُضُور واضح في أسفار العهد القديم، وبشكل أكثر خُصُوصيَّة حُضُوره في بعض أسفار الأبوكريفا ومع هذا كُلّه لم يعتبره مُدوِّنه بأنَّه كتاب مُقدَّس وإنَّما كان كتاباً شعبياً للتَّعليم والتَّهذيب، أمَّا هذا السّفر فهُو كتاب الحكيم أحيقار، أو سفر حكمة أحيقار، ولسنا الآن بصدد ما يحتوي هذا السّفر من حكمة وفلسفة وأخلاق إنسانيَّة، ولسنا كذلك بصدد سرد هذه القصة الرائعة الممتعة والتي اختلط فيها الواقع بالخيالي، وإنَّما ما يهمُّنا هُنا فقط هُو ما لهذا الكتاب من علاقة بالأسفار المُقدَّسة.

مضمون كتاب أحيقار:

يُؤلِّف هذا السّفر مجموعة من الأمثال والحِكَم الإنسانيَّة التَّهذيبيَّة كما يحمل هذا الكتاب بين طيَّاته أخبار قصَّة شيِّقة لرجل حكيم اسمه أحيقار عاش

في نهاية القرن الثَّامن وبداية القرن السَّابع قبل الميلاد ولا تخلو هـذه القـصَّة مـن بعض عناصر الأُسطورة حتَّى امتزج فيها الواقع بالخيال.

عمل أحيقار كمستشار ووزير أوَّل لدى سنحريب ملك آشـور، ونينـوى (704ـ681ق.م)، ومن ثُمَّ لدى ابنه أسرحدون (681ــ669ق.م)، وبـما أنَّنـا لسنا بصدد هذه القصَّة الطَّريفة لأنَّ ما يهمُّنا هُنـا حكمـة هـذا الـسّفر وعلاقتـه بالأسفار المُقدَّسة ولا سيَّما سفرَيْ طوبيا وابن سيراخ لهذا سنُشير إلى قـصَّة هـذا الحكيم بإيجاز شديد ومن ثُمَّ نأتي إلى بيان ودراسـة حكمـة أحيقـار وحُـضُورها القوي في أسفار العهد القديم، مُستعينين بأربعـة مـصادر بـشكل رئيـسي وهـي كتاب أدب اللُّغة الآراميَّة للأب ألبير أبونا، وكتاب أحيقـار حكـيم مـن الـشَّرق الذي حقَّقه وقدَّم له المطران بُولس بهنـام، وكـذلك كتـاب أحيقـار حكـيم مـن الشَّرق الأدنى القديم، لأنيس فريحة. وأخيراً وليس آخراً كتـاب احيقـار حكـيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية لسهيل قاشا الـذي أسـهب وتبسط في شرح هذا الموضوع بما زاد عن أربعمئة صفحة.

في هذه الرِّواية قصَّة رجل جليل وتقـي، حبـاه الإلـه حكمـة مُدهـشة وثروة طائلة ولأنَّ لا شيء يكتمل فقد حُرِمَ هذا الحكيم من الإنجـاب رغـم زوجاته السِّتِّين. ألهمه الرَّبُّ بعد صلاة حارَّة وقرابين سخيَّة بـأنْ يتبنَّـى ابـن أُخته نادان، وهُو لا يزال رضيعاً ليُقيمه وريثاً على ماله ووظيفته كـوزير أوَّل عند الملك إلاَّ أنَّ اهتمام وعناء أحيقار وكُلَّ الكرم الـذي غمـر بـه ابـن أُختـه ذهب أدراج الرِّيح لأنَّه زرع ثمرة الخير والنِّعمة في غير موضعها، ورُبَّما كـان أحسن من وصف حالة أحيقار هذه، الحكيم مارا سرابيـون حـين قـال: «إنِّي أضحك من الزَّمن الجائر الذي يردُّ إليَّ سوءاً لم يستعره منِّي من قبـل». وهـذا ما أصاب أحيقار في إكرامه لابن أُخته وربيبه نادان الذي غدر بـه رغـم كُـلّ ذلك الجميل الذي صنعه من أجله، إذ كَتَبَ هـذا الرَّبيـب رسـائل إلى ملـك فارس وفرعون مصر مُعرباً فيها عن التَّواطؤ والخيانـة ضـدَّ مليكـه وختمهـا بختم واسم أحيقار، وجعلها تقع في يد الملك ممَّا جعـل هـذا الأخـير ينفجـر

غضباً ويعتبرها خيانة عُظمى من أحيقار فيأمر بقطع رأسه إلاَّ أنَّ الجلاَّد الذي كُلِّف بهذه المهمَّة كان صديقاً وفيّاً لأحيقار الذي أسعفه ذات يوم، وكما كان يجلُّه كُلَّ الإجلال، ولهذا أخفاه في حُفرة وأعلن موته في البلاد؛ حيثُ حزنت عليه كُلُّ المملكة لأنَّه كان محبوباً جدَّاً في كُلِّ بلاد آشور ونينوى، وعندما وصل خبر وفاة أحيقار إلى فرعون مصر أحسَّ بضعف مملكة آشور، فأرسل إليها رُسُلاً طالباً من ملك آشور إمَّا أنْ يُرسل له جزية لُمدَّة ثلاث سنوات أو يُرسل له رجلاً حكيماً يستطيع أنْ يُجيبه على أسئلته ويبني له قصراً ما بين الأرض والسَّماء ليُعطيه جزية مصر لُمدَّة ثلاث سنوات كمكافأة. وهُنا يستفقد ملك آشور حكيمه ومُدبِّر مملكته أحيقار الرَّجل العظيم ويأسف ويندم، فيظهر الجلاَّد ليُبشِّر مليكه بأنَّ أحيقار لازال حيَّاً يُرزق فيُرسله إلى فرعون مصر بعد أنْ احطاط وتدبَّر لكُلِّ شيء، ويجيب على كُلِّ أسئلة فرعون ويأتي بجزية مصر إلى بلاده.

انظر هذه القصَّة الطَّريفة كاملة ومُفصَّلة في كتاب أحيقار حكيم من الشَّرق تحقيق وتقديم المطران بُولس بهنان 1952، طبعة بغداد، 1976. وللتوسع أكثر انظر سهيل قاشا السالف ذكرهُ.

في سفر أحيقار هذا لونَان من الحكمة الاتِّجاه الأوَّل وهُو مُوجَّه من أحيقار لابن أُخته قبل أنْ يشتدَّ ساعده ويرميه، وهي حكم تهذيبيَّة وتوجيهيَّة يُؤطِّرها بحنان الأب وحكمة الحكيم بصُورة النَّاصح التي تقول يا بُني ...إلخ.

وأُنموذج لهذا اللَّون من الحكمة أذكر على سبيل المثال قوله:

يا بني إذا أكل الفقير لحم الأفعى قال عنه النَّاس، يأكلها من جوعه، وإذا أكل الغنيُّ من لحم الأفعى قال عنه النَّاس: يأكلها لأنَّها دواء.

يا بُني رفعت الرَّمل وحملت الملح فلم أجد شيئاً أثقل من الدَّين.

يا بني حملت التِّبن ورفعت النَّخالة فلم أجد أخفَّ من الضَّيف.

وفي اللَّون الثَّاني من الحكمة أيضاً مُوجَّه إلى نادان بصُورة تقول يا بُني... ولكنْ؛ كُلُّها توبيخ ولوم وتقريع لابن عاقٍّ ربيب غدار، وكثير من هذه الحكم

والأمثال التي أسداها لربيبه جاءت بصُورة قصَّة قصيرة جدَّاً تحمل مغزىً عميقاً وأُنموذجاً لهذا اللَّون من الحكمة، أذكر على سبيل المثال قوله:

يابُني كُنت لي كالكلب المقرور الذي استضافه الخزَّافون في فُرنهم شفقة عليه وعندما دفئ الكلب أخذ ينبح على مُستضيفيه الخزَافين وأراد عضهم فقتلوه.

وحكمة أُخرى تقول: يا بُني كُنتَ لي كالفخِّ الذي سأله العصفور لماذا تغطيت بهذا الصوف؟ أجابه الفخ إني ناسك متصوف لله فقال العصفور ولماذا هكذا تفتح يدك إلى السَّماء، فقال الفخُّ إنِّي أُصلِّي إلى الرَّبِّ، فقال له العُصفور وما هذا الخُبز الذي في فمك فقال الفخُّ هذا هُو القُربان الذي أُقدِّمه للمُحتاجين عندما أُصلِّي، خدع هذا العُصفور المسكين بمظاهر البرِّ والتَّقوى التي أبداها الفخُّ ولم يعلم أنَّ تحت قلانس الخنافس أبالس، فتقدَّم هذا المسكين من الخُبز ليلتقطه فأطبق عليه الفخُّ فقال العُصفور، وهُو يئنُّ في قبضة الفخِّ: إذا كانت هذه هي صلاتك وهذه هي تقدمتك فبئس الرَّبُّ الذي أنت تعبده.

إنَّ ما أراد أنْ يقوله لنا أحيقار إنَّ الطَّبع يغلب على التَّطبُّع أحياناً، وليس دائماً.

يا بُني قيل للذِّئب لمَ تسير وراء الغنم؟ قال: إنَّ غُبارها مُفيد ودواء لعيني. وأدخلوه (الذِّئب) المدرسة فقال له المُعلِّم: ألف، باء، قال الذِّئب الجدي، الحمل، عند الجبل.

وبعد سرد الكثير من الحكم والأمثال يختمهم بقوله: فمن يصنع خيراً يلقَ خيراً، ومَنْ حفر حُفرة لأخيه يملؤها بقامته.

أمَّا ما يهمُّنا من هذا السّفر هُو ما هي علاقة حكمة أحيقار بالأسفار المُقدَّسة؟

إنَّ الشُّيُوع الواسع لحكمة أحيقار في العالم القديم جعلها تتسرَّب إلى الآداب العالميَّة، وخاصَّة اليونانيَّة، كما أنَّها تسرَّبت إلى الحكمة الدِّينيَّة اليهوديَّة. إنَّ لحكمة أحيقار حُضُورها الواضح في أسفار العهد القديم نذكر منها كما جاء في تحقيق المطران بولس بهنام:

1ـ سفر أيُّوب، 2ـ سفر المزامير 3ـ سفر الأمثال، 4ـ سفر الجامعة، 5ـ سفر أشعيا، 6ـ سفر إرميا، 7ـ مجموعة الحكمة الخُلُقيَّة.

ويقصد المطران بولس بمجموعة الحكمة الخُلُقيَّة سفرَيْ يشوع بن سيراخ وطوبيا ويُضيف قوله: إنَّ الباحث المُتقصِّي إذا نظر إلى هذه الآثار الحكميَّة نظرة شاملة، يجدها تبدأ من نقطة واحدة وتسير في مُنطلق واحد، وتنتهي إلى هدف واحد؛ وحيثُ قد ثبت تاريخيّاً أنَّ الأثرَيْن المُتقدِّمَيْن مُتأخرَين عن أثر أحيقار فتكون حكمة أحيقار هي المُؤثِّرة المُباشِرة في هاتَيْن الحكمتَيْن.

سفر يشوع ابن سيراخ
وعلاقته بسفر أحيقار

يتألَّف سفر يشوع ابن سيراخ من مُقدِّمة وإحدى وخمسون إصحاح، كتبه حفيد يشوع ابن سيراخ، بحسب ما جاء في المُقدِّمة، وكما يرى سهيل قاشا، إن هذا السفر اقتبس كما سفر الأمثال من التراث العام المُتداول، الذي يرتقي إلى حكمة الشُّعُوب المجاورة - الآشوريين - الآراميين - المصريين.

وحول علاقة ابن سيراخ بأحيقار يقول المطران بولس إنَّ النَّصَّ الأصلي لأثر ابن سيراخ كُتب في الفترة الواقعة بين سنة 190 ـ170ق.م. ولم يُعتبر من الأسفار القانونيَّة في مجموعة الأسفار العبريَّة المُقدَّسة كما أنَّ بعض الكنائس المسيحيَّة تعتبره من الأسفار المنحولة (الأبوكريفا).

ويُضيف قوله إنَّ كاتب هذا السّفر مُطَّلع تمام الاطِّلاع على حكمة أحيقار، وقد وردت فيه آيات كثيرة تتَّفق وحكمة أحيقار نصّاً ورُوحاً بطريقة تفوق بقيَّة الأسفار المُقدَّسة، الأمر الذي يُبرهن على اهتمام آداب الحكمة العبريَّة بهذه الحكمة أبلغ اهتمام[1].

وللمُقارنة بين ابن سيراخ وأحيقار لتوثيق هذه العلاقة نقرأ بعض ما جاء في حكمة أحيقار بحسب ترجمة النَّصِّ السِّرياني:

22 و23 ـ يا بُني أخضع ابنك ما دام صغيراً قبل أنْ يفوقك قُوَّة ويتمرَّد عليك، فتخجل في مساوئه (وكأنَّ أحيقار أراد القول: مَنْ شبَّ على شيء شاب عليه)، نُلاحظ

1 - أحيقار حكيم من الشَّرق، ص162.

هُنا أنَّ أحيقار صاغ هذه الحكمة بأُسلوب رقيق ليِّن بينما ابن سيراخ صاغها بأُسلوب فيه الكثير من الخُشُونة والقسوة، وهذا ما جاء في سفر ابن سيراخ قوله:

30: 12 و13ـ أحن رقبته (رقبة ابنك) في صبائه وأرضض أضلاعه ما دام صغيراً لئلا يسقط فيما يُخجلك.

يقول أحيقار 38: يا بُني اجعل لسانك حُلواً وكلامك عذباً، فإنَّ ذنب الكلب يُطعمه خُبزاً وفمه يكسبه ضرباً.

ويقول ابن سيراخ 6: 5 ـ الفم العذب يُكثر الأصدقاء واللِّسان اللَّطيف يُكثر المُؤنسات وكذلك 40: 21ـ المزمار والعود يُطيِّبان اللَّحن لكنَّ اللِّسان العذب فوق كليهما.

يقول أحيقار 52ـ 53: يا بني احصر الكلمة في قلبك تسعد لأنَّك إذا بدلت كلامك فقدت صديقك، يا بني لا تطلق الكلمة من فمك حتَّى تروزها (تتأمَّلها) في قلبك لأنَّه خير للرَّجل أنْ يعثر في قلبه من أنْ يعثر في لسانه.

ويقول ابن سيراخ 28: 29ـ30 ـ اجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً ولفمك باباً ومزلاجاً واحذر أنْ تزلَّ به فتسقط أمام الكامن لك.

يقول أحيقار (45): يابني حملت الملح ونقلت الرصاص فلم أجد أثقل من الدَّين.

وفي ابن سيراخ جاء: أي شيء أثقل من الرصاص، وماذا يسمى إلا أحمق، الرمل والملح والحديد أخف حملاً من الإنسان الجاهل (22: 17-18).

يقول أحيقار (65): يا بني لا تقاوم مَنْ كان في أوج قوَّته ولا تناحر النهر في طغيانه.

وفي ابن سيراخ جاء: لا تستحِ أن تعترف بخطاياك ولا تغالب مجرى النهر.
ابن سيراخ 4:31-32

يقول أحيقار (50): يا بني الموت خيرٌ لرجل لا راحة لهُ.

وفي ابن سيراخ جاء: الموت أفضل من الحياة المرة والسقم الملازم.
ابن سيراخ (17:30)

يقول أحيقار (49):... الاسم الجيد خير من الجمال الباهر لأن الاسم الجيد يدوم إلى الأبد والجمال يذوي ويزول.

وفي ابن سيراخ جاء: الحياة الصالحة أيام معدودات أما الاسم الصالح فيدوم إلى الأبد. ابن سيراخ 17:41

يقول أحيقار (60): يابني لا تفرح إذا مات عدوك.

وفي ابن سيراخ جاء: لا تشمت بموت أحد اذكر أنّا بأجمعينا نموت.
ابن سيراخ 8:8

هذه الآية جاءت فيها كلمة العدو مبتورة في اقتباسها لتتلاءم والتطلعات اليهودية التي تطلب دائماً الموت للأغيار، والصفحات من العهد القديم متخمة بهذه العدوانية ومن هنا نستطيع أن نقول بأن المسيحية جاءت لتقلب هذه المفاهيم وتقول:

أحبُّوا أعداءَكُم وباركوا لاعنِيْكُم، وأحسنوا إلى مُبغضيكم، وما شابه.

سفر طُوبيا
وسفر أحيقار

إنَّ الحُضُور الأقوى لحكمة أحيقار، بل لقصَّة أحيقار، كان في سفر طوبيا أو قصَّة طوبيا وهذا الحُضُور يرقى إلى درجة التَّطابق بين القصَّتَيْن وكأنَّها رواية واحدة، بحلَّتَيْن مُختلفتَيْن في اللَّون، وهذا ما أكَّد عليه المطران بولس بهنام، ويُضيف قائلاً حول هذه العلاقة:

مُنْذُ أنْ أعلن الأُستاذ جورج هوفمان العلاقة بين سفر طوبيا وحكمة أحيقار سنة 1880م[1]، والعُلماء المعنيُّون ماضون في دراسة هذه العلاقة دراسة دقيقة غير أنَّهم اختلفوا على قضايا كثيرة في تلك الدِّراسات ونحن لا يهمُّنا ذلك في بحثنا هذا لأنَّ غايتنا تنحصر في الاتِّفاق الكائن بينه وبين حكمة أحيقار.

إنَّ سفر طوبيا أيضاً لم تعتبره الأجيال اليهوديَّة المُتأخِّرة بين الأسفار القانونيَّة والأغلب لأنَّه كُتِبَ بالآراميَّة، وعليه يُعتبر لديهم أُمميَّاً إلاَّ أنَّ مجمع قرطاجنَّة سنة 357م، اعتبره قانونيَّاً، فاعترفت به الكنيسة المسيحيَّة على أنَّ الكنائس الحديثة اعتبرته من جملة الأسفار المنحولة (الأبوكريفا).

أحيقار حكيم من الشَّرق، ص164.

(1) George Hoffmanna Auszzuege aus Syrischen Acten Persicer maertyrer P. 182 ff leipzig 1880

قراءة سفر طوبيا بلمحة مُوجزة

سفر طوبيا وهُو من أسفار الأبوكريفا القصصيَّة، واليهودية نسقته من كتبها، والمُشكلة كيف كان للكنيسة المسيحيَّة أو بعض هذه الكنائس، كيف كان لها أنْ تعتبر سفر طوبيا هذه القصَّة السَّاذجة ضمن أسفار الوحي، وكأنَّها فعلاً قصَّة حقيقيَّة، وهي في الحقيقة من أكثر القصص خُرافة وركاكة، وها أنا أُوجزها وللتَّفصيل في هذه القصَّة انظر السّفر كاملاً ضمن مجموعة أسفار الكنيسة الثانويَّة، أسفار الأبوكريفا، أو ما تُسمَّى بالأسفار نّصف القانونيَّة، وهي أسفار مُقدَّسة من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة.

رواية حفّاري القُبُور أو سفر طوبيا

يروي هذا السّفر قصَّة رجل يهودي اسمه طوبيا ابن طوبيا، وهُو من سبط ومدينة نفتالي، هاجر طوبيا الأب وطوبيا الابن إلى مدينة نينوى في عهد شلمنصر ملك آشور، قام طوبيا الأب بتأديب طوبيا ابنه أحسن تأديب في البرِّ وأعمال الخير، سافر طوبيا الأب إلى مدينة راجيس في بلاد المادِّيِّيْن[1]، وأودع عند غابيلوس وهُو رجل يهودي من بني جنسه ومن سبطه عشرة قناطير من الفضَّة كأمانة وأخذ عنها صكَّاً، وعندما نعلم أنَّ القنطار يُساوي مئة رطل، والرَّطل يُساوي ألفين وخمسمائة وأربعة وستِّين غراماً، فنعلم عندها أنَّ الأمانة كانت تزن أطناناً من الفضَّة، أمَّا كيف حملها وأوصلها هذا الطوبيا إلى تلك المسافة البعيدة، فهذا ليس بالمُهمِّ لأنَّ التَّوراة لا تأتي على ذكره، يقول الرَّاوي المُلهَم من الرُّوح القُدس، إنَّه حدث في أحد الأيَّام أنَّ طوبيا الأب تعب من دفن الموتى 2: 10، فنام إلى جانب حائط فوقع ذرق ساخن من عش خطَّاف[2]، في عينَيْه الاثنتَيْن فأعماه، أمَّا كيف حصل أنْ سقط هذا الذَّرق ساخناً من العُشِّ وفي كلتا عينَيْه المفتوحتَيْن وهُو نائم فهذا وارد جدَّاً في التَّقادير التَّوراتيَّة العجيبة والمعقولة، لأنَّ

(1) بلاد المادّيِّيْن هي بلاد فارس إيران اليوم.

(2) الخطَّاف وهُو طير السُّنُونو ويُسمَّى أيضاً السَّمرمر.

ما تحتوي عليه التَّوراة من غرائب الأُمُور لا يحتوي عليه صندوق العجائب، ويُتابع القاصّ روايته ويقول: وكان في راجس مدينة المادِّيِّيْن امرأة اسمها سارة بنت رعوئيل، كُلَّما كانت هذه المسكينة تتزوَّج برجل كان الشَّيطان أزموداوس يقتله حتَّى بلغوا سبعة رجال. لأنَّ هذا الشَّيطان كان قد عشق هذه المرأة وكان يغار من أزواجها ولهذا كان يقتلهم! وهُنا علينا أن نقف للحظة لا حداداً على أرواح الضَّحايا من الأزواج وإنَّما وقفة انتباه وتأمُّل لنعلم كم كانت هذه المرأة جميلة حتَّى اختارها هذا الشَّيطان من بين نساء العالم أجمعين وقتل من أجلها كُلَّ مَنْ تعثَّر بحُبِّها.

ينتهي الإصحاح الثَّالث بعد صلاة حارَّة من سارة ليبدأ الإصحاح الرَّابع بأخبار احتضار طوبيا الأب للموت، وتوصيته لابنه طوبيا بأنْ يسلك طريق البرّ والخير كُلَّ حياته، ثُمَّ يُخبره عن الأمانة التي وضعها عند الرَّجل في أرض المادِّيِّيْن، ويُعطيه الصّكّ طالباً منه أنْ يستردَّها. وخرج طوبيا الابن وهُو لا يعرف الرَّجل ولا يعرف كيفيَّة الوُصُول إليه، فتشاء التَّقادير التَّوراتيَّة العجائبيَّة أنْ يلتقي بفتى جميل ووسيم كما تصفه القصَّة، سلَّم طوبيا الابن على هذا الشَّاب الجميل، وهُو لا يعرف أنَّه ملاك الرَّبِّ أُرسل خصِّيصاً لحلِّ هذه المُشكلة.

سأل طوبيا الشَّاب دُون أيِّ تكلفة أو مُقدِّمات، من أين أقبلت، كذب عليه الملاك وقال: أنا من بني إسرائيل، قال طوبيا: هل تعرف الطَّريق إلى بلاد المادِّيِّيْن، وكان السُّؤال كالجواب مُدهشاً لنا لا للسَّائل؛ حيث قال الشَّاب الجميل: نعم أعرفها جيِّداً، وكُنت نازلاً عند غابيلوس. 5: 8ـ(يا سُبحان الله، إنَّ أدهش ما يُدهشني هُو كيف لهذا الطوبيا أنْ لا يندهش من هذا الجواب المُفصَّل على المقاس المطلوب). فأخبر طوبيا الابن أباه والأب يسأل الملاك: مَنْ أنت، فقال له: أنا عزريا بن حننيا العظيم (والنِّعم والله يا ابن العظيم)، فقال طوبيا الأب: إنَّك من نسل كريم، قال الملاك: سآخذ ابنك وأُعيده إليك سالماً غانماً. وافق طوبيا الأب وبهذه السهولة وثق بهذا الشخص الغريب مع أنَّ من

أهمِّ الأعراف والتقاليد اليهودية هي عدم الثقة بأي كـان وفي مرويـات النكـات اليهودية قال الأب لابنه الطفل: يا بني باكورة التوصيات لك أن لا تثق بأي كان فقال الطفل لأبيه: وكيف؟ فقال الأب هكذا وأخذه ووضعه فوق خزانة الألبسة وقال له: ألق بنفسك إلي لألتقطك رمـى الطفـل بنفـسه فـانزاح الأب مـن تحتـه فسقط الطفل على الأرض وقال وهو يئن ألماً لماذا فعلت هذا ياأبي؟ فقـال الأب: ألم أقل لك لا تثق بأي كان فهذا جزاؤك. حقيقة إنَّ اليهودي لا يثـق بـأي كـان، أما كيف وثق هذا الطوبيا بهذا الشاب الغريب؟ إنها التركيبة التوراتية وحـسب. إن المهم في الرواية ذهاب طوبيا الابن مـع المـلاك رافائيـل إلى بـلاد المـادِّيِّيْن وفي الطَّريق نزلا إلى جانب نهر دجلة ليبيتا وإذا بحُوت عظيم كما تصفه الرِّواية خرج من النَّهر ليفترس طوبيا، ارتاع طوبيا وصرخ بصوت عظـيم، فقـال لـه المـلاك: أمسكْ بخيشومه واجتذبه إليك ففعل، كما تفعل رافعة بطاقة عشرة أطنان وأكثـر (هليلويا هللو لياهو)، فقال له الملاك: شقّ جوفه واحتفظ بقلبه ومرارته وكبده، فإنَّ لك بها منفعة لعلاج مُفيد، ففعل ولا يذكر الرَّاوي كيف استطاع حمـل هـذه الأشياء التي من المفروض أنْ تزن عشرات الكيلوغرامات نظراً لضخامة الحوت كما تصفه الرِّواية، (ولكنْ لما التَّعجُّب في حمل بضع عشرات مـن الكيلوغرامـات من رجل توراتي استطاع أنْ يلـتقط حوتـاً مـن خيـشومه وزنـه أطنـان، وكانـت سكِّينته في يده، وكأنَّه كان على موعد مع هذا الحوت لشقِّ جوفه، المُهمُّ في الأمر) أنَّ طوبيا أشعل ناراً وبدأ يشوي من هذه اللُّحُومات، فقال له الملاك: اقذف شيئاً من قلب الحوت على الجمر فدُخانه يطرد كُلَّ جنس من الشَّياطين، والمرارة تنفـع لمسح العُيُون العمياء، فتبصر، (يا سُبحان الله إنَّه طِـبٌّ بـديل البـديل يـا أعميـاء البصر والبصيرة، ولا زلنا نجهله، ولا تنسَ أنَّنـا نقـرأ صـفحات سـفر مكتوبـة بتلقين من الوحي الإلهي، ورُبَّما من الرَّبِّ وجهاً لوجه)، ثُمَّ قال المـلاك لطوبيـا: سنبيت عند رجل اسمه رعوئيل، وهُو ذُو قرابة لك 6: 11ـ له بنت اسمها سارة وهي وحيدة، ولابُدَّ لك من أن تتزوَّجها لتملك كُلَّ ما للرَّجل، وهذا من حقِّك لأنَّه ذُو قرابة لك، فخاف طوبيا لأنَّ كُلَّ مَنْ كان يتزوَّج مـن سـارة كـان يمـوت

مُباشرة، (بسبب أنَّ الغريم كان أزموداوس الشَّيطان العاشق، الذي هُو أحد أبناء الله الذين عشقوا بنات النَّاس ذات مرَّة، وأخذوا منهنَّ زوجات وخلَّفوا رجالاً جبابرة، كما جاء في رواية سفر التَّكوين الإصحاح السَّادس ولكنْ؛ في حالة أزموداوس المُعتر والمعثر بسوء الحظ جاءت الرِّياح بما لا يشتهيه هذا الأزموداوس، لأنَّ الملاك عدوُّ الشَّيطان التَّقليدي كان قد أحضر لخصمه تعويذة تُبعد الشَّياطين من حظيرة القدِّيسين، قال الملاك لطوبيا الابن: إذا أحرقت كبد الحُوت ينهزم الشَّيطان ولا يقتلك، فتصبح مقبولاً في شركة الآباء القدِّيسين 6: 20 (ويبدو أنَّ هذه الشَّركة كانت مُؤسَّسة يهوديَّة خاصَّة لا ينتسب إليها إلاَّ أبناء الله المُختارون من بقيَّة المخلوقات الحيوانيَّة)، دخل طوبيا والملاك بيت الرَّجل، فقال رعوئيل صاحب البيت لزوجته: إنَّ هذا الرَّجل طوبيا يُشبه أحداً من قرابتي، (رغم أنَّ أحداً لم يُخبره إلاَّ أنَّ فراسته كانت دليلته)، فسأل رعوئيل من أين أنتما أيُّها الأخوة، فقالا له: نحن من سبط نفتالي، فقال رعوئيل: هل تعرفا أخي طوبيا، فقال الشَّاب الوسيم الذي هُو الملاك: إنَّه أبو هذا الرَّجل، فألقى رعوئيل بنفسه على عُنق طوبيا وبكى كثيراً (يا حرام، مشهد مأساويٌّ يُبكي القُلُوب الصَّوَّانيَّة)، فطلب طوبيا من رعوئيل أنْ يهبه سارة ابنته كزوجة، فكان له ما أراد، فتزوَّجها مُباشرة وأخرج من كيسه فلذَّة من كبد الحوت، وألقاها على الجمر المُشتعل (فاشتغلت التَّعويذة وعملت عملها، وكان من المفروض أنْ يهرب الشَّيطان حسب التَّوصيفة الملائكيَّة، التي أخبرنا عنها هذا الملاك، إلاَّ أنَّ الشَّيطان لم يهرب، بل مَثُلَ أمام الحُضُور)، حينئذٍ قبض الملاك رافائيل على الساطانائيل الذي كان يقتل العُرسان وأوثقه في برِّيَّة مصر 8: 3، (ولا أعلم كيف قفز هذان الرَّجلان إلى برِّيَّة مصر، وهُم في مدينة راجيس التي تُقيم فيها هذه المرأة، ومدينة راجيس هذه تقع في بلاد المادِّيِّيْن التي تبعد عن مصر أكثر من ثلاثة آلاف من الكيلومترات؟ على أيِّ حال إنَّها أعاجيب التَّوارة وليس باليد حيلة، لا بل اللَّهمَّ لا اعتراض على الوحي، المهمُّ في الموضوع) أنَّ رعوئيل ما أنْ زوَّج ابنته المعتَّرة حتَّى أمر غلمانه بحفر قبر مُحترم يليق لعريس ابنته الجديد

لأنَّه سيموت كسابقيه من العُرسان (ولكنْ؛ إذا كان هذا الرعوئيل قام بحفر قبر لعريس الزين لأنَّه يعرف أنَّه سيموت كسابقيه لُمجرَّد زواجه من ابنته، وإذا كان هذا الرّعوئيل قد أحبَّ هذا الطوبيا لدرجة أنَّه عانقه وبكى بُكاءً شديداً عندما تعرَّف عليه، فالسُّؤال: لماذا زوَّج هذا الرعوئيل هذه العروسة المنحوسة لهذا الشَّاب البريء، حتَّى يُقتل؟ الجواب بكُلِّ بساطة هُو إنَّ الله غايات وأهدافاً في خططه الفذَّة تسمو عن إدراك العُقُول المحدودة، وها هُو القدِّيس طوبيا لم يمت، أمَّا كيف عرف هذا المُضيف خطط الله الفذَّة، ولماذا حفر له قبراً؟ بكُلِّ بساطة نستشفُّ الجواب من مطلع الرِّواية وهُو ليس لأنَّ مهنة طوبيا الأب وهوايته هي حفر القُبُور، كما جاء في أوَّل الرِّواية، وإنَّما هواية هذا الرَّجل رعوئيل أيضاً هي حفر القُبُور.

لا بل إنَّ حفر القُبُور وبكُلِّ ما فيها من نزعة تفاؤليَّة وشاعريَّة، هي مُتعة توراتيَّة بموهبة ربَّانيَّة، وإنَّ للنَّاس في ما يعشقون من المواهب مذاهب، وها هُو كاتب سفر التّثنية يجعل من الله ذاته حفَّاراً للقُبُور؛ حيثُ حفر الله بيديه قبراً لُموسى. «تث34 : 5»

ولَّما عادوا من المقبرة سأل رعوئيل زوجته ألم يمت الرَّجل بعد، فقالت له زوجته لا لم يمت بعد، وللحال ردموا القبر وأعطى رعوئيل لطوبيا نصف أمواله وأملاكه كدفعة على الحساب، وكتب له صكّاً بالنّصف الباقي، ولنا أنْ نحمد الله عن قُبُوله لهذا الطوبيا في شركة القدِّيسين.

لم يروِ لنا هذا الحكواتي ما هي حاجة الصّك وما الذي يُجبر رعوئيل بكتابة هذا الصّك والوريث الشَّرعي الوحيد لأملاكه بعد موته هي ابنته الوحيدة.

يبدأ الإصحاح التَّاسع قوله: إنَّ طوبيا كلَّف الشَّاب الوسيم أو الملاك رافائيل وأربعة من غلمان رعوئيل بالذَّهاب إلى بلاد المادِّيِّيْن وأعطاهم الصّك ليُعيدوا له أطنان الفضَّة المُودعة عند غابيلوس المُقيم في مدينة راجيس! (إذاً غابيلوس مُقيم في راجيس).

والآن يا سيِّدي القارئ لي وقفة فلْنُسمِّها استراحة للمُصالحة، لأنَّك هُنا ومن كُلِّ بدٍّ تسأل أو قد تظنُّ أنِّي تجاهلت المنطق واللاَّمعقول في سردي هذا فإذا سألت: أليست كُلُّ هذه الأخبار التي تحدَّثنا عنها حدثت في مدينة راجيس التي في بلاد المادِّيِّيْن؛ حيثُ تُقيم معشوقة الشَّيطان أزموداوس، أقول لك بكُلِّ ثقة نعم، وهي راجيس ذاتها التي يسكن بها غابيلوس الذي استودعت عنده الأمانة. ولكنْ؛ كيف نستطيع أنْ نستوعب قول التَّوارة: وأرسل الملاك إلى مدينة راجيس وهُم لا زالوا في ذات المدينة؟ أقول لك يا سيِّدي إنَّها التَّوراة، وكفا ألم تفهم بعد أمْ أنَّك لا تُصدِّق بها أُنزل؟ إذاً؛ انظر طوبيا 1: 16 لتعلم أنَّ راجيس هي المدينة التي يُقيم فيها غابيلوس؛ حيثُ الأمانة وانظر أيضاً طوبيا 3: 7؛ حيث راجيس هي المدينة المُقيمة فيها سارة بنت راعوئيل، وها هُو طوبيا يطلب من هذا الشَّاب الجميل رافائيل بأنْ يذهب إلى راجيس مدينة المادِّيِّيْن (طوبيا 9: 3) فهل فهمت التَّوراة يا سيِّدي أم تظنُّ أنِّي ثمل أسرد ما لا أعي؟

والآن انتهت استراحة التَّفاهم يا سيِّدي لنُتابع سرد هذه الرِّواية المكتوبة بإلهام الرُّوح القُدُّوس فكما أسلفنا يبدأ الإصحاح التَّاسع قوله: إنَّ طوبيا كلَّف الملاك أو هذا الشَّاب الجميل وأربعة من غلمان راعوئيل بالذَّهاب إلى بلاد المادِّيِّيْن، وأعطاهم الصّكَّ الثَّمين جدَّاً ليُعيدوا له أطنان الفضَّة، (وكم كان عظيماً هذا الطوبيا حتَّى وثق بشخص غريب تعرَّف عليه حديثاً، وبالمصادفة؛ حيثُ سلَّم له هذا الصّكَّ الثَّمين دُون خوف من أنْ يخونه، ويسرق الأمانة، لا بل كم كان هذا الشَّاب الوسيم أميناً، فيكفي أنَّه ملاك، على أيِّ حال، إنَّ المُهمَّ في الأمر) أنَّ الملاك والغلمان الأربعة عادوا ومعهم غابيلوس وأطنان الفضَّة إلى بيت رعوئيل، واحتفلوا بالعُرس والولائم بعد أنْ سلَّموا لطوبيا الأمانة، ينتهي الإصحاح العاشر ليبدأ الحادي عشر قوله: إنَّ طوبيا وزوجته وعياله وفيما هُم راجعون مع الملاك، ومعهم كثير من المواشي والأموال وكانوا قد وصلوا إلى حرَّان التي في منتصف الطَّريق إلى نينوى 11: 1.

والحقيقة هُنا أيضاً خطأ جُغرافيٌّ، لأنَّ حرَّان تقع إلى الشمال، وهُم قـادمون من الشَّرق رغم أنَّها قريبة من نينوى وليست في منتصف الطَّريق.

وعادوا وبشيرهم كلب.

وفيما هُم راجعون وكان مع طوبيا كلب سبقهم إلى البيت وبشَّر والديه بقُدُوم طوبيا فأخذ طوبيا الأب يركض لاستقبالهم، وهو يتعثَّر بالرَّكض لأنَّه كان أعمى وصل طوبيا الابن ووضع على عينَيْ أبيه من مرارة الحوت، وبعد نصف ساعة بدأ يخرج من عينَيْه غشاوة كفرقي البيض؟!! نعم ولا عجب إذاً غشاوة كفرقي البيض، أليس البياض على عين الأعمى يبدو كفرقي البيض فلمَ العجب إذاً، فأمسكها طوبيا الابن وسحبها من عين أبيه،كما تسحب الشعرة من العجين وللوقت عاد له بصره (يا سُبحان الله) ثُمَّ عاش طوبيا الأب عشر سنوات، بعد أن عاد له بصره 14: 1، وكان طوبيا عمره ستّاً وخمسين سنة، حيث ذهب بصره وكان عمره ستين سنة حين عاد له بصره 14: 3، إذاً استغرقت مهمَّة طوبيا أربع سنوات حتَّى أحضر الأمانة، أطنان من الفضَّة وحفنة أطفال وزوجة واحدة، ثُمَّ حضره الموت ثانية فدعا ابنه طوبيا وبنيه السَّبعة وأخبرهم بقُرب يوم دمار نينوى.

لماذا هذا الحقد والفأل السيئ لماذا نعيق البوم على دمار نينوى؟ لست أدري.

هكذا تنتهي هذه القصَّة الرَّكيكة والتي كُتبت بتلقين من الرُّوح القُدس، فما رأيكم؟ حبَّذا أنْ لا تقولوا ليست إلاَّ أساطير الأوَّلين. لو عُدنا إلى قراءة سفر طوبيا بالتَّفصيل كما جاءت في الأسفار المُقدَّسة الثَّانية كما تُسمِّيها بعض الكنائس، فإنَّنا نجد فيها الكثير من الخُرافة والسَّذاجة، ناهيك عن الأخطاء الجُغرافيَّة وانحلال الحبكة القصصيَّة التي أطرت هذه الهلوسة بالسَّخافة، فعلى سبيل المثال يخبرنا هذا السفر وهو سفر مقدس لأنه كتب بوحي من الله يخبرنا بأن طوبيا الابن وعلى نهر دجلة باغته حوت عظيم كما يصفه الراوي فمسكه من خيشومه! وشق بطنه وتناول أحشاءه التي تنفع في معالجة كل علة ومن ثم ذهبوا إلى راجيس في بلاد الماديين وتزوج طوبيا من سارة وأنجب منها رزمة من الأبناء وبعد كل هذه السنين يعود طوبيا والحاشية إلى الديار ولا زالت في حوزته تلك

الاحشاء التي انتزعها من جوف الحوت وعالج بها عيون أبيه ويا سبحان الله فإن تلك الأحشاء لم تجف أو تأسن كبعض العقول النتنة رغم كل تلك السنين.

في هذا اللون من التخريف تغرق هذه الرواية التي كتبت بوحي من الروح القدس وهناك ألوان وأشكال أخرى من الأخطاء التي أغنت وأتحفت هذا الوحي.

أمَّا إذا عُدنا إلى سفر حكمة أحيقار لُقارنتها بسفر طوبيا، فإنَّنا نجد أنَّ كاتب قصَّة طوبيا استعار الكثير من سفر أحيقار ومن حكمته مثلاً: يقول أحيقار في مطلع حكمته: اسمع يا بني نادان وتفهم تعليمي واذكر كلامي ذكرك كلام الله ويقول كذلك طوبيا: اسمع يا بني كلمات فمي واجعلها في قلبك مثل الأساس (طوبيا 4:2) يقول أحيقار: يا بني لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة ولا تشتهيها في قلبك لأنَّك إنْ أعطيتها كلَّ ما ملكت يدك فلن تجد فيها خيراً وترتكب إثماً أمام الله (5).

ويقول طوبيا: احذر لنفسك يا بني من كل زنى ولا تتجاوز امرأتك مستبيحاً معرفة الإثم أبداً (طوبيا 4:3). إن هذه الحكمة التي جاء بها أحيقار وكثير مثلها نجد لها فيضاً من الأمثال والحكم المشابهة في الأدب العبري نشير إليها دون سردها لضيق المجال واحتواءً للملل: سيراخ 3:9 – 11و 28:25. جامعة 28:7 أيوب 31:9–11 أمثال 16:2 و3:5 و26:6– 32

يقول أحيقار: يا بني لا تجدف على الله يوم محنتك (33).

ويقول طوبيا: احذر أن ترضى بالخطيئة وتتعدى وصايا إلهنا (طوبيا 6:4)

يقول أحيقار 10 :ـ يا بُني اسكب خمرك على قُبُور الصَّالحين، ولا تشربها مع الأثمة، ويقول طوبيا 4: 18 ـ ضع خُبزك وخمرك على مدفن البار، ولا تأكل ولا تشرب مع الخُطاة.

ولدراسة العلاقة بين سفر حكمة أحيقار، وأسفار العهد القديم بتفصيل أكثر ممَّا ذكرنا انظر كتاب «أحيقار حكيم من الشَّرق»، لبولس بهنام وفيه أيضاً دراسة لهذه الحكمة مع أسفار أُخرى لم نأتِ عليها مثل علاقة أحيقار بسفر دانيال وعزرا وغيره.

أسفار الأبوكريفا

في العُصُور المسيحيَّة الأُولى أُطلق على بعض هـذه الكُتُـب الـسَّاقطة اسـم الأبوكريفا كما أسلفنا، وقبل هذه التَّسمية كانت هـذه الكُتُـب الأبوكريفيَّـة كُتُبـاً مُقدَّسة كغيرها من الكُتُب القانونيَّة، وكانت تُسمَّى هذه الكُتُب السَّاقطة (كُتُـب الوحي)، لأنَّها كُتبتْ بوحي من الله، واليـوم أصـبحت كُتُبـاً مرفوضـة. ويقـول رافضو هذه الأسفار: إنَّ هذه الكُتُب دُوِّنت في أوقات محنـة مـرت بهـا العقيـدة، فكُتِبَتْ وقُدِّست لتشجيع المُؤمنين، واليوم لا حاجة لهـا لأنَّهـا كُتِبـت في عُـصُور مُتأخِّرة وبعد أنْ ختم الوحي، ثُمَّ يُؤكِّد رافضو هذه الأسفار على أنَّها لا ترقى إلى المُستوى الرُّوحي الذي في الأسـفار القانونيَّـة (المُقدَّسـة)، كـما أنَّ هـذه الكُتُـب نُسبت إلى أشـخاص لم يكتبوهـا أصـلاً، ولكـنَّ هـذه الكُتُـب الـسَّاقطة أو غـير القانونيَّة كما كان لها رافضوها، كان لها أيضاً مُؤيِّدوها ومُقدِّسوها، الذين دافعـوا عنها بين الحـين والآخـر، وفي كُـلِّ مُناسـبة قـاموا بمُحـاولات جاهـدة ومُلحَّـة لإدخالها أو إدخال بعضها ضمن إطار القُدسيَّة، لتُحسب من الكُتُب القانونيَّة.

وبحسب قاموس الكتاب المُقدَّس، ص19، عندما قرَّرت مجامع الكنيـسة الأُولى الكُتُب التي تدخل ضمن الأسـفار القانونيَّـة، اعتـبرت الأبوكريفـا كُتُبـاً إضافيَّة أو محذوفة، أو غير قانونيَّة، ولكنْ؛ بما أنَّ هذه الكُتُـب موضـوعة ضـمن أسفار العهد القديم في التَّرجمات السَّبعينيَّة واللاَّتينيَّـة فقـد أقـرَّ مجمـع ترنـت في القرن السَّادس عشر اعتبارها قانونيَّة، وقد وُضعت ضـمن التَّـوراة الكاثوليكيَّـة ما عدا كتابَيْ أسدراس وصلاة منسى.

إضافة إلى ما أورده قاموس الكتاب المُقدَّس فإنَّنا نجد هذه الأسفار الأبوكريفيَّة في التَّوراة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة والسِّريانيَّة الأرثوذكسيَّة، ولا نجدها في التَّوراة البروتستانتيَّة والكنائس الحديثة الأُخرى. فالكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة مثلاً تقول إنَّ تسمية هذه الكُتُب بالأبوكريفا تُعتبر تسمية خاطئة، إذ إنَّ كلمة أبوكريفا معناها المخفيَّة، وهي تعني الكُتُب التي تحوي خُرافات وسخافات تتنافى مع الآداب المسيحيَّة، والتي لم تقبلها الكنيسة ضمن أسفار الكتاب المُقدَّس، ولكنَّ الكُتُب التي نحن بصددها تقول الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة ليست كُتُباً مشكوكاً فيها، بل هي كُتُب تعتبرها الكنيستان الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة قانونيَّة، ومعروفة باسم الكُتُب أو الأسفار القانونيَّة الثَّانية، وهذه الكُتُب هي مُرتَّبة على الشَّكل التَّالي:

- سفر طوبيا بعد نحميا
- سفر يهوديت بعد سفر طوبيا
- تتمَّة سفر استر مع سفر استر يبدأ بجُزء من الإصحاح العاشر وحتَّى السَّادس عشر
- سفر حكمة سُليمان يأتي بعد نشيد الإنشاد.
- سفر حكمة يشوع بن سيراخ يأتي بعد سفر حكمة سُليمان.
- سفر باروخ يأتي بعد مراثي إرميا.
- تتمَّة سفر دانيال يأتي مع سفر دانيال.
- سفر المُكابيِّيْن الأوَّل بعد سفر ملاخي.
- وسفر المُكابيِّيْن الثَّاني يأتي بعد المُكابيِّيْن الأوَّل.

التَّرجمة السَّبعينيَّة

سُمِّيت التَّرجمة السَّبعينيَّة لأنَّها وبحسب ما جاء في المرويَّات المسيحيَّة التي تروي: قام بترجمة هذه التَّوراة من العبريَّة إلى اليُونانيَّة اثنان وسبعون من حاخامات اليهود، ويُقال سبعون عندما كلَّفهم بذلك الملك بطليموس فلاديلفوس سنة 250 ق.م. الذي كان يُحبُّ الكُتُب كثيراً، ولكنَّ الحلقة المفقودة أو غير المُستوعبة هُنا ما جاء في قاموس الكتاب المُقدَّس قوله: إنَّ هذه الكُتُب الأبوكريفيَّة وُجِدت في التَّرجمة السَّبعينيَّة، ولكنْ؛ لم يضعها اليهود ضمن كُتُبهم القانونيَّة.

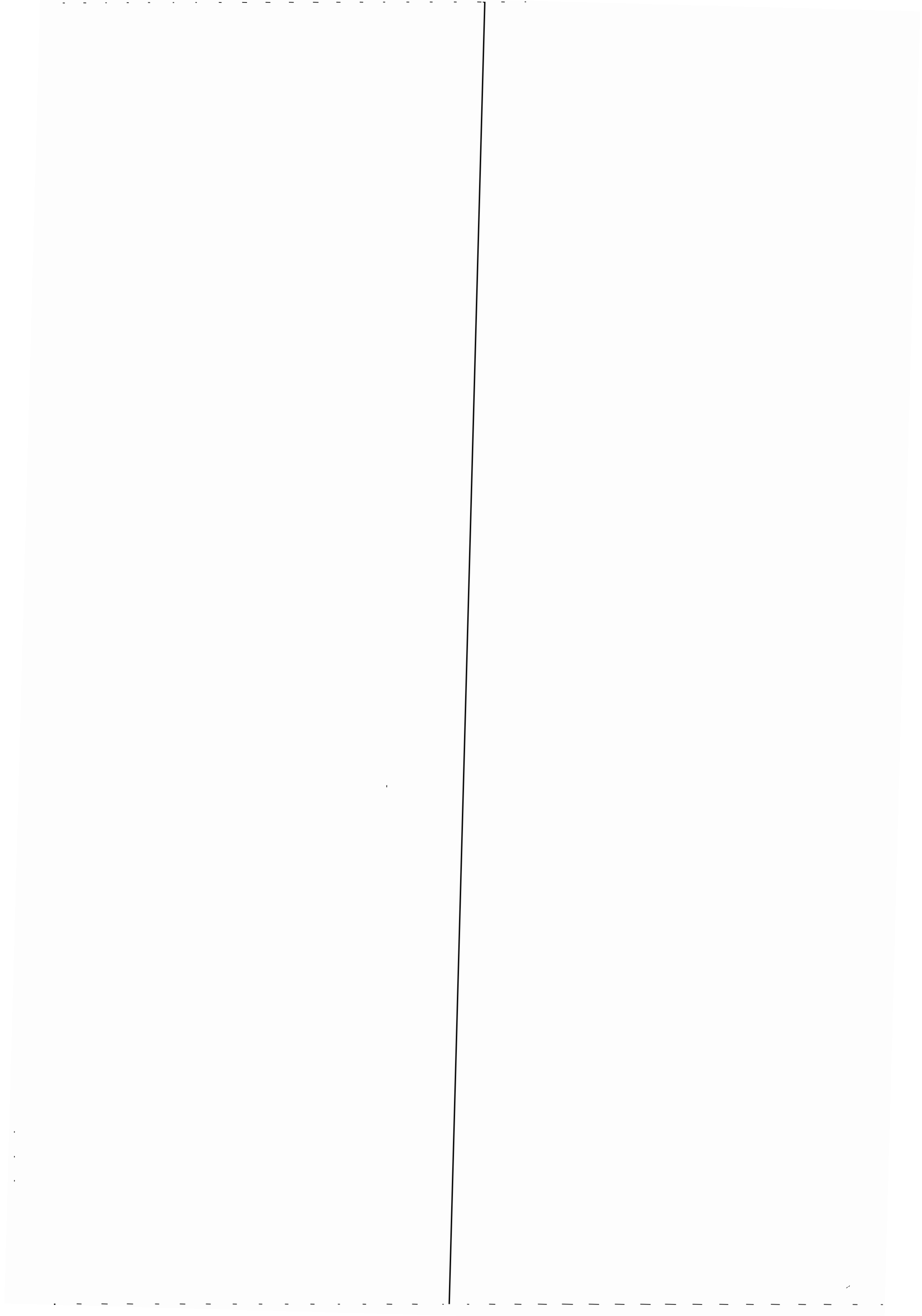
فالسُّؤال الصَّارخ هُنا. إذاً لَمَنْ كانت هذه الكُتُب عندما ترجمها حاخامات اليهود ضمن التَّرجمة السَّبعينيَّة في القرن الثَّالث قبل الميلاد؟

هل عمل اليهود بها ثُمَّ استكربوها؟ والجواب حتماً نعم، وبكُلِّ تأكيد. إذاً كيف وجدت هذه الكُتُب طريقها إلى الكنيسة المسيحيَّة، ولم تجد لها طريق الاستمراريَّة في الكنيس اليهودي كما في الكنيسة المسيحيَّة، وهي كُتُب يهوديَّة أصلاً وفصلاً، وهل يحقُّ للمسيحيَّة المُزاودة على اليهوديَّة في يهوديَّتها أكثر من اليهوديَّة ذاتها، حتَّى تبنَّت كُتُبهم التي تنكَّر لها أصحابها كمَنْ يُلقي سقطاته ونوافله في سلَّة المُهملات، ويأتي الباحث في القُمامة ليلتقطها، ويُؤطِّرها بهالة القُدسيَّة باسم الوحي، لماذا لم يعمل حاملو شمعة الكرازة الرَّسُوليَّة بمضمون الرِّسالة المسيحيَّة، والتي تقول، وأما ما عتق وشاخ فهُو قريب من الاضمحلال.

(الرِّسالة إلى العبرانيِّيْن 8: 13).

أليس صحيحاً قول المسيح: لو كان القديم (العهد القديم) بلا عيب لما كان الحاجة للجديد (العهد الجديد)؟

فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان. عبرانيين 8:7



معنى الأبوكريفا

يُقال إنَّ الأبوكريفا كلمة يُونانيَّة ولُغويَّاً معناهـا الكُنُـوز الـسِّرِّيَّة المقـصود منها المعاني الخفيَّة وراء كلمات الوحي، كما يرى المُفـسِّرون ويُـضيفون قـولهم إنَّ الأبوكريفا أو هذه السِّرِّيَّة التي تسمو على الفهم إلاَّ على عُقُول مَـنْ كانـت فـيهم الـرُّوح الفاضـلة. إنَّ هـذه الـسِّرِّيَّة وردت في سـفر دانيـال الإصـحاح 2: 19، للدَّلالة على معرفة الأسرار الخفيَّة!

فإذا كان لديك الفُضُول يا سـيِّدي الفاضـل لمعرفـة هـذه الأسرار الإلهيَّـة الخفيَّة عن إدراك الأوباش والتي شيَّعها لإسعاف الإنسانيَّة هـذا لـرَّبُّ الحنُـون، فتعال معي لنقرأ عن هذه الأسرار الواردة في سفر دانيال، والتي سمَّاها كُنُوز.

الحقيقة؛ بعد عودتي لقراءة هذه الكلمات المُهمَّة والتي قالوا عنها أبوكريفية الواردة في سفر دانيال، اقتنعت أنِّي أقرأ أو أستمع لكـلام إنـسان يُحَـرِّف بثرثـرة لا يُمكن لك أنْ تفهم منها أيَّ شيء، لا سرِّيَّة فيها ولا مَنْ يحزنون، إنَّهـا كلـمات مُشتَّتة لا رابط أو علاقة لواحدة بالأُخرى، يـتكلَّم مـن الـشَّرق وفجـأة يغـرف بالغرب، ليقفز إلى الشَّمال، وهكذا هذه الأبوكريفيا ليست إلاَّ كلـمات تُعـبِّر عـن تخبُّط وتخربط وتلخبط مُلقِّن الوحي، وها أنا أقرأ لكم هـذه الأسرار حرفيَّـاً كـما جاءت في سفر دانيال، علَّكم تزدادون من نُور الإيمان، وقد يذهب رُبَّـما القـارئ للوهلة الأُولى إلى أنَّ هذا النَّصّ الذي أسوقه أفرغ من معناه لأنَّه بـتر مـن سـياق النَّصِّ، ولكنْ هذا ليس صحيحاً أبداً فما أسوقه ليس له أيُّ علاقة بما سبقه، وهـا أنا أورد لك يا سيِّدي هذه الثَّرثرة التي تحمل الأسرار المُقدَّسة:

ففي وقت النِّهاية يُحاربه ملك الجنوب فيثور عليه ملك الشَّمال بمركبات وبفرسان، وبسُفُن كثيرة، ويدخل الأراضي ويجرف ويطمو، ويدخل إلى الأرض البهيَّة، فيعثر كثيرون وهؤلاء يفلتون من يده، أدوم ومُوآب، ورُؤساء بني عمون، ويمد يده على الأراضي، وأرض مصر لا تنجو، ويتسلَّط على كُنُوز الذَّهب والفضَّة، وعلى كُلِّ نفائس مصر واللُّوبيُّون والكوشيون، عند خطواته وتفزعه أخبار من الشَّرق ومن الشَّمال، فيخرج بغضب عظيم ليخرِّب وليُحرِّم كثرين ويُنصب فسطاطه بين البُحُور وجبل القُدس ويبلغ نهايته ولا معين له.

(سفر دانيال 11: 40ـ45).

هل فهمت شيئاً من هذه الثَّرثرة يا سيِّدي؟ هل فهمت شيئاً من هذه الألغاز والأسرار الأبوكريفيَّة؟ وهل عرفت ما تحجب خلفها من معاني وكُنُوز؟ لا أظنّ ُولكن إذا خاب ظنِّي أي إذا فهمت يا سيِّدي من هذه الثَّرثرة شيئاً، فأقول لك أبشر لأنَّ فيك رُوحاً فاضلة ورُوح العلي تُظلُّك وأنا أحسدك، وألف مبروك لك هذا الهُدى.

الحقيقة إنَّ أكثر الكُتُب الدِّينيَّة طلسمة وضبابيَّة ومطاطيَّة في تأويلها وتفسيرها، ولا سيَّما التي فيها من الكلمات التي لا يعلم مُرادها إلا الله، وهي ليست إلا ثرثرة الحقيقة، إنَّ هذه الكُتُب هي أكثر الكُتُب الدِّينيَّة قُدسيَّة وهيبة واحتراماً، عند العقل السَّاذج. الذي لا يقوى على التَّفكُّر، لا بل لا يُعطي لعقله أيَّ جُهد للمُوازنة والمُحاكمة العقليَّة فيستسهل الهزيمة المعرفيَّة عن الجُهد العقلي والجهاد الفكري كمخصي في عقليته، وهُو يظنُّ أنَّه انتصر على الجهل حين يقول والعلم عند الله، أو الله أعلم، أو لا يعلم مُراده إلا الله، فإذا كانت هذه الجُمل والألفاظ ألغازاً وأسراراً لا يعلم مُرادها إلا الله، فلمَنْ أُرسلت هذه الكلمات المُبهمة؟ الحقيقة إنَّ هذا كُلَّه ليس إلاَّ إخصاء لعُقُول أَبَتِ التَّفكير.

يقول قاموس الكتاب المُقدَّس إنَّ الأبوكريفا وردت في سفر دانيال ص11: 43، للتَّعبير عن الكُنُوز الخفيَّة وكما وردت في دانيال 2: 19، للدَّلالة على معرفة الأسرار المخفيَّة، فأيُّ دلالة وأيُّ أسرار تتكشَّف لنا من هذه الثَّرثرة

التي لا تحمل أيَّ معنى، وبالعودة إلى التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس لنفهم هذه المُعضلة التي استعصت على فهمنا القاصر، ورغم أنَّ هذا الكتاب الضَّخم يحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف صفحة، إلاَّ أنَّه لم يأتِ على تفسير كُلّ هذه الثَّرثرة إلا ببعض الكلمات القليلة والتي ليس لها أيُّ علاقة بهذا النَّصِّ أو في معنى الأبوكريفا.

وبحسب قاموس الكتاب المُقدَّس إنَّ الأسفار السَّاقطة أو أسفار الأبوكريفا في العهد القديم يُمكن حصرها وترتيبها وتصنيفها على النَّحو التَّالي:

1 ـ أسفار تاريخيَّة وتشمل: أسدراس الأوَّل والمُكابيِّيْن الأوَّل والثَّاني وإضافات إلى سفر دانيال وهي:

أ- نشيد الثَّلاثة الفتية المُقدَّسين وتتمَّة سفر دانيال.

ب- تاريخ سوسنة.

ج- تاريخ انقلاب بيل وبقيَّة سفر استر، ورسالة إرميا، وصلاة منسى.

2 ـ أسفار قصصيَّة تحوي أساطير وهي سفر باروخ، وسفر طوبيا، وسفر يهوديت.

3 ـ أسفار رُؤية أسدراس الثَّاني.

4 ـ سفران تعليميَّان وهُما: سفر حكمة سُليمان وسفر حكمة يشوع بن سيراخ.

ما يجب أنْ نُلفت الانتباه إليه هُنا، هُو أنَّ سفر حكمة سُليمان هُو غير سفر الجامعة، أو نشيد الإنشاد، أو سفر الأمثال، المنسوبين لسُليمان الحكيم، وهذه الأسفار تُعرف عادة بأسفار الحكمة. كما أنَّ سفر حكمة يشوع هُو غير سفر يشوع بن نون خليفة مُوسى، وكذلك رسالة إرميا المُشار إليها هُنا هي غير كتاب إرميا المُثبَّت في أسفار العهد القديم القانونيَّة.

وخارج ترتيب قاموس الكتاب المُقدَّس هذا، هُناك أيضاً أسفار أبوكريفيَّة كثيرة في مصادر أُخرى، منها جاء عليها رجال الدِّين، ومنها لم يأتوا عليها، نذكر

بعضاً منها: كتاب اليوبيليَّات وسفر عزرا الرَّابع ووصايا الأسباط الاثني عشر وكتاب الهاجداه، وكتاب عندما امتنع إبليس عن السُّجُود، وكان لهذا الأخير الحُضُور القوي والمُؤثِّر في تكوين الثَّقافة الأيديولوجيَّة في شبه الجزيرة العربيَّة، قبل ظُهُور الإسلام، وكانت أهمِّيَّة هذا الكتاب عند العرب لا تقلُّ عن أهمِّيَّة الإنجيل العربي، أو إنجيل الطُّفُولة الذي عرفه كُلُّ عرب الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام، وكانت هذه الثَّقافة الدِّينيَّة قد غزت الجزيرة العربيَّة عن طريق الرَّهبنة السُّوريَّة المسيحيَّة، ولا سيَّما النّسطوريَّة أمثال الرَّاهب سركيس بحيرا، كما أنَّنا لا نغفل أيضاً أثر غير الرُّهبان ولا سيَّما قوافل التُّجَّار.

من أسفار الأبوكريفا هُناك أسفارٌ لم تعترف بها أيُّ كنيسة في الوقت الحاضر، مثل سفر المُكابيِّيْن الثَّالث والرَّابع والخامس، وهُناك أسفار تُقدِّسها الكنيسة الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة، وترفضها الكنيسة البروتستانتيَّة وهذه الأسفار المُقدَّسة من وجهة نظر الكنيسة التَّقليديَّة هي في عددها تسعة أسفار مُقدَّسة وهي:

طوبيا ـ يهوديت ـ تتمَّة سفر أستر ـ الحكمة ـ يشوع بن سيراخ ـ باروخ ـ تتمَّة سفر دانيال ـ المُكابيِّيْن الأوَّل ـ المُكابيِّيْن الثَّاني.

كُنَّا قد أشرنا إلى سفرَيْن من هذه الأسفَار عندما أجرينا مُقارنة بينها وبين سفر حكمَة أحيقار، وهذَان السّفرَان هُما سفر يشوع بن سيراخ وسفر طوبيا المار ذكرهم قبل قليل والآن نتعرَّف على بقيَّة الأسفار السَّبعة من الأسفار الأبوكريفيَّة.

سفر باروخ

سفر باروخ هو أحد أسفار الأبوكريفا من العهد القديم، يزعم هذا السّفر أنَّ باروخ كاتب النَّبيّ إرميا هو الذي كتب هذا السّفر، وهذا ما جاء في إصحاحه الأوَّل:

هذا كلام الكتاب الذي كَتَبَه باروخ بن نيريا بن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا في بابل...

باروخ 1: 1.

ويشمل هذا السّفر المقدِّمة في الإصحاح الأوَّل من 1: 1 حتَّى 1: 14 كما يشمل على ثلاثة أقسام بحسب تصنيف قاموس الكتاب المُقدَّس:

1 ـ يعترف هذا القسم بخطيئة إسرائيل التي لم تعرف الرَّبَّ منذ أنْ أخرجت من مصر (أرض العبوديَّة) إلى يوم كتابة هذا السّفر في النّصف الثَّاني من القرن السَّادس قبل الميلاد في أرض بابل (أرض العبوديَّة): وهذا ما جاء في سفر باروخ:

من يوم أخرج الرَّبُّ آباءنا من أرض مصر إلى هذا اليوم ما زلنا نُعاصي الرَّبَّ إلهنا ونعرض عن سماع صوته.

(باروخ 1: 19).

إنَّ ما جاء في هذا السّفر هو متناقض من حيث كاتب السّفر وزمانه لهذا يختلف رجال الدِّين حول كاتب هذا السّفر وزمانه، فيرى بعضهم أنَّ هذا السفر كُتب في الحقبة الفارسيَّة (النّصف الثَّاني من القرن السَّادس قبل الميلاد)، بينما يرى آخرون أنَّه كُتب في القرن الثَّاني قبل الميلاد.

2 ـ في القسم الثَّاني، وتحديداً بالإصحاح الثَّالث يحثُّ الكاتب الإسرائيليِّيْن بالعودة إلى أورشليم ويعتبر أرض بابل أرض الأعداء.

لماذا يا إسرائيل؟ لماذا أنت في أرض الأعداء؟.

(باروخ 3: 13).

في هذه الآية يجعل مُلقِّن الوحي من أرض بابل أرضاً للأعداء، أرض شرٍّ ولعنة مع أنَّ الكاتب ذاته (إذا كان باروخ كاتب السّفر بكامله)، في الإصحاحين السَّابقين الأوَّل والثَّاني، كان يُقدِّس البابليِّيْن وأرض البابليِّيْن وملك البابليِّيْن لحدِّ العبادة كما أنَّ السفر ذاته يبارك الإسرائيليِّيْن المقيمين في أرض بابل.

الحقيقة إذا أخذنا هذه الأُمُور بشيء من الجدِّيَّة فهذا لا يعني إلا معنى واحداً لهذا التَّناقض وهو أنَّ كتابة هذا السفر اشترك فيها أكثر من كاتب وبأوقات متفاوتة، ولكلِّ كاتب رؤيته أو هلوسته التي انفرد بها عن الآخر، وأيَّاً كان كاتب هذه الصَّفحات فهو كاتب خرفان معتوه لا يفقه شيئاً، لأنَّ ما يتضمَّنه هذا الكتاب من تخريف يفوق حدود السُّخرية والمهزلة، وها هو السّفر ذاته يقول:

وصلوا من أ جل حياة نبوختنصر ملك بابل وحياة بلشصر ابنه لكي تكون أيَّامهما كأيَّام السَّماء على الأرض، فيؤتينا الرَّبُّ قُوَّة وينير عيوننا ونحيا تحت ظلِّ نبوختنصر ملك بابل وظلّ بلشصر ابنه ونتعبَّد لهما أيَّاماً كثيرة، ونحن نائلون لديهما حظوة.

(باروخ 1: 11ـ12).

هكذا قال الرَّبُّ احنوا مناكبكم وتعبَّدوا لملك بابل فتسكنوا في الأرض التي أعطيتها لآبائكم وإنْ لم تستمعوا لصوت الرَّبِّ بأنْ تتعبَّدوا لملك بابل فإنِّي أُبطل صوت العروس وصوت العروسة، وتكون كلُّ الأرض مستوحشة لا ساكن فيها.

(باروخ 2: 21ـ22).

كيف يمكن لنبي حكيم وعاقل ولا سيَّما أنَّه يكتب بتلقين وإرشاد الرُّوح القدس، كيف لهذا الكاتب أنْ يدوِّن في هذا السّفر آية تكفر وتلعن بابل أرض

الأعداء، وتجعل منها جحيماً لا يُطاق، ويدعو إلى الخروج منها وعلى وجه الشُّرعة وبعد آيات قليلة نفاجأ بما يناقض هذا الموقف من تقديس لأرض بابل وسكّان بابل وملك بابل، لا بل عبادة لملك بابل، كإله وبتوجيه من الله كما نقرأ في ذات السّفر حيناً أنَّ كاتب هذا السّفر هو النَّبيُّ باروخ، لهذا سُمِّي باسمه وحيناً نقرأ في ذات السّفر أنَّ كاتب هذا السّفر هو النَّبيُّ إرميا، وأمور أخرى عجيبة غريبة من التَّناقضات والتَّحريفات.

هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروخ بن نيريا بن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا في بابل.

(سفر باروخ 1: 1).

نسخة الرِّسالة التي أرسل بها إرميا إلى الذين كان ملك بابل مزمعاً أن يسوقهم في الجلاء إلى بابل يخبرهم بما أمره الله به.

(سفر باروخ 6: 1).

إذاً آية تقول إن باروخ هو كاتب هذا السفر وآية أخرى تقول إن اراميا هو كاتب هذا السفر.

فما رأيكم يا رعاكم ربّكم وأدام رشدكم لعزِّ دينكم؟

الحقيقة فإنَّ هذا الكلام المتناقض بوضوح لا يمكن أن يكتبه شخص واحد إلاَّ إذا كان هذا الأهبل في مُنتهى الخبول أو فيه روح رديئة كما تصف التَّوراة مَنْ فيه مسٌّ من الجنون والخبل.

إنَّ كاتب سفر باروخ تارة يمجِّد بابل وملك بابل وتارة يلعن بابل ومَنْ فيها، تارة يتغنَّى بنعمة بابل وفضلها على العبريِّيْن وتارة يصفها بالنَّقمة، وهذا السفر يعتبر من المرتبة الثَّانية في قدسيَّته أمَّا في الأسفار القانونيَّة المُقدَّسة غير الأسفار الأبوكريفيَّة نجد هذه الصُّورة المتناقضة تماماً، فهناك أنبياء يلعنون بابل وخمرها وزناها، وهُناك أنبياء يقدِّسون بابل وخمورها المعتَّقة التي كثيراً ما قرَّبوها قرباناً للرَّبِّ مع بعض الذَّبائح من أبنائهم الأطفال وبعض حيواناتهم في أحيان أُخرى.

ولكنَّ هذه العظيمة بابل التي تهافت عليها العبريُّون كتهافت أسراب من الذُّباب على قطعة من الحلوى، والتي أسمى هذا التَّهافت بعض الأنبياء بالسَّبي نجد أنَّ هُناك مَنْ كذَّب هذا الزَّعم، وأكَّد على أنَّ الهجرة إلى بابل كانت هجرة طوعيَّة، لا بل كانت هجرة بأمر من الله لا بأمر من ملك بابل، وهذا ما يؤكِّده لنا النَّبيُّ إرميا، وخير مثال أعطانا في مثله المعروف مثل سلَّتي التِّين؛ حيث شبَّه لنا إرميا المهاجرين إلى بابل بسلَّة تين جيِّدة جدَّاً، ومَنْ لم يهاجر إلى بابل شبَّهه بسلَّة تين رديئة جدَّاً، يقول النَّبيُّ إرميا على لسان الرَّبِّ، أو بوحي من الرَّبِّ:

أراني الرَّبُّ وإذا سلَّتا تين موضوعتان أمام هيكل الرَّبِّ بعدما سبى نبوختنصر ملك بابل يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا ورُؤساء يهوذا والنَّجَّارين والحدَّادين من أورشليم وأتى بهم إلى بابل في السَّلَّة الواحدة، تين جيِّد جدَّاً مثل التِّين الباكوري، وفي السَّلَّة الأُخرى تين رديء جدَّاً لا يؤكل من رداءته، فقال لي الرَّبُّ: ماذا أنت راءٍ يا إرميا. فقلت: تينا، التِّين الجيِّد جيِّد جدَّاً، والتِّين الرَّديء رديء جدَّاً، لا يُؤكل من رداءته، ثم صار كلام الرَّبِّ إليَّ قائلاً: هكذا قال الرَّبُّ إله إسرائيل، كهذا التِّين الجيِّد هكذا انظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيِّيْن للخير، وأجعل عيني عليهم للخير وأُرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدهم وأغرسهم ولا أقلعهم. وأعطيهم قلباً ليعرفوني إنِّي أنا الرَّبُّ فيكونوا لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً، لأنَّهم يرجعون إليَّ بكلِّ قلبهم. وكالتِّين الرَّديء الذي لا يؤكل من رداءته، هكذا قال الرَّبُّ هكذا، أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقيَّة أورشليم الباقية في هذه الأرض والسَّاكنة في أرض مصر، وأسلمهم للقلق والشَّرِّ في جميع ممالك الأرض عاراً، ومثلاً وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها. وأرسل عليهم السَّيف والجوع والوباء حتَّى يفنوا عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآباءهم إيَّاها.

(الإصحاح الرَّابع والعشرون من سفر إرميا).

إنَّ رسالة إرميا هنا وبوضوح هي أنَّ الهجرة إلى بابل هي نعمة ورحمة إلهيَّة على شعبه لإنقاذه من الهلاك بسبب الجوع والسَّيف.

كيف لنا أنْ نوافق ونعادل بين هذه الرسالة وما جاء في سفر باروخ، وهو الذي يرى أنَّ الهجرة أو الجلاء إلى بابل هو عقوبة إلهيَّة على شعبه الخاطئ، وهذا ما جاء في سفر باروخ الإصحاح السَّادس:

نسخة الرِّسالة التي أرسل بها إرميا إلى الذين كان ملك بابل مزمعاً أنْ يسوقهم في الجلاء إلى بابل يخبرهم بما أمره الله به، إنَّه لأجل الخطايا التي خطئتم أمام الله يسوقكم نبوكدنصر ملك بابل في الجلاء إلى بابل.

(سفر باروخ 6: 1).

عشرات الآيات في صفحات التَّوراة تمجِّد بابل وأُخرى تحقِّرها، نبيٌّ يقدِّس وآخر يدنِّس، ولكنْ؛ في السّفر الواحد كما في سفر باروخ آية تمجِّد وتقدِّس، وأخرى تحقِّر وتدنس، فهذا ليس إلاَّ من رصيد الغباء، الذي لم ينفرد به إلاَّ أنبياء الله وها هي التَّوراة تشهد. والتوراة كلام الله وكفى بكلام الله شهيداً وهو أصدق الصادقين

3 ـ في القسم الثَّالث من سفر باروخ، تشجيع ووعد بالنَّجاة، وكأنَّ الإسرائيليِّيْن، كانوا في جحيم لا يُطاق من العبوديَّة مع أنَّه كما أسلفنا أنَّ في صفحات أخرى من هذا السّفر تُكذِّب هذا الكلام وتؤكِّد على النِّعمة والبذخ والتَّمتُّع الذي يعيشونه في بابل، بعد أن تخلَّصوا من الموت جوعاً في أورشليم.

هذا حول بعض التَّناقضات فيما جاء في سفر باروخ أمَّا حول كتابة هذا السّفر فهناك اختلاف في الرَّأي من قبل رجال الدِّين حول كتابة هذَيْن القسمَيْن إذا كان قد كتب باللُّغة العبريَّة أصلاً، أم باللُّغة اليونانيَّة، ويقول قاموس الكتاب المُقدَّس إنَّ الإصحاح الخامس من سفر باروخ يشبه الإصحاح الحادي عشر من قصائد سُليمان أو حكمة سليمان وهو أحد الأسفار الساقطة.

إنَّ أغلب العلماء اتَّفقوا على أنَّ باروخ لم يكتب هذا السفر وكان من المفروض أنْ يسمَّى هذا السِّفر رسالة إرميا لا سفر باروخ[1].

1 – قاموس الكتاب المُقدَّس، ص158

رغم أنَّ بداية السِّفر يذكر أنَّ باروخ هو كاتب هذا الكلام إلا أنَّ قاموس الكتاب المُقدَّس رجَّح اسم (رسالة إرميا) على هذا السِّفر بسبب ما جاء في مقدِّمة الإصحاح السَّادس من سفر باروخ قوله:

نسخة الرِّسالة التي أرسل بها إرميا إلى الذين كان ملك بابل مزمعاً أنْ يسوقهم في الجلاء إلى بابل يخبرهم بما أمره الله به.

باروخ الإصحاح السَّادس.

رغم أنَّ هذا جاء مخالفاً للإصحاح الأوَّل قوله إنَّ باروخ هو صاحب هذا الكلام، إنَّ الخلاف القائم بين رجال الدِّين يتجاوز الخلاف عن تحديد لغة السِّفر، والخلاف أكبر في تحديد الكاتب رغم تلك الإشارتين المتناقضتين، وحول هذا التَّخبط في الآراء يقول قاموس الكتاب المُقدَّس إنَّ رسالة إرميا الواردة في مقدمة الإصحاح السَّادس من سفر باروخ تعتبر من ضمن الأسفار المحذوفة، وقد وردت في التَّرجمة السَّبعينيَّة رسالة منفصلة قائمة بذاتها، أمَّا في التَّرجمة اللاَّتينيَّة الفلجات، والتَّرجمة العربيَّة اليسوعيَّة، فتجعلان الرِّسالة الإصحاح السَّادس من سفر باروخ وبما أنَّ هذه الرِّسالة لم ترد في الكتب القانونيَّة العبريَّة ولا صلة لها بإرميا، ولم يكتبها هذا النَّبيّ العظيم، لذا فلم تحسب ضمن الأسفار القانونيَّة بحسب المذاهب المصلحة.

(قاموس الكتاب المُقدَّس، ص56)

ورغم الأخطاء الكثيرة والتَّناقضات الكثيرة التي من المفروض أن لا يقبل بها أي مطَّلع ومن أي سويَّة ثقافيَّة كان، إلاَّ أنَّ هذا السِّفر بقي ضمن الأسفار المُقدَّسة الثَّانية في قانون بعض الكنائس، أقصد الكنائس القديمة (الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة).

سفر المُكابيِّيْن

سفر المكابيِّيْن عبارة عن خمسة أسفار من أسفار العهد القديم الأبوكريفيَّة. الأسفار الثَّلاثة الأخيرة لم تعترف بهم أيّ جهة دينيَّة، وهـذا يعنـي أنَّ هـذه الأسفار عُمل بها لوقت ما، ثُمَّ استكربت في الوقت الـرَّاهن، أمَّـا الـسِّفران الأوَّل والثَّاني، فإنَّ الكنائس الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة تعتبرهم مـن الأسـفار المُقدَّسـة الثَّانية، وتُعلِّق عليهم أهمِّيَّة كبرى لما فيهم من أخبار تاريخيَّة وخاصَّة السِّفر الأوَّل.

في هذين السِّفرين يروي الكاتب ثورة اليهـود ضـدَّ أنطونيـوس أبيفـانس سنة 164ق.م. بقيادة يهوذا المكـابي الـذي قتـل سـنة 160ق.م، وخلفـه أخـوه يوناثان حتَّى سنة 142ق.م.، ثُمَّ خلفه أخوه سمعان حتَّى سـنة 135ق.م. تبـدأ حـوادث الـسِّفر الأوَّل منـذ تبـوُّء أنطـوخس أبيفـانس العـرش الـسُّوري سـنة 175ق.م.، ويتحدَّث عن خبر عصيان اليهود أيَّـام متاثيـاس ونجـاحهم بقيـادة يهوذا المكابي والسِّفر الثَّاني يبتدئ مـن آخـر أيَّـام الملـك سـلوقس الرَّابـع (فيلـو باتور)، وينتهي بخبر انتصار يهوذا المكابي على سلوقس نيكاتور سـنة 160ق.م. وفي رواية السِّفرين الأوَّل والثَّاني كثـير مـن التَّنـاقض وتـرجِّح الكنيـسة صـحَّة السِّفر الأوَّل على ما يخالفه من السِّفر الثَّـاني كـما أنَّنـا نقـرأ قـصَّة المـرأة وأبنائهـا السَّبعة في الإصحاح السَّابع من المكابيين الثَّاني، (قصَّة مارشموني التي لها مكانـة مميزة في التُّراث الـسُّوري الأرثوذكـسي)، أمَّـا الأسـفار الثَّلاثـة الباقيـة والتـي لم تعترف بهم أيّ جهة في الوقت الحاضر، فإنَّ في هذه الأسفار من الخُرافة والرَّكاكة التي لا يُمكن لأيِّ قارئ أنْ يستوعبها.

حكمة سُليمان

ومـن الأسـفار المُقدَّسـة والقانونيَّـة مـن وجهـة نظـر ومـن أخـرى غـير ذلك نذكر:

سفر حكمة سُليمان
أو قصائد سُليمان

يُعتبر هذا السِّفر من الأسفار الأبوكريفيَّـة أو المنحولـة بحـسب الكنـائس الحديثة وهو من الأسـفار القانونيَّـة الثَّانيـة وغـير المنحولـة، بحـسب الكنـائس المستقيمة والجامعة (الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة).

يتحدَّث هذا السِّفر عن أهمِّيَّة الحكمة في حياة الإنسان كموجِّـه إلى طريـق البر والعدل وتجنُّب الشَّرِّ لنيل السَّعادة وراحة البال. ويرى كاتب هذا الـسِّفر أنَّ لا الصِّحَّة ولا المال ولا أي شيء آخر تعلو أهمِّيَّته على أهمِّيَّة الحكمة. وبالإجمال، إنَّ هذا السِّفر هو من الأسفار التَّعليميَّة التَّهذيبيَّة، كُتب بالإسـكندريَّة بأسـلوب إنشائي باللُّغة اليونانيَّة في القرن الأوَّل قبل الميلاد ولكـنْ؛ في قـراءة هـذا الـسِّفر نلمس توجُّه حكمـة سُـليمان غـير التَّوجُّـه الـذي عهـدناه منـه في بقيَّـة أسـفاره القانونيَّة، وخاصَّة سفري نشيد الإنشاد والجامعة.

ففي سفر الجامعة وهو من أسفار الحكمة والمعترف به، من كُـلِّ الكنـائس قاطبة، وهو منـسوب للنَّبـيِّ سـليمان نجـد في هـذا الـسِّفر أنَّ الكاتـب لم يـؤمن بالعقاب والثَّواب والجنَّة والنَّار بعد الموت، وإنَّـما النَّعـيم والجحـيم هـو في هـذه

الحياة وعلى هذه الأرض، لهذا كان يتحدَّث دائماً على اغتنام الفرص إبَّان الشَّباب بالمأكل والمشرب والتَّمتُّع بالجنس لأنَّ الإنسان من التُّراب وإلى التُّراب يعود ولا شيء بعد ذلك.

كما أنَّ نشيد الإنشاد وهو من أسفار حكمة سليمان أيضاً، طبعاً بحسب رأي مريدي التوراة مع أن هذا السفر ليس له علاقة لا بالحكمة ولا بالدين وإنما هو عبارة عن قصائد غزل وجنس وحتى في بعض الأمثال في سفر الأمثال ركَّز الكاتب بوضوح على المتعة الجنسيَّة،واللَّهو في أحضان النِّساء، أمَّا في هذا السِّفر المنحول حكمة سليمان، فيكفر الكاتب هذاالتَّوجُّه ويعتبره من أفعال الأشرار، وهذا ما يقوله الأشرار بحسب ما جاء في السِّفر المنحول:

إنَّما حياتنا ظلٌّ يمضي ولا مرجع لنا بعد الموت لأنَّه يختم علينا فلا يعود أحد، فتعالوا نتمتَّع بالطَّيِّبات الحاضرة ونبتدر منافع الوجود، ما دمنا في الشَّبيبة ونترو من الخمر الفاخرة ونتضمَّخ بالأدهان، ولا تفُتنا زهرة الأوان، ونتكلَّل بالورد قبل ذبوله ولا يكن مرج إلاَّ تمر لنا فيه لذَّة.

(سفر حكمة سليمة 2: 5ـ8).

هذا ما يقوله الأشرار من وجهة نظر كاتب هذا السِّفر غير القانوني، ولكنْ؛ إذا كان هذا الكلام صادراً عن سليمان، فإنَّ ما جاء في الأسفار القانونيَّة المنسوبة لسليمان لا يقول إنَّ هذا الكلام هو كلام أشرار، كما هنا، وإنَّما يقول عكس ذلك تماماً، وهو من باب الحكمة كما يرى سليمان، وإليك بعض هذه الأمثلة من الأسفار القانونيَّة المنسوبة للنَّبيِّ سليمان والتي تقول تماماً ما يقوله الأشرار:

يقول سفر الأمثال، وهو من أسفار حكمة سليمان الدارج ضمن الأسفار القانونيَّة:

الظِّبية المحبوبة والوعلة الزَّهية ليروك ثدياها في كلِّ وقت، وبمحبَّتها أسكر دائماً.

(سفر الأمثال 5: 19).

إنَّ المفسِّر التَّوراتي لهذه الآية كالعادة يحاول لـوي عنـق الحقيقـة بقولـه إنَّ هذه الفقرة تحثُّ الزوجين على أنْ يرى كلُّ منهما في الآخر مصدراً للشَّبع الجنسي ورفيقاً لمدى الحياة هكذا يرى المفسِّر التَّوراتي، بـل هكـذا يريـدنا أن نفهـم هـذه الحكمة السليمانيَّة وهو يعرف حقَّ المعرفـة أنَّهـا ليـست هكـذا، ولكـنْ؛ في هـذه المقولة الحقيقة ليس فيها أي إشارة إلى ما ذهـب إليـه المفسِّر، فـالحكيم سـليمان يقول في حكمته هذه وبالحرف الواحد: الظّبية المحبوبة والوعلة الزَّهيـة، لـيُروك ثدياها في كلِّ وقت وبمحبَّتها أسكر دائماً، وكلمة دائـماً هُنـا تعنـي اللاَّشـبع مـن الجنس وليس كما تفذلك هذا المُجمِّل لهذا الشَّبق الجنسي.

إذاً؛ لا توجد أيَّة إشارة للزوجة ولا أي إشارة إلى أي امرأة محدَّدة وإنَّما المقصود بهذه المقولة أي امرأة جميلة لا عـلى التَّعيـين إنْ كانـت جارتـك، أم زوجة صاحبك، كما فعل داوود بجارته وزوجة صاحبه أوريا الحثِّي، حيـث رآها عارية من فوق سطحه وبعث خلفها وزنـى بهـا وهـي بتـشبع أم النَّبـي سليمان لاحقاً.

يقول هذا المفسِّر المفسد في المعلومة وتفسيراً لهذه الآية:

على عكس الكثير ممَّا نقرأ ونرى ونسمع هذه الأيَّـام فـإنَّ هـذه الفقـرة تحثُّ الزَّوجين على أن يرى كلُّ منهما في الآخر مصدراً للـشَّبع ورفيقـاً لمـدى الحياة، وما أكثر التَّجارب التي تغـري الأزواج والزَّوجـات، عـلى أنْ يـترك أحـدهما الآخـر طلبـاً للإثـارة واللَّـذَّة في شـخص آخـر، عنـدما يـصبح الـزَّواج ممـلاًّ... ويـضيف المفـسِّر قولـه: ارجـع إلى نـشيد الإنـشاد للنَّبـيِّ سليمان4: 5ـ12ـ15، لترى ما يوازي هذه العبارات الـصَّريحة عـن مبـاهج المتعة الجنسيَّة في الزَّواج.

(التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس، ص1292).

وبالرُّجوع إلى نشيد سليمان كما أشار علينا هذا الحكـيم المتـوارث حكمتـه من أسلافه الصَّالحين لتتكشَّف لنا مكامن مباهج المتعـة الجنـسيَّة التـي نجهلهـا، فوجدنا في هذه الإشارة وصفاً لمقدِّمة إحدى القدِّيسات قوله:

ثدياك كخشفتي ظبية... وهذا جاء تصديقاً لحكمته سَّالفة الـذِّكر. الظَّبية المحبوبة والوعلة الزَّهيَّة ليروك ثدياها... الحقيقة إنَّ نشيد الإنشاد جاء بكامله حثّاً وتشجيعاً إلى التَّلذُّذ بالجنس إنَّه قصيدة جنسيَّة بحتة[1].

إذاً؛ الأسفار القانونيَّة من حكمة سليمان جاءت لتقول تماماً ما يقول الأشرار الوارد قولهم في السِّفر غير القانوني من حكمة سليمان 2: 5ـ8، كما مرَّ معنا وأضيف إلى هذا، أنَّ سفر الجامعة وهو أيضاً من أسفار حكمة سليمان القانونيَّة أي الأسفار المُقدَّسَة، يقول تماماً ما يقوله الأشرار في السِّفر غير القانوني السَّابق ذكره، وهذا ما جاء في سفر الجامعة:

لأنَّ ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكُلِّ فليس للإنسان مزية على البهيمة لأنَّ كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد، كان كلاهما من التُّراب وإلى التُّراب يعود كلاهما، من يعلم روح بني البشر؟ هل هي تصعد إلى فوق؟ وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض؟، فرأيت أنَّه لا شيء خير من أنْ يفرح الإنسان بأعماله لأنَّ ذلك نصيبه.

(سفر الجامعة 3: 19ـ22).

قبل اليهوديَّة وقبل خليل الله في الألف الثَّاني والثَّالث والرَّابع قبل الميلاد كان في بلاد الرَّافدين وفي سوريَّة بشكل عامٍّ عقيدة مفادها بأنَّه يوجد مكان للخلود ينتهي إليه الصَّالحون من البشر كجنَّة دلمون (البحرين اليوم)، وهو الموضع الذي انتهى إليه أوتانابشتيم الصَّالح جد جلجامش، ولكنْ؛ في الألف الأوَّل قبل الميلاد كانت النَّظرة إلى الجنَّة والجحيم كثواب وعقاب تلاشت عند أغلب أبناء سوريَّة، وفي نهاية الألف الأوَّل قبل الميلاد بدأت تعود هذه العقيدة ثانية، وقويت أكثر برسالة المسيح، ورغم هذا كان حتَّى أيَّام المسيح الكثير من اليهود لا يؤمنون بالآخرة، وفي إنجيل متَّى إشارة إلى هذه الجماعات اليهوديَّة التي لا تُؤمن بالقيامة.

---

(1) انظر كتابنا دراسات توراتيَّة تحت عنوان نجوة حبٌّ في هيكل الرَّبِّ. وكذلك انظر كتابنا: الأسوأ من سادوم وعامورة الزانيات المقدسات في صفحات التوراة.

في ذلك اليوم جاء إليه صدُّوقيُّون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه... والصّدُّوقيُّون هُم من أبرز ا لشِّيع اليهوديَّة وهم لم يؤمنوا بالآخرة.
(متَّى 22: 23).

والآن عودة إلى سفر الجامعة المنسوبة للنَّبيِّ سليمان.

إنَّ النَّبيَّ سليمان كان في مطلع الألف الأوَّل قبل الميلاد، ولم يكن النَّبيُّ سليمان يؤمن بالقيامة والآخرة كموضع ينتهي إليه الإنسان لينال العقاب أو الثَّواب، وإنَّما لا فرق بين الإنسان والحيوان فكلاهما إلى تراب، ولا أحد يعلم هل روح الإنسان تصعد إلى السَّماء أم روح الحيوان تهبط إلى الأرض (جامعة 3: 21)، فكلُّ شيء من هذا القبيل باطل وإنَّما على الإنسان الحكيم أنْ يتمتَّع بماله من نصيب في هذه الحياة. ويضيف سفر الجامعة قوله: التذَّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كلَّ أيَّام حيوة باطلك التي أعطاك إيَّاها الرب تحت الشَّمس لأنَّ ذلك نصيبك في الحيوة في تعبك الذي تتعبه تحت الشَّمس، كلُّ ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوَّتك لأنَّه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها.
(الجامعة 9: 9).

إذاً؛ كما يقول سليمان التذَّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها وهذه الدَّعوة ليست للعفَّة والتَّقوى وإنَّما هي دعوة زنديق للعهر والدَّعارة، هي دعوة للتَّمتُّع والالتذاذ بأحضان المرأة، ولا يحدِّد النَّبي سليمان الزوجة كموضوع للاستمتاع به، وليس بالضَّرورة أيضاً أن تكون محبوباً من هذه المرأة وإنَّما المهمّ هو أنت أنْ تحبَّ وتلتذَّ بمن تحبُّ، وتشتهي لأنَّ هذا نصيبك من الحياة التي تعيش فيها تحت الشَّمس، أمَّا بعد الموت فلا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها، فمن التُّراب وإلى التُّراب ولا عقاب ولا ثواب.

هذه هي نظرة النَّبيِّ سليمان إلى الحياة والموت بحسب سفر الجامعة وهو من الأسفار القانونيَّة المُقدَّسة فكلُّ شيء من الأعمال الصَّالحة والشِّرِّيرة باطل فلا عقاب ولا ثواب في الآخرة، وإنَّما على المرء أنْ يتمتَّع بنصيبه من هذه الحياة، وبالنَّتيجة لا فرق بين الإنسان والحيوان فكلاهما إلى مصير واحد، هو التُّراب،

وهذا الكلام من الحكيم سليمان هو الكلام نفسه الذي كان يؤمن به الأشرار بحسب ما جاء في سفر حكمة سليمان غير القانوني، والسَّالف الذِّكر، كما أنَّ هذه العقيدة كثيراً ما نقرؤها في أسفار العهد القديم المُقدَّسة والقانونيَّة كما في سفر أيُّوب 14: 14، وبقيت هذه العقيدة مذهباً يؤمن به اليهود حتَّى أيَّام المسيح وفي صفحات العهد الجديد إشارات كثيرة إلى هذه العقيدة عند اليهود كما أشرنا إليه في متَّى 22: 23، وكذلك في مرقس 12: 18.

إذاً ليس قيامة بعد الموت في عقيدة العهد القديم، وكذلك في الوثنية وليس كما ذهب إليه الدكتور أحمد سوسة ومن ساواه من أنَّ عقيدة موسى كانت تؤمن بالعقاب والثواب، (كما أشرنا إليه في مقدمة هذا الكتاب ص10) وهذا يذكِّرنا بعقيدة صاحبة الخانة التي تحدَّثت إلى جلجامش حين قالت له: أمَّا أنت يا جلجامش، فاجعل كرشك مملوءاً وكن فرحاً مبتهجاً ليل نهار، وهذا يوافق ما جاء في جامعة 5: 18، ثمَّ قول صاحبة الخانة: أقِم الأفراح في كلِّ يوم من أيَّامك وارقص والعب ليل نهار، وهذا أيضاً يوافق ما جاء في جامعة 8: 15، وتضيف صاحبة الخانة قولها لجلجامش: اجعل ثيابك زاهية (انظر جامعة 9: 8)، وتماماً كما جاء في سفر الجامعة تقول صاحبة الخانة لجلجامش:

اغسل رأسك واستحمَّ في الماء وأفرح المرأة التي بين أحضانك، وهذا هو نصيب البشر[1].

جاءت لنا أخبار ملحمة جلجامش من الألف الثَّالث قبل الميلاد، وهذه العقيدة أيضاً كان يحملها الملك آشور بانيبال من الألف الأوَّل قبل الميلاد، وهذا يذكِّرنا بالوصيَّة التي أمر أن يكتبوها على ضريحه بعد موته والتي جاء فيها:

تذكَّر أبداً أنَّك فانٍ لا محالة.

انعم بحياتك واطرب، واروِ رغبات فؤادك.

فالمسرَّة حكر على الأحياء فإنْ مُتَّ فلن يبقى لك ما يسرُّك.

وأنا لست الآن إلا تُراباً.

---

1 - انظر ملحمة جلجامش، ص79، لطه باقر.

رغم أنِّي كنت ملك نينوى رائعة المدائن، المدينة الرَّائعة،
ولكن قد بقيت لي هذه الأشياء التي ابتهجت بها في حياتي
ـ الطعام الذي أكلته واللَّهو الذي استمتعت به، وملاذ الحرب ومسرَّاتها.
أمَّا ما عدا هذا من الأشياء التي يراها النَّاس نعماً فقد تركتها خلفي[1].

نخلص ممَّا أسلفنا أنَّ النَّبيَّ سليمان من خلال الأسفار القانونيَّة لم يكن يؤمن بالعقاب والثَّواب بعد الموت، ولا بالجنَّة والنَّار، وإنَّما النَّعيم والجحيم، هو في هذه الحياة على عكس ما جاء بالأسفار غير القانونيَّة، أو الأسفار المُزورة المُشار إليها، والتي كتبت حتماً في أوقات مُتأخِّرة جدَّاً عن عهد سليمان ونسبت إليه وفيها تأكيد على العقاب والثَّواب بعد الموت.

إنَّ قضيَّة العقاب والثَّواب بعد الموت تبلورت في أوقات متأخِّرة جدَّاً من حياة العبريِّيْن، وكان ذلك التَّبلور اتَّضح بجلاء أكثر أيَّام المسيح، أمَّا صفحات التَّوراة المكتوبة بأوقات مبكِّرة من هذا الزَّمن فهي تؤكِّد أنَّ لا عقاب ولا ثواب إلا في هذه الدُّنيا، فالصَّالح والمرغوب فيه من يهوى تطول أيَّامه على هذه الأرض والشِّرِّير الذي يُخالف شريعة أبيه وشريعة موسى وشريعة الله تقصر أيَّامه في الحياة.

أكرم أباك وأمَّك لكي تطول أيَّامك على الأرض.

(خُرُوج 20: 12).

لا يا بُني لا تنسَ شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي فإنَّها تزيدك طول أيَّام وسني حيوة، وسلامة.

(أمثال 3: 1).

اسمع يا بني واقبل أقوالي فتكثر سنو حياتك.

(أمثال 4: 10).

كما أنَّ البرَّ يؤول إلى الحيوة كذلك مَنْ يتبع الشَّرَّ فإلى موته.

(أمثال 11: 19).

---

1 - عن قصَّة الحضارة، الجنس في العالم القديم، ص90، بول فريشاور.

إذاً؛ إنَّ قضيَّة العقاب والثَّواب هي في هذه الحياة وبعد الموت كُلُّ شيء باطل، فالإنسان كالحيوان من التُّراب وإلى التُّراب يكون، الصَّالح تطول أيَّامه وينعم بحياته والطَّالح تقصر أيَّام حياته وينتهي إلى الهاوية وإلى الأبد.

عُد يا رب نجِّ نفسي، خلِّصني من أجل رحمتك لأنَّه ليس في الموت ذكرك وفي الهاوية مَنْ يحمدك؟

(مزمور 6: 4).

إذاً في الموت لا ذكر للرَّبِّ لأنَّه تحوَّل إلى تراب وهو فناء.

أمَّا قضيَّة الجنَّة والجحيم السَّماوية فهي من معطيات القرنين السَّابقين للمسيح وما بعد وقبل ذلك كانت الجنَّة والجحيم هي على هذه الأرض والتَّوراة حدَّدت صراحة موقع الجنَّة في بلاد سوريَّة، والجحيم موقعه في إسرائيل، وقد يكون هذا الأمر غريباً للبعض، وها هي التَّوراة تحدِّد لنا موقع الجنَّة في سوريَّة ما بين نهري دجلة والفرات وإلى الشَّرق من مدينة آشور.

وغرس الرَّبُّ الإله جنَّة في عدن شرقاً، ووضع هُناك آدم الذي جبله وأنبت الرَّبُّ الإله من الأرض كلَّ شجرة شهيَّة للنَّظر وجيِّدة للأكل وشجرة الحيوة في وسط الجنَّة وشجرة معرفة الخير والشَّرِّ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنَّة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الأوَّل فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة؛ حيثُ الذَّهب، وذهب تلك الأرض جيِّد، هناك المقل وحجر الجزع، واسم النَّهر الثَّاني جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النَّهر الثَّالث حداقل (الدَّجلة) وهو الجاري شرقي مدينة آشور والنَّهر الرَّابع الفرات.

(سفر التَّكوين 2: 8).

إذاً؛ الجنَّة بحسب معطيات العهد القديم تقع في سوريَّة ما بين نهري الدَّجلة والفرات، أمَّا الجحيم أو جهنَّم فلم تذكر في كل صفحات التَّوراة، والمرَّة الأولى التي ذكر فيها الجحيم جاء في إنجيل متَّى 16: 18، والمرَّة الثَّانية، ورد في إنجيل لوقا 16: 23، ولم يرد اسم الجحيم قبل وبعد هذين الشَّاهدين، أي أنَّ

الجحيم لم يذكر في كل صفحات العهد القديم أمَّا جهنَّم وللمرَّة الأولى ذكر في إنجيل متَّى 5: 22.

وأمَّا أنا فأقول لكم مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا[1] يكون مستوجب المجمع ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنَّم.

(مت 5: 22).

كلُّ صفحات العهد القديم لم تأتِ على ذكر مكان سماوي كجهنَّم ينتهي إليه الأشرار كعقاب، وإنَّما المكان الذي ينتهي إليه الأشرار بعد موتهم بحسب معطيات التَّوراة أو بحسب توجيه بوصلة العقيدة اليهوديَّة. فهو في أعماق الأرض تسمِّيه التَّوراة (الهاوية أو الجبِّ أو المظلم أو الحفرة الأبديَّة وما شابه).

أسرع أجبني يا رب فنيت روحي لا تحجب وجهك عني فأشبه الهابطين في الجبِّ.

(مزمو 143: 7).

3 ـ يا ربِّ أصعدت من الهاوية نفسي أحييتني من بين الهابطين في الجبِّ 8 ـ إليك يا ربِّ أصرخ وإلى السَّيِّد (البعل) أتضرَّع 9 ـ ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة هل يحمدك التُّراب هل يخبر بحقِّك.

السَّيِّد هو الاسم الآخر للبعل فيسأل النَّبيُّ داوود للرَّبِّ البعل ويقول إذا متُّ وتحوَّلت إلى تراب هل يحمدك هذا التُّراب.

أمَّا كلمة جهنَّم الوارد ذكرها في صفحات العهد الجديد فهي مقتبسة من كلمة هنوم، فيقال بالعبري جيهنوم أي حفرة هنوم، وهنوم هذا هو الوادي الذي يمر إلى الجنوب والغرب من مدينة القدس، وكان يسمَّى هذا الوادي أحياناً وادي ابن هنوم (يشوع 15: 8)، أو وادي بني هنوم (مُلُوك الثَّاني 23: 10)، وكان لهذا الوادي رهبة من القدسيَّة الدِّينيَّة لأنَّ النَّبي سليمان كان قد بنى على الحرف الجنوبي المشرف على

---

(1) رقا كلمة آراميَّة بمعنى البصاق (الرِّيق) والمقصود هنا من كلمة راقا أنَّ مَنْ يبصق على أخيه يستوجب المحكمة.

هذا الوادي مرتفعة للإله الوثني كموش إله الموآبيِّين (مُلُوك الأوَّل 11: 7)، وكانت طريقة عبادة هذا الإله كموش تشبه طريقة عبادة مولك في تقديم الأطفال كذبائح محرقة وقرابين (مُلُوك الثَّاني 3: 27)، وكان لهذين الإلهين صنم من نحاس موضوع على عرش وله رأس ثور عليه إكليل، إنَّ هذا الصَّنم والعرش كانا مجوَّفين وكان العبريُّون يضرمون في التَّجويف ناراً حامية جدَّاً إذا بلغت حرارة الذّراعين إلى الحمرة وضعوا عليها الذَّبيحة فتحترق الجثَّة بعد موت الضَّحيَّة وفي أثناء ذلك كانوا يدقُّون الطُّبُول حتَّى لا يسمع صراخ الأطفال وهم يحترقون حتَّى الموت ومن ثُمَّ كانت ترمى بقايا الضَّحيَّة في هذا الوادي حتَّى جاء الملك يوشيا وأبطل عبادة هذا الإله الوثني الذي كان قد نصَّبه الملك سليمان (مُلُوك الثَّاني 23: 13). ومن ثُمَّ عندما جاء مسيح العهد الجديد سمِّي هذا الوادي جهنَّم؛ حيث البكاء وصرير الأسنان؛ وحيث النَّار الأبديَّة والعقاب الدَّائم للخطاة.

(مت 25: 46 ومر 9: 43، و2 بط 2: 4).

إذاً؛ جنَّة عدن وبحسب معطيات البوصلة التَّوراتيَّة تقع في سوريَّة ما بين نهري الدَّجلة والفرات وإلى الشَّرق من مدينة آشور أمَّا جهنَّم فهي في إسرائيل إلى الجنوب والغرب من مدينة القدس هذه هي معطيات التَّوراة في العقاب والثَّواب، وحتى لا نتوه بعيداً عن الأسفار السَّاقطة وكنَّا قد ذكرنا غيضاً من فيض تلك الأسفار المحذوفة أو غير القانونيَّة، كما كنَّا قد أشرنا إلى مفهوم الثَّواب والعقاب والجنَّة والجحيم في صفحات التَّوراة القانونيَّة وغير القانونيَّة. ولكنْ؛ إلى جانب هذه الأسفار السَّاقطة أو غير القانونيَّة كان هناك أيضاً أسفار حذفت منها أعداد كثيرة ومقاطع طويلة لعدم صحَّة الأحداث والأخبار التَّاريخيَّة التي وردت فيها أو في بعض أجزائها، حتَّى كنت تقرأ في السفر الواحد التناقض بين صفحاته، إضافة إلى تناقضه مع غيره من الأسفار، وأنموذج لهذه الأسفار المحذوف جزء منها، وأبقى على البقية الباقية من السفر والذي كثيراً ما كان يُكتب في وقت متأخِّر جدَّاً عن زمن من نسب إليه. نذكر بقيَّة سفر دانيال الذي كتب بعد زمن دانيال بثلاثة قرون أو أكثر.

سفر دانيال

إنَّ ما سُمِّي ببقيَّة سفر دانيال هي من الإضافات إلى هـذا السِّفر والتـي لم تعـترف بهـا الكنـائس المـصلحة بينـما حافظـت عليهـا الكنـائس الكاثوليكيَّـة والأرثوذكسيَّة كغيرها من الأسفار الأبوكريفيَّة، إنَّ هذه الإضافات الملحقة بسفر دانيال هي من أسفار الأبوكريفا التي رفضتها المجامع الكنسيَّة في القـرون الأولى للمسيحيَّة كما أسلفنا، ومن ثُمَّ أعادتها بقرار من مجمع ترنت في القـرن الـسَّادس عشر، واعتبرت ضمن مجموعة الكُتُب المُقدَّسة الثَّانية أي الكتب غـير المنحولـة، أمَّا اليوم لم يبقَ للكنائس المـسيحيَّة، ذات الحـماس لهـذه الكتـب كـما في الـسَّابق، لكثرة الانتقادات التي عرَّتها، وها هـي اليـوم مرشَّـحة للاسـتكراب، هـذا عـن الأبوكريفا بشكل عامٍّ، أمَّا بالنِّسبة للبقيَّة الباقية من سفر دانيـال فهـي تكـون في مجموعها عبارة عن الإصـحاحين الأخـيرين مـن سـفر دانيـال، أي الإصـحاح الثَّالث عشر والرَّابع عشر بالكامل، وهناك أيضاً إسقاط ستَّة وسـتّين عـدداً مـن الإصحاح الثَّالث وهي من العدد 24 حتَّى العدد تسعين.

إضافة إلى الإصحاحين الثَّالث عشر والرَّابع عـشر الملحقـين بنهايـة سـفر دانيال نُلاحظ هناك إضافات إلى الإصحاح الثَّالث أسقطت. فإنْ كـان لهـذا مـن دلالة فهو يعني أنَّ الإضافات لم تقتـصر عـلى الإضـافات إلى نهايـة الـنَّصِّ، بـل اخترقت ثنايا النَّصِّ الأصلي أيضاً. أي أنَّ النَّصَّ الأصلي قطع ورُقِّع فيـه الكثـير، وهذا حال الأسفار القانونيَّة جميعها، ولكنَّ الحذف والإضافة تتباين في حجمهـا بين سفر وآخر.

تتمَّة سفر استر

ومن الأسفار الأبوكريفيَّة المضافة للأسفار القانونيَّة كحالة تتمَّة سفر دانيال، نذكر أيضاً تتمَّة سفر استر، والغريب في أمر هذا السِّفر أنَّ في كُلِّ صفحات استر القانونيَّة لم يذكر اسم الله، ولا مرَّة واحدة، بينما بقيَّة السِّفر غير القانونيَّة ذكر اسم الله مراراً.

كُتب جزء من الإصحاح العاشر وبقيَّة الإصحاحات السِّتَّة من سفر استر نحو نهاية القرن الثَّاني، بينما سفر استر القانوني كتب نحو القرن الخامس قبل الميلاد، ويؤكِّد قاموس الكتاب المُقدَّس على أنَّ في هذه الأجزاء لا يوجد تناسق أو انسجام بين السِّفر في العبريَّة وبين هذه الزِّيادات، بل إنَّ هناك تناقضاً بينهما، فتذكر هذه الإضافات من سفر استر أنَّ ملك الفرس في ذلك الحين هو ارتزركسيس بدلاً من زركسيس، ولكنْ؛ ما نعرفه جميعاً أنَّ أحشويروس هو الذي كان ملكاً للفرس آنذاك كما أنَّ دانيال يجعل من أحشويروس أباً لداريوس.

(دانيال 9: 1).

الحقيقة: إنَّ في هذه الأسفار ما بين الثَّابت منها والسَّاقط جزء منها الكثير من التَّلبُّك والتَّشابك في الأسماء والقضايا وأنا لا أجد له معنى سوى تعبير عن تلبُّك الوحي في التَّلقين كما أنَّ كاتب هذه الأسفار يجعل من هامان وهو الوزير الأوَّل في فارس يجعل منه أحياناً فارسياً وأخرى يونانياً[1].

---

1 – **انظر قاموس الكتاب المُقدَّس صفحة 66.**

يزعم التَّفسير التَّطبيقـي للكتـاب المقـدس أنَّ هـذا الـسِّفر كُتـب حـوالي سنة483ـ471 قبل الميلاد، ويزعم أيضاً أنَّ استر أصبحت ملكة عام 479ق.م. وهذا الكلام من المفسِّرين مرفوض حتماً أوَّلاً لأنَّ المفسِّرين يضعون احتمال كتابة هذا السِّفر قبل أنْ تصبح استر ملكة بأربع سنوات، وهذا كلام غير مقبول، لأنَّـه لو لم تصبح استر ملكة لما كان هناك الحاجة لأنْ يُكتب سفر باسمها.

ولكنْ؛ أنا لا أفهم أي أساس اعتمده المفسِّرون حتَّى جاؤوا لنا بدقَّة هـذه التَّواريخ فلو قدَّروا زمن كتابة هذا السِّفر في النّصف الثَّاني مـن القـرن الخـامس قبل الميلاد أو الرُّبع الأخير كنَّا قلنا حينها ربَّما، ولكـنَّ تحديـد الـسَّنة بتلقـين مـن الوحي، فهذا التَّقليد الببغائي مرفوض.

ولكنْ؛ ليس هذا هو المهمُّ في القضيَّة فالمهمُّ أنَّ قـاموس الكتـاب المُقـدَّس ينـسب كتابـة هـذا الـسِّفر إلى سـنة ثلاثمائـة قبـل المـيلاد وجـزء منـه كتـب سنة114ق.م. وهذا يتناقض مع ما جاء في التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس.

الحقيقة: إنَّ قصَّة استر ليست إلاَّ أوهاماً وأحلاماً تخريفيَّـة وبعيـدة كُـلَّ البعـد عن الحقيقة والواقع، ولكنْ؛ لنفرض أنَّهـا قـصَّة حقيقيَّـة حـدثت فعـلاً -كـما يـزعم مريدو هذه الأساطير ومُقدِّسوها- فيجب عندها أنْ تكون هذه القصَّة قد كُتبت بعـد حدوثها بمئات السِّنين لعدَّة أسباب، أوَّلاً، إنَّ اسم استر هي الصِّيغة اليونانيَّـة لاسـم عشتار السُّوريَّة آلهة الجنس، أي أنَّ اسم استر عرف بعد فتح الإسـكندر لبابـل وبـلاد الشَّرق، ثُمَّ إنَّ سفر استر الأبوكريفي عندما يذكر أنَّ هامان مقدوني وهو فـارسي كـما أكَّد عليه قاموس الكتاب المُقدَّس فهذا يعني إمَّـا أنَّ كاتـب هـذه الـصَّفحات أراد أن يكذب بما جاء به قبله، وإمَّا أنَّ كاتب بقيَّـة سـفر اسـتر اختلطـت عليـه الأمـور بـين الفـرس والمكـدونيِّين، وهـذا لم يحـدث إلاَّ بعـد فـتح الإسـكندر المكـدوني أي بعـد سنة333ق.م. ثمَّ عند قراءتك للإصحاحات التِّسعة الأُولى وربع الإصحاح العـاشر من هذا السِّفر، تجدها تختلف كـلَّ الاخـتلاف مـع بقيَّـة الإصـحاح العـاشر والـسِّتَّة إصحاحات الأخيرة، ولاسيَّما الكثير من الأسـماء مثـل اسـم الملـك وغـيره، جـاءت متناقضة وكأنَّك تقرأ في قصَّة أخرى مشابهة تحمل العنوان نفسه.

على أيِّ حال، رغم أنَّ قسماً من هذا السِّفر وأسفار كثيرة غيره عزلـوا عـن الأسفار القانونيَّة إلاَّ أنَّ هذا السِّفر وأمثاله لم يبتعدوا عن متناول المُفسِّرين لأنَّهـم لم يستغنوا عنها لأهمِّيَّتها التَّنبُّئيَّة والتَّهذيبيَّـة -كـما يزعمـون- ولكنِّـي لا أرى في هذه الأسفار والحكايات السَّاذجة غير أسفار أُسطوريَّة تخريفيَّة منتهية الصَّلاحيَّة وكان مستوجباً تنسيقُها منذ مئات السِّنين، بل أكثر.

إنَّ الكنيسة البروتستانتيَّة لم تعترف بأيِّ سفر من أسفار الأبوكريفيا وهـذه الأسـفار الأبوكريفيَّـة قـسمان، إذا صـحَّ التَّـصنيف، فقـسم مـن هـذه الأسـفار الأبوكريفيَّة وهي في تعدادها تسعة أسفار اعترفت بها الكنائس التَّقليديَّة وبقيـت ضمن الأسفار المُقدَّسة وسمَّتها الأسفار القانونيَّة الثَّانيـة، وقـد جئنـا عـلى ذكـر ثمانية منها وبقي سفر يهوديت الذي أسهبنا في أخلاقيَّاتـه في كتابنـا الأسـوأ مـن سادوم وعامورة: تلك الزَّانيات المُقدَّسات التي في صفحات التوراة، كما كنَّا قـد أسهبنا في سـفر اسـتر أيـضاً، والآن علينـا أن نـأتي بإيجـاز شـديد حـول بعـض تناقضات سفر يهوديت.

سفر يهوديت

سفر يهوديت وهو من أسفار الأبوكريفا، وتعتبره الكنائس الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة من ضمن الأسفار القانونيَّة الثَّانية، وهي أسفار مُقدَّسة كتبت بإلهام من الرُّوح القدس وترى الكنيسة القبطيَّة في إصدارها لهذه الأسفار التي حذفتها الكنيسة البروتستانتيَّة صفحة (ط) من المُقدِّمة، هذه الأسفار كثيراً ما كانت منهلاً استشهد به مُدوِّنو العهد الجديد ودوَّنوا هذه الأمثلة في أسفار العهد الجديد القانونيَّة التي كتبت بوحي وإلهام من الرُّوح القدس.

تقول هذه اللَّجنة التي أصدرت هذا الكُتيِّب إنَّ الرَّسول بولس استشهد بسفر يهوديت 8: 24ـ25، وهذا ما جاء في قوله:

لا نُجرِّب المسيح كما جرَّب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيَّات.

(رسالة بولس الرَّسول الأولى إلى كورنثيوس 10: 9).

إنَّ هذا القول الضَّعيف مرفوض لأنَّ الرَّسول بولس لم يستشهد بسفر يهوديت كما زعموا وإنَّما كاتب سفر يهوديت هو الذي استشهد من الأسفار القانونيَّة في العهد القديم وهي الرِّواية التي حدثت مع موسى والحيَّات في البرِّيَّة وكذلك بولص استشهد بهذه الرواية الواردة في الأسفار القانونية.(انظر سفر العدد 21: 6).

إنَّ أوَّل ما يطالعنا به سفر يهوديت قوله: كان أرفكشاد ملك المادِّيِّيْن (1: 1) وهذا خطأ تاريخي لأنَّ المادِّيِّيْن (الفرس) لم يعرفوا ملكاً بهذا الاسم، ثُمَّ يضيف ملقِّن الوحي قوله: إنَّ نبوختنصر ملك آشور الذي كان ملكاً على نينوى

المدينـة العظيمـة (1 : 5)، وهـذا أيـضاً خطـأ تـاريخي لأنَّ الجميـع يعـرف أنَّ نبوختنصر كان ملكاً لبابل وليس ملكاً لنينوى، ثُمَّ يقول قاموس الكتاب المُقدَّس تحت عنوان يهوديت:

ويظهر مـن الأخطـاء الجُغرافيَّـة الموجـودة في سـفر (يهوديـت) وكـذلك الأخطاء التَّاريخيَّة التي فيه أنَّه لا يمكن أن يعتبر سفراً تاريخيَّاً، غير أنَّ فيـه أمثلـة للتَّقوى والغيرة.

(قاموس الكتاب المُقدَّس، ص1085).

الحقيقة إنَّ ما يُشير إليه قاموس الكتاب المُقدَّس بقولـه إنَّ في هـذا الـسِّفر أمثلة للتَّقوى والغيرة، هو كلام عار ورذيلة كما يراها كُـلُّ نزيـه شريـف، ولـسنا الآن بصدد قصَّة ارتماء يهوديت اللَّعوب في حضن قائد جيش آشور والـسَّهرات الملاح مع الخمور البابليَّة المعتَّقة، ولكنَّنا بـصدد التَّناقـضات والأخطـاء في هـذه الرِّواية السَّاذجة، أمَّا تفاصيل قصَّة العاهرة يهوديت فقد أسـهبنا فيهـا في كتابنـا: الأسوأ من سادوم وعـامورة الزَّانيـات المُقدَّسـات في صـفحات التَّـوراة، تحـت عنوان يهوديت.

تحت عنوان يهوديت يقول قاموس الكتاب المُقدَّس: إنَّ نبوختنصر يرسـل هولوفرنيس ليعاقـب اليهـود في فلـسطين ص2ــ3، ويحـاصر اليهـود في بتوليـا ص4ـ7، من أين جاء لنا هذا الكتاب بهـذه الأسـماء؟ لـست أدري. الحقيقـة إنَّ هولوفرنيس وبتوليا لا يوجد لهم ذكر في صـفحات سـفر يهوديـت المتـوفِّر بـين أيدينا وإنَّما القائد الذي أرسله نبوختنصر اسمه أليفانا ولـيس هولـوفرنيس، أمَّـا مدينة يهوديت، تُسمِّيها الأسفار التي بين أيدينا مدينـة بيـت فلـوي ولا تـسمِّيها بتوليا كما جاء في قاموس الكتاب المُقدَّس. أمَّا عن سبب هـذا الخـلاف في هـذه ا لأسماء بين قاموس الكتاب المُقدَّس وسفر يهوديت المتوفِّر اليوم بين أيدينا، فهـذا ما لا أعرفه، أو ربَّما يكون قاموس الكتاب المُقدَّس اعتمد مـصادر أوردت هـذه الأسماء، وهذا أيضاً يصبُّ في خانة التَّناقضات، ويؤكِّد قاموس الكتاب المُقـدَّس كما أسلفنا على أنَّ في هذا السِّفر من الأخطاء التَّاريخيَّة والجُغرافيَّة، كـذلك نحـن

نقول ونؤكِّد على أنَّ عند قراءة هذا السِّفر تجد أنَّ كاتبه جاء على أخطاء، وخاصَّة الجغرافيَّة منها، لا يقبل بها الطِّفل الذي لم يعرف من الجغرافيا إلا دروسها الابتدائيَّة، وكلُّ هذه الأخطاء الغبيَّة كنَّا قد أسهبنا فيها في قصَّة يهوديت في كتابنا السَّالف الذِّكر.

في الأسفار القانونيَّة وغير القانونيَّة كما أسلفنا، نجد أنَّ بعضها نسب إلى أشخاص لم يكتبوها حتماً لأنَّ ما ورد فيها من أخبار حدثت بعد موت من نسبت إليه، أو قبل ولادته ومن هذه الأسفار نذكر على سبيل المثال، سفر يشوع وسفر صاموئيل، فإنَّ ما جاء في سفر يشوع لا يمكن ليشوع أنْ يكتبه حتماً لأنَّه يتحدَّث عن موته وأخبار كثيرة حدثت بعد موته.

يقول سفر يشوع:

وكان بعد هذا الكلام، أنَّه مات يشوع بن نون عبد الرَّبّ ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح التي في جبل أفرايم شمالي جبل جاعش.
سفر يشوع 24: 29.

وبعد هذا، يتحدَّث سفر يشوع أنَّ إسرائيل عبدوا الرَّبَّ كلَّ أيَّام يشوع، وكلَّ أيَّام الشُّيُوخ الذين طالت أيَّامهم بعد يشوع، كما يتكلَّم هذا السِّفر عن عظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر، ودفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب، كما يتحدَّث هذا السِّفر عن موت العازر بن هارون ودفنه في جبعة... إلخ.

إنَّ كُلَّ هذه الأمور التي حدثت بعد موت يشوع، لا يمكن أن يكتبها يشوع، لأنَّ الأعمال الخارقة التي كان يقوم بها الأولياء الصَّالحون بعد موتهم قد ولَّى زمانها. وكذلك سفر صموئيل، الذي نُسب للنَّبيِّ صموئيل ابن قانا؛ حيثُ جاء فيه: بأنَّه أطْلع صموئيل الشَّعب على حقوق الملك وواجباته، ودوَّنها في كتاب ووضعه أمام الرَّبِّ (صموئيل الأوَّل 10: 25)، أي إنَّ النَّبيَّ صموئيل هو الذي كتب هذا السِّفر لذلك سُمِّي سفر صموئيل وكون صموئيل هو كاتب هذا السِّفر لا خلاف عليه بين رجال الدِّين، ولكنْ؛ في السِّفر نفسه نقرأ قصَّة ولادته

وموته، أضف إلى هذا أنَّه ورد في هذا السِّفر أخبار كثيرة حدثت بعد موت صموئيل كموت شاول وداوود، ولكنْ؛ أظرف ما نقرؤه في هذا السِّفر، لا بل أغبى ما دُوِّن في هذا السِّفر هو أنَّ صموئيل بعد أنْ مات وخلد إلى الرَّاحة جاءت امرأة مصاحبة جِنيَّاً واستحضرته لشاول الذي طلب مشورته بعد أن تخلَّى عنه الرَّبُّ. فإذا كان صموئيل هو كاتب هذا السِّفر فهل الأولياء الصَّالحون اخترقوا كلَّ قوانين الطَّبيعة وهم أموات؟ لا بل هل هذه المرأة المشعوذة والتي يزعمون أنَّها مصاحبة للجان هل لها القدرة على إحياء الأموات وتحريرها من قبورها؟

ومات صموئيل وندبه كلُّ إسرائيل ودفنوه في الرَّامة في مدينته وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتَّوابع في الأرض فاجتمع الفلسطينيُّون وجاؤوا ونزلوا في شونم وجمع شاول جميع إسرائيل ونزل في جلبوع ولمَّا رأى شاول جيش الفلسطينيِّيْن خاف واضطرب قلبه جدَّاً فسأل شاول من الرَّبّ، فلم يجبه الرَّبُّ لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء، فقال شاول لعبيده: فتِّشوا لي عن امرأة صاحبة جان، فأذهب إليها وأسألها. فقال له عبيده: هي ذي امرأة صاحبة جان في عين دور، فتنكَّر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاؤوا إلى المرأة ليلاً، وقال: اعرفي لي بالجان وأصعدي لي مَنْ أقول لك. فقالت له المرأة: مَنْ أصعد لك؟ فقال: أصعدي لي صموئيل. فلمَّا رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وكلمت المرأة شاول قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول فعلم شاول أنَّه صموئيل فخرَّ على وجهه إلى الأرض وسجد فقال: صموئيل لشاول: لماذا أقلقتني بإصعادك إياي...

(سفر صموئيل الأوَّل الإصحاح 28).

إذاً؛ بعد أنْ مات صموئيل وخلد إلى الرَّاحة ليست المُشكلة في المرأة المصاحبة للجان واستحضاره وإنَّما المشكلة كيف لصموئيل أن يكتب هذا الكلام في سفره؟

في الإصحاح الأوَّل من سفر صموئيل الأوَّل يتحدَّث الكاتب عن زوجين عجوزين عاقرين هما والدا صموئيل، ثمَّ بعد هذا اليأس المزمن وفقدان الأمل،

وهب لهم الرَّبُّ صموئيل، ثمَّ يتحدَّث الإصحاح الثَّاني من سفر صموئيل عن الطِّفل صموئيل ونموِّه، وفي الإصحاح الخامس والعشرين يتحدَّث عن وفاة صموئيل، وبعد كلِّ هذا تبقى ستّة إصحاحات من السِّفر الأول والسِّفر الثَّاني بكامله، فكيف يمكن أنْ يكون صموئيل كاتب هذا السِّفر؟! أي إنَّ أكثر من نصف سفر صموئيل يتحدَّث عن أخبار حدثت بعد موت صموئيل.

مات صموئيل فاجتمع جميع إسرائيل وندبوه ودفنوه في بيته في الرَّامة.
(صموئيل الأوَّل 25: 1).

وبعد ثلاثة إصحاحات نعود ثانية لنسمع خبر وفاة صموئيل.
ومات صموئيل وندبه كلُّ إسرائيل ودفنوه في الرَّامة في مدينته.
(صموئيل الأوَّل 28: 3).

هل للمفسِّرين أنْ يجدوا لنا تفسيراً لهذا المنطق؟

هل لأمراء النِّفاق، أولئك المسحاء الدَّجَّالون أنْ يُفهمونا، ونحن لنا قصور في فهمنا كيف لتلك المرأة المُصاحبة للجنِّ أنْ تستحضر صاموئيل من قبره؟ وكيف لهذا الصاموئيل أن يكتب هذه الأخبار؟

أليست أسئلة محرجة هذه الأسئلة الصعبة أم أنَّ المفسِّرين لا يصعب عليهم أي سؤال؟ وكيف يصعب عليهم سؤال، إذا كان لديهم الجواب الشافي حول كيفية إيقاف الشمس بأمر من يشوع؟!.

أمَّا الأسفار المحذوفة والمفقودة والوارد ذكرها في الأسفار القانونيَّة كاستشهاد، وهي أيضاً كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال، إضافة إلى ما أسلفنا ذكره وسنأتي على أخرى في حينها، أمَّا الآن فنذكر:

كتاب مشاهدات أشعيا الوارد ذكره في سفر الأخبار الثَّانية 32: 32.

كتاب قضاء المملكة لصموئيل النَّبي، الذي ورد ذكره في صموئيل الأوَّل 10: 25.

أسفار ناثان الرَّائي، وجاد الرَّائي، اللَّذان ورد ذكرهما في أخبار الأيَّام الأوَّل 29: 29.

سفر أخبار ياهو بن حناني، الوارد ذكره في أخبار الأيَّام الثَّاني 20: 34.

كتاب أخبار شمعيا النَّبيّ، وكتاب عدو النَّبي الخاص بسجل الأنساب، اللَّذان ورد ذكرهما في أخبار الأيَّام الثَّاني 12: 15.

كتاب أخيا الشيلوني ورُؤية النَّبي يعد والمختصة بحكم يربعام وقد ورد ذكرهما في كتاب أخبار الأيَّام الثَّاني 19: 239 و9: 29.

كتاب حروب الرَّبِّ الذي ورد ذكره في عدد 21: 14.

سفر ياشر الوارد في سفر صموئيل الثَّاني 1: 18.

إنَّ هذه الأسفار المذكورة هنا، والكثير مثلها ممَّا ابتلعتها ثقوب غرابيل المنقِّحين، نادراً ما يشير إليها المفسِّرون، ومن هذه الأسفار العشرة المفقودة التي ذكرتها هنا، لم يأتِ المفسِّرون إلاَّ على سفر ياشر وهو ما جاء في قاموس الكتاب المُقدَّس وهو يقول:

يلوح للمتعمِّق في العهد القديم أنَّ ترنيمة يشوع (يش 10: 13)، ومرثاة داوود لشاول ويوناثان (2 صم 1: 18ـ27)، مقتبسة من هذا السِّفر المفقود، ولرُبَّما كان خطاب سليمان عند تدشين الهيكل (1 مل 8: 12 إلخ) ونشيد دبورة (قضاة 5)، مستقيين منه أيضاً ويظهر أنَّ هذا السِّفر كان مجموع قصائد قدم له بديباجة نثريَّة، وتخلَّلته تفاسير وشروحات نثريَّة، واختتم بها على غرار المزمور18 و51 أو كسفر أيُّوب الذي يفتح (أي 1: 1 ـ 3: 1)، نثراً ويختم (ص42: 7ـ17)، نثراً. إنَّ جمال هذا السِّفر الذي نلمسه في القطع المقتبسة منه في العهد القديم يبعث على الرَّجاء بأنَّه سيعثر عليه كاملاً في النِّهاية سيَّما وأنَّه لا يُمكن أنْ يكون قد كتب قبل عصر داوود وسليمان.

(قاموس الكتاب المُقدَّس، ص1046 ـ تحت اسم ياشر).

إنَّ مَنْ يقرأ هذه الملاحظة حول سفر ياشر، أو هذه الأمنية البريئة الوجه والواردة هنا في قاموس الكتاب المُقدَّس، قد يُوحى له أنَّ هذا المدوِّن حقيقة هو مُتلهِّف للعُثُور على سفر ياشر المفقود، وكأنَّه لا يعرف ما يتضمَّنه سفر ياشر من عيوب ولكنْ؛ كيف فقد سفر ياشر أليس مُريدو التَّوراة هم الذين رموه في سلَّة

المهملات كأسفار كثيرة مثله؟ فلماذا هذا النِّفاق إذاً؟ الحقيقة إنَّ زُبُن التَّوراة أسقطوا سفر ياشر ليس لأنَّ فيه رصيداً غنياً من التَّناقضات والرَّكاكة وحسب، بل لأنَّ فيه أيضاً ما يضع أنوفهم تحت أحذيتهم خجلاً واشمئزازاً ممَّا فيه من انحطاط أخلاقي. وأكتفي هنا بالإشارة التي أشار إليها قاموس الكتاب المُقدَّس في قوله: إنَّ مرثاة داوود ليوناثان (2صم 1: 18ــ27)، هي مقتبسة من هذا السفر المفقود، ولفهم هذه المرثاة، بل لفهم هذه الفضيحة انظر صفحة 40 من هذا الكتاب.

ولْنُعِدْهُ ثانية إلى الأسفار المفقودة أو المبعدة ونذكر هنا سفر أخنوخ.

سفر أخنوخ

سفر أخنوخ وهو من الأسفار غير القانونيَّة وهو عبارة عن سفرين يحملان اسم أخنوخ، ويختلف أحدهما عن الآخر من حيث المحتوى. تمَّ العثور على مقاطع من هذا السِّفر باللُّغة الآراميَّة ضمن مخطوطات البحر الميت (نصوص لفائف قمران)، يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثَّاني قبل الميلاد، أمَّا النص الكامل، فمتوفِّر باللُّغة الإثيوبيَّة، وفي أكثر من مخطوطة. إنَّ النَّصَّ الكامل من سفر أخنوخ متوفِّر فقط باللُّغة الإثيوبيَّة، وفي أكثر من مخطوط، لأنَّ الكنيسة الإثيوبيَّة كانت قد تبنَّته كجزء من العهد القديم، وينسب فراس السَّواح هذا السِّفر إلى أخنوخ بن يارد وهو السَّلف السَّادس بعد آدم من سلالة ابنه شيت والذي يقول عنه سفر التَّكوين إنَّه رفع إلى السَّماء حيّاً عندما كان يسير مع الله (تكوين 5: 21)[1].

بينما قاموس الكتاب المُقدَّس يُخطئ نسب هذا السِّفر إلى أخنوخ الوارد ذكره في تكوين 5: 23 و24. ولكنْ؛ بالرُّجوع إلى رسالة يهوذا تتأكَّد من أنَّ سفر أخنوخ منسوب إلى ابن يارد سادس أبناء آدم، وبهذا يكون فراس السَّواح أصاب حين جعل سفر أخنوخ منسوباً إلى أخنوخ بن يارد، وبالتَّالي؛ يكون قاموس الكتاب المُقدَّس أخطأ في ما ذهب إليه، كما أنَّ كاتب رسالة يهوذا اعتمد كثيراً على هذا السِّفر المنحول، انظر رسالة يهوذا 14 و15، وهو اقتباس من سفر أخنوخ ص 1: 9 وهذا ما أكَّد عليه قاموس الكتاب

---

1 - فراس السواح، الرَّحمن والشَّيطان ص158.

المُقدَّس صفحة 32، وبالتَّالي؛ إنَّ هذا القاموس يناقض نفسه في هذين القولين المتضاربين.

يقول التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس وتفسيراً لرسالة يهوذا 1: 14ــ لقد ذكر أخنوخ بإيجاز في تكوين 5: 21ــ24 والقول الوارد هنا مأخوذ من أسفار الأبوكريفا يدعى سفر أخنوخ الأوَّل. (صفحة 2746).

نسخة أخنوخ الإثيوبيَّة (الحبشيَّة) أو أخنوخ الأوَّل هي عبارة عن كتاب، أهم مواضيعه هو المسيح المنتظر، وكان لهذه الفكرة الأثر العميق في الفكر المسيحي عند نشأته، أمَّا سفر أخنوخ الثَّاني أو كتاب أسرار أخنوخ توجد منه نسخة سلافيَّة تختلف في مضمونها عن النُّسخة السَّابقة، وتتحدَّث عن رحلة أخنوخ إلى السَّماء كما في قصَّة صعود اتنا إلى السَّماء فوق ظهر نسر، إلاَّ أنَّ أخنوخ صعد إلى السَّماء مع الله يداً بيد عندما كان يسير مع الله جنباً إلى جنب، وهناك الكثير من الأنبياء ممَّن عرجوا إلى السَّماء كما إيليا النَّبي وغيره.

يقول سفر أخنوخ الثَّاني: عندما كنت في سنِّ الخامسة والسِّتِّين بعد الثَّلاثمائة (صعد إلى السَّماء) وهذا يوافق ما جاء في سفر التَّكوين.

وعاش أخنوخ خمسة وستِّين سنة وولد متوشالح وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاثمائة سنة وولد بنين وبنات فكانت كل أيَّام أخنوخ ثلاثمائة وخمسة وستِّين سنة وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنَّ الله أخذه.

(سفر التَّكوين 5: 21ـ27).

إنَّ الشَّواهد من هذا القبيل أكثر من أن تذكر، ونكتفي بهذا القدر من العهد القديم، أمَّا حول الأناجيل غير القانونيَّة أو الأناجيل المنحولة (المزوَّرة) فلنا فيها بعض الحديث سنأتي عليه بعد قليل، ولكنْ؛ لماذا كُتبت كلُّ هذه الكتب من العهدين وقدَّسها البعض وكفَّرها البعض الآخر؟ الحقيقة إنَّ كلَّ الكُتُب الدِّينيَّة باختلاف مصادرها وتسمياتها ومضامينها وأهدافها، فهي كُتُب مقدَّسة من وجهة نظر البعض، والبعض الآخر لا يرى فيها إلاَّ بدعاً وهرطقات. والمفارقة المؤسفة أنَّ كثيراً من هذه الكُتُب المرفوضة رضي بها الجميع إلى بعض

حين، ومن ثمَّ رفضوها، وأنموذج من هذه الكُتُب المبعدة عن حظيرة القدسيَّة، إضافة لما أسلفنا أذكر الدياسطرون الذي أبعد عن الكنيسة بعد أن استعمل لقرنين من الزَّمان ولنا فيه بعض الحديث لاحقاً، وكذلك أذكر جملة كُتُب الأبوكريفا التِّسعة وكنَّا قد أشرنا إليها.

إن كُتُب الأبوكريفا هذه أو ما تُسمَّى بالكُتُب نصف القانونيَّة وهي الكتب السَّاقطة من جملة كُتُب البروتستانت، لنا فيها خير مثال وها هي اليوم في طريق الاستكراب لتصبح كُتُباً مُزوَّرة بعد أن قُدِّست لأكثر من ألفي سنة، واليوم ليس مَنْ يرى فيها إلا سذاجة وتخلُّفاً حين تعالج ولو بقليل من التَّعقُّل والمنطق. وعلينا أن نتذكر هنا أنَّ هذه الكُتُب نصف القانونيَّة في يوم ما، كانت قانونيَّة كغيرها من الكُتُب التي كتبت بإلهام من الرُّوح القدس.

ولكنْ لماذا كُتبت هذه الكُتُب؟ لماذا ظهرت هذه البدع؟ لماذا انفجرت هذه الثَّورات المذهبيَّة؟ فالجواب بكُلِّ بساطة هو: إنَّما الحاجة، وكما يقال الحاجة أُمُّ الابتكار، إنْ تفهت هذه الحاجة أم عظمت، ولسنا الآن بصدد بواعث المذاهب الوثنيَّة ولا اليهوديَّة، ولكنْ؛ حديثنا يدور حول الفكر المسيحي المستمر وما تناثر حوله من بدع، وبإيجاز شديد جدَّاً نقول إنَّ لمعرفة بواعث الفكر المسيحي لنا أنْ نأتي على الظُّروف -كلِّ الظُّروف- المحيطة بالمجتمع الذي انفجرت فيه ثورة المسيح على موسى. وبإيجاز شديد.

كلُّ أنبياء الدِّيانات الوثنيَّة والسَّماويَّة قالوا: لم نأتِ لننقض العهد أو النَّاموس، وإنَّما جئنا لنختم النُّبوَّة، وكلُّ نبيٍّ يأتي بعدنا فهو كاذب، وها هو موسى جاء ليختم النُّبوَّة في قوله:

لا تقبل خبراً كاذباً.

(خُرُوج 23: 1).

والخبر الكاذب كما يراه موسى هو كلُّ خبر لم يأتِ به هذا الموسى، لذا هدَّد سيِّدنا موسى بأخطر الشُّرور والويل والثُّبُور والقيح والبثُور وعظائم الأُمُور، لمن يسوِّغ له عقله أو قلبه أن يسمع لكلام غير كلام موسى، أو يسمع لنبيٍّ غير

النَّبي موسى، أو يتبع خطا غير خطا موسى، وكرَّس موسانا الإصحاح الثَّالث عشر من سفر التّثنيَّة كلّه بالتَّهديد والوعيد والضَّرب بيد من حديد، على رأس كلِّ صلب رقبة عنيد، يتعاطف أو يتلاطف أو يتقبَّل أيَّ فكر من نبيٍّ غيره، حتَّى لو صنع هذا النَّبي المعجزات المذهلات والآيات البيِّنات وكائناً مَنْ كان.

يقول كليم الله:

إذا قام في وسطك نبيٌّ أو حالمٌ حُلْماً، وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية والأعجوبة التي كلَّمك عنها، قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النَّبي أو الحالم ذلك الحلم، لأنَّ الرَّبَّ إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبُّون الرَّبَّ إلهكم من كلِّ قلوبكم ومن نفسكم. وراء الرَّبِّ إلهكم تسيرون، وإيَّاه تتَّقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإيَّاه تعبدون، وبه تلتصقون، وذلك النَّبيّ أو الحالم، ذلك الحلم يقتل لأنَّه تكلَّم بالزِّيغ من وراء الرَّبِّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبوديَّة، لكي يطوحكم عن الطَّريق التي أمركم الرَّبُّ إلهكم أنْ تسلكوا فيها فتنزعون الشَّرَّ من بينكم، وإذا أغواك سرّاً أخوك ابن أمك، أو ابنك، أو ابنتك، أو امرأة حضنك، أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشُّعُوب الذين حولك القريبين منك، أو البعيدين عنك، من أقصى الأرض إلى أقصاها فلا ترضَ منه ولا تسمع له، ولا تشفق عينك عليه، ولا ترقَّ له ولا تستره، بل قتلاً تقتله، يدك تكون عليه أوَّلاً لقتله، ثمَّ أيدي جميع الشَّعب، أخيراً ترجمه الحجارة حتَّى يموت لأنَّه التمس أنْ يطوحك عن الرَّبِّ إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبوديَّة فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشِّرِّير، في وسطك...

(سفر التّثنية الإصحاح الثَّالث عشر)

إذاً؛ موسى جاء ليختم الوحي ويقول، كلُّ نبيٍّ بعدي كاذب، وجاء بعد موسى عشرات الأنبياء الذين كلُّ مَنْ فيهم كذَّب غيره من الأنبياء المعاصرين

لهم وغير المعاصرين، وكانت الخلافات والمناحرات بين أنبياء الله منذ البداية ولم تنتهِ، فالنَّبيُّ إيليا على سبيل المثال، في مبادرة واحدة من مبادراته أنجز عملاً عظيماً نيابة عن الله، وهذا العمل المبارك هو ذبحه لأربعمائة وخمسين نبيّاً من أنبياء البعل دفعة واحدة! مع أنَّ هذا البعل هو إله بشهادة صفحات التَّوراة.

فقال لهم إيليا: أمسكو أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك.

(سفر المُلُوك الأوَّل 18: 40).

وكما هو معروف أنَّ البعل كان من أهمِّ الآلهة الذي قدَّسه أكبر أنبياء ياهو كالنَّبي أشعيا في قوله:

لا يُقال بعد لك مهجورة ولا يقال لأرضك موحشة، بل تدعين حفصيبة، وأرضك تدعى بعولة، لأنَّ الرَّبَّ يسرُّ بك وأرضك تصير ذات بعل.

(سفر أشعيا 62: 4).

أي أنَّ أرض إسرائيل تكون ذات إله يرعاها وهو البعل، إذاً المناحرات والخلافات كانت منذ البداية بين الأنبياء كل الأنبياء ولم تنتهِ إلى وفاق أبداً كما أسلفنا، يأتي نبي ثم يأتي آخر ليكذِّبه وجميعهم يتكلَّمون باسم الرَّبِّ وكلُّهم دجَّالون، يقول النَّبي إرميا مكذِّباً غيره من الأنبياء:

11 ـ ويقول الرَّبُّ: النَّبيُّ والكاهن كافران وفي بيتي وجدت شرَّهما...

13 ـ في أوساط أنبياء السَّامرة شهدت أموراً كريهة...

14 ـ وفي أوساط أنبياء أورشليم رأيت أموراً مهولة...

16 ـ لا تسمعوا لأقوال الأنبياء الذين يتنبَّؤون لكم ويخدعونكم بالأوهام لأنَّهم ينطقون برُؤى مخيِّلاتهم...

(إرميا الإصحاح 23).

فقال الرَّبُّ لي: بالكذب يتنبَّأ الأنبياء باسمي، لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلَّمتهم برُؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم، هم يتنبَّؤون لكم. لذلك هكذا قال الرَّبُّ عن الأنبياء الذين يتنبَّؤون باسمي وأنا لم أرسلهم

وهُم يقولون لا يكون سيف وجوع في هذه الأرض، بالسَّيف والجـوع يفنـى أولئك الأنبياء.

(إرميا 14: 14ـ15).

كان النَّبيُّ أمصيا الكاهن الرَّئيسي في بيت إيل والذي يمثِّل الـدِّين الأبـرز لبني إسرائيل كما هو معروف، ولكن هذا النَّبي أمصيا كان يكره النَّبـي عـاموس كرهاً شديداً، وكذلك النَّبيُّ عاموس كان قـد احـتقن مـن الكـره الكثـير للنَّبـيِّ أمصيا وهذا ما جعله يسبّه في زوجته. فقال أمصيا لعاموس أيُّهـا الرَّائـي اذهـب اهرب إلى أرض يهوذا، وكُلْ هُناك خبزاً وهناك تنبَّأ، وأمَّا بيت إيل فلا تعـد تتنبَّـأ فيها لأنَّها مقدس الملك، وبيت الملك، فأجاب عاموس وقال لأمصيا: لـست أنـا نبيّاً ولا أنا ابن نبيٍّ، بل أنا راعٍ وجاني جميز فأخذني الرَّبُّ من وراء الـضان وقـال لي الرَّبُّ اذهب تنبَّأ لشعبي، فالآن أسمع قـول الـرَّبِّ أنـت تقـول لا تتنبَّـأ عـلى إسرائيل ولا تتكلَّم على بيت إسحاق، لـذلك هكـذا قـال الـرَّبُّ امرأتـك تـزني في المدينة...

(عاموس 7: 12ـ17).

لـيس الخـزَّاف يحـسد الخـزَّاف وحـسب، بـل أنبيـاء الله أيـضاً يـشتمون بعضهم حسداً!.

جاء المسيح وكانت حالة المجتمع العبري في حالة يرثـى لهـا مـن التَّنـاحر والخلاف والتَّخلُّف والظُّلم والفساد، اجتماعيّاً وسياسيّاً ودينيّاً وأخلاقيّاً، وغـير ذلك من أسوأ الظُّروف المظلمة التي كـان يعيـشها هـذا المجتمـع فمـن النَّاحيـة الدِّينيَّة كانت قد استحكمت الانقسامات والكراهية بـين اليهوديَّـة والـسَّامريَّة، (يهودا والسَّامرة)، لدرجة أنَّ رجلاً سـامريّاً لم يجـرؤ أنْ يطلـب كاسـة مـاء مـن يهوديَّة ولنا أن نقتبس من قصَّة المسيح مع المرأة السَّامريَّة بقعة ضوء لتنير لنا هذه العلاقة المترديَّة بين اليهوديَّة والسَّامريَّة.

فجاءت امرأة من السَّامرة لتستقي ماءً فقال لها يسوع أعطني لأشرب لأنَّ تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينـة ليبتـاعوا طعامـاً فقالـت لـه المـرأة الـسَّامريَّة:

كيف تطلب منّي لتشرب وأنت يهودي، وأنا امرأة سامريَّة، لأنَّ اليهود لا يعاملون السَّامريِّيْن.

(يُوحنَّا 4 : 7).

والكراهية والعداوة بين اليهود والسَّامريِّين لا زالت حتى اليوم في إسرائيل والشّتات.

والمسيح بداية لم يوجِّه دعوته للسَّامريِّيْن أو الأُمميِّيْن وإنَّما المسيح لخاصَّته اليهوديَّة جاء وهذا ما يؤكِّده في قوله لتلاميذه حين قال لهم إلى خاصَّتي اذهبوا:

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسَّامريِّيْن لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضَّالة.

(متَّى 10 : 5).

(إلى خاصَّته جاء وخاصَّته لم تقبله).

يوحنَّا 11 : 11.

إذاً المسيح إلى خاصَّته جاء، وعندما لم تقبله خاصَّته ووجد فيهم العناد وكما تصفهم كُتُبهم بصلبي الرَّقبة، حوَّل رسالته إلى كُلِّ الأُمم، ولا فرق بين يهودي وسامري وأُمي، ولنا مثل السَّامري الصَّالح خير مثال على أُمميَّة رسالة المسيح والمثل نعرفه جميعاً وهي الرِّواية التي جاءت في إنجيل لوقا 10 : 30.

فكما أسلفنا كانت قد استفحلت الخلافات واستحكمت الانقسامات والكراهية بين اليهود والسَّامريِّيْن لدرجة بليغة وعن هاتَيْن الطَّائفتين انبثقت شيع كثيرة متنافرة حيناً ومتناحرة في حين آخر، إضافة لهذا كانت قد انتشرت الخُرافات والأباطيل اليهوديَّة في المذاهب والمعتقدات، وقد أشار الرَّسول بُولس إلى هذه الخرافات اليهوديَّة في رسالته إلى تيطس.

هذه شهادة صادقة فلهذا السَّبب وبَّخهم بصرامة لكي يكونوا أصحَّاء في الإيمان لا يصغون إلى خُرافات يهوديَّة ووصايا أُناس مُرتدِّين عن الحقِّ.

(رسالة بولس إلى تيطس 1 : 13).

إضافة إلى استفحال الأساطير والخُرافات السَّاذجة والغبيَّة وكذلك ظاهرة التَّناحر بين الشِّيع والطَّوائف والمحسوبيَّات كان هُناك أيضاً ما لا يُطاق من النَّواميس والطُّقُوس والفروض الموسويَّة المملة والمكلفة التي أثقلت نير سواد الشَّعب ولا سيَّما الطبقة الفقيرة، ومن الطَّبيعي جدَّاً في ظروف كهذه أنْ تصبح الحاجة ملحَّة لُمصلح يُمسك بيد المظلوم والتَّخفيف من هذه الكوابيس فكان المسيح الذي جاء ليقلب الطَّاولة على موسى، وقال لهم يسوع: جميع الذين أتوا قبلي هم لصوص وسرَّاق (يو 10: 8). فنقض العهد القديم، بأهمِّ القضايا وكانت من الثَّوابت الأبديَّة في صفحات التَّوراة كالكهنوت والختان والطَّلاق والسَّبت، ولا سيَّما في التَّعاليم السَّمحة التي عرفت بها المسيحيَّة كمباركة الأعداء ومحبَّة المُسيئين، وغير ذلك من المثاليَّة التي قرب على مذابحها الكثير من الضَّحايا. وأوضح الرَّسائل المعبِّرة عن الثَّورة المسيحيَّة على الموسويَّة تقرؤها في الرِّسالة الموجَّهة إلى العبريِّيْن وأيَّاً كان كاتبها، فهو يقول على لسان المسيح:

ها أنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله ينزع الأوَّل لكي يثبِّت الثَّاني.
(عب 10: 9).

فإنَّه لو كان ذلك الأوَّل بلا عيب لما طلب موضع لثانٍ.
(عب 8: 7).

وأمَّا ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.
(عب 8: 13).

إذاً؛ ها هو المسيح قد جاء، وجاء بالمسيحيَّة التي جاءت بالاستشهادات، منها استمرَّ حتَّى اليوم واعتبرها مُريدوها من الصِّراط المستقيم ومنها تناثرت على هامش التَّاريخ فأصبحت في أرشيف البدع والهرطقات والكُتُب المزوَّرة.

لا يمكن لأي كاتب أو كتاب أنْ يحيط بها كتب وعطب من تآليف في الاجتهادات المذهبيَّة، ولأكثر من سبب، أهمُّها الكم الهائل ممَّا ألف ومن ثُمَّ أتلف ولم يصلنا من هذه التي سمَّاها مُناهضوها بدعاً وهرطقات إلاَّ النُّذُر اليسير والذي لا يقدر بأكثر من مؤلف واحد وصل إلينا مقابل ألف مؤلف تلاشى

وضاع، أي إنَّ الذي فقد من مؤلفات مذهبيَّة يُقدر بألف ضعف ممَّا وصلنا من هذه المؤلَّفات المسمَّاة منحولة ورغم هذا الكمِّ الكبير من الضَّياع، إلاَّ أنَّ ما وصلنا من مؤلَّفات منحولة أو مزوَّرة تقدَّر بعشرة أضعاف المؤلفات القانونيَّة، أو غير المنحولة، وها هي الكُتُب القانونيَّة الثَّانية برسم التَّنسيق ومن ثُمَّ يأتي الدَّور على الكُتُب الأخرى وهكذا.

كلُّ الدِّيانات الآدميَّة أو ما تُسمَّى أحياناً بالدِّيانات الإبراهيميَّة أو الدِّيانات السَّماويَّة هي ديانات مسيحيَّة، أي هي ديانات تقدِّس المسيح بشكل أو بآخر، وإنْ كان الخلاف أحياناً حول صفات هذا المسيح، وأحياناً حول هويَّة هذا المسيح، إنْ كان هذا الشَّخص أو ذاك، وحتَّى الكثير من الدِّيانات غير الإبراهيميَّة أو ما تُسمَّى بالوثنيَّة، هي أيضاً ديانات مسيحيَّة انبثقت من طقوس وشعائر كاهنات المعابد العذارى، ولا سيَّما حين يمرُّ المجتمع بأزمة اضطهاد أو ظلم، حين تمتلئ الأرض من الظُّلم والجور، حينئذٍ كانت تتأجَّج الآمال بولادة المهدي المخلِّص ابن العذراء الذي يمسح مسيحاً، ويصبح قدُّوساً، وهذه المسيحيَّة الوثنيَّة هي التي ترسَّبت إلى سماويات اليوم ولكن بحلة جديدة ومتباينة بين شيعة وأخرى.

التآليف المنحولة
من العهد الجديد

كثيرة هي الأناجيل المنحولة التي تتحدَّث عن أخبار ومعجزات يسوع الطفل، بينما لا تتحدَّث الأناجيل القانونيَّة عن طفولة يسوع إلاَّ في بعض الملاحظات القليلة والموجزة جدّاً، وحول التَّآليف المنحولة إلى الرُّسُل والقدِّيسين سوف أوجز ذكر بعضها قدر الإمكان كما سوف أغفل ذكر روَّاد هذه البدع تهرُّباً من التَّشعُّب والملل. ومن هذه الكُتُب المنحولة أو المزوَّرة أذكر على سبيل المثال:

إنجيل يعقوب

يعود هذا الإنجيل المنحول إلى منتصف القرن الثَّاني للميلاد، كتبه يهودي متنصر من يهود الدياسبورا (الشِّتات)، ونسبه إلى يعقوب الصَّغير ابن حلفي أسقف أورشليم، وهو أخو الرَّبِّ ويتضمَّن هذا الكتاب أقدم رواية لسيرة مريم العذراء وزواجها من يُوسف، وينتهي برواية مقتل أطفال بيت لحم حين يأمر هيرودوتس بقتل الأطفال من سنِّ سنتين وما دُون، كُتب هذا السِّفر باليونانيَّة، ونقل إلى السِّريانيَّة والأرمنيَّة والقبطيَّة والسّلافيَّة.

إنجيل ميلاد مريم

كُتب هذا الإنجيل حوالي سنة 800م، ويوجد منه نحو ثلاثمائة وثلاثين مخطوط. يروي الكاتب في هذا السِّفر أخبار ميلاد مريم العذراء وطفولتها وحداثتها وزواجها من

يُوسف وحبلها المعجزة، وهو أصلاً مقتبس من إنجيل يعقوب ومتَّى المنحولين، طبع هـذا الإنجيل رايت في لندن سنة 1865، وأعادت طبعه السَّيِّدة لويز سنة 1902.

الإنجيل العربي أو إنجيل الطفولة

ويُسمَّى أيضاً إنجيل توما العبراني

كُتب هذا الإنجيل أصلاً باللغة السِّريانيَّة في القرن السَّادس أو بعـد هـذا الزَّمن، ثمَّ تُرجم إلى العربيَّة، اقتبس مدوِّن هذا الإنجيل مادَّته من إنجيل يعقوب وإنجيل توما المزوِّرين، وفي هذه الرِّواية قصَّة هـروب يوسـف ومـريم بطفلهـم يسوع إلى مصر، وكيف حرستهم الوُحُوش الضَّارية أثناء الطَّريق، وكيف كانـت تتساقط الأصنام أمامهم وتتحطَّم أثناء مرورهم بها، وكان لهذا الإنجيل الانتشار الواسع في شبه الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام، وفيه يتحدَّث عن الطِّفـل المعجـزة، وهو يتكلَّم في المهد ومعجزات أُخرى لم ترد في الأسفار القانونيَّة المسيحيَّة.

إنجيل متَّى

دُوِّن هذا الإنجيل المنحـول في القـرن الـسَّادس، وهُـو غـير إنجيـل متَّـى المعروف ضمن أسفار العهد الجديد القانونيَّة، وهذا الإنجيـل المنحـول مقتـبس من عدَّة أناجيل منحولة.

تاريخ الحبل بالقدِّيسة مريم

أو قصَّة العذراء مريم وسيرة ربِّنا على الأرض

يروي هذا الإنجيل أخبار حبل مريم العجائبيَّة، وهو ملخَّص للإنجيلَـيْن المنحولين، إنجيل مار يعقوب وإنجيل مار متَّى.

ارتفاع أشعيا

كُتب هذا الإنجيل المنحول باللُّغة اليونانيَّة ما بين القرن الثَّالث والخامس، وفيه أخبار الميلاد العجيب.

أوديات سليمان

كُتب هذا الإنجيل من قبل يهود متنصِّرين، كتبوه باللُّغة اليونانيَّة في مطلع القرن الثَّاني، للميلاد وفيه نظام الطُّقُوس الكنسيَّة وتغلُب عليه المسحة اليهوديَّة.

ندب العذراء مريم

كُتب هذا الإنجيل المنحول في مصر باللُّغة اليونانيَّة قبل القرن الخامس، وتوجد له ترجمات عربيَّة وقبطيَّة.

إنجيل انتقال مريم

كُتب هذا الإنجيل المنحول بالقرن الرَّابع أو ما بعد، باللُّغة اليونانيَّة، وله ترجمات بالسِّريانيَّة والقبطيَّة والأرمنيَّة والعربيَّة.

تاريخ القدّيسة مريم العذراء

كُتب هذا الإنجيل في سوريَّة باللُّغة السِّريانيَّة في القرن الخامس، وفيه سيرة مريم العذراء وتُرجم إلى الأرمنيَّة والعربيَّة.

رُؤيا القدّيسة مريم العذراء للعقوبات

دُوِّن هذا الإنجيل في القرن التَّاسع باللُّغة اليونانيَّة، وتُرجم إلى الحبشيَّة والسّلافيَّة والأرمنيَّة، وفي هذا الإنجيل يتحدَّث عن العقوبات التي سينالها المتنكِّرون للثَّالوث المُقدَّس، والذين يتنكَّرون لمريم كوالدة للإله، وفيه تتشفَّع مريم العذراء للمحكوم عليهم.

رؤية العذراء مريم

دُوِّن هذا الإنجيل بالقرن السَّابع أو ما بعد، لأنَّ فيه ذكراً للإسلام، ويروي هذا الإنجيل أخبار ارتفاع مريم العذراء إلى السَّماء.

كُتبَ هذا الإنجيل المنحول باللُّغة اليونانيَّة في القرن الرَّابع وفيه أخبار حداثة المسيح وما فيها من مُعجزات.

وهناك أيضاً الكثير من الأناجيل والتي لا يمكن لنا حصرها نذكر منها: إنجيل العبريِّيْن السِّرياني، المدعو إنجيل النَّاصريِّيْن والذي استعمله أيضاً الأبيونيون.

وكذلك إنجيل المصريِّيْن والبيونيِّيْن ونيقوديموس وبرتلماوس وأبولوس وفليبس وثدي (تدي) والإسرائيليِّيْن والنَّبي الكسيا، وتوما، وكتاب اليوبيل وعهد آدم، وإنجيل الرُّسُل الاثني عشر، وكتاب مناجاة موسى كليم الله في جبل سيناء، وقصَّة القدِّيسة تقلا، وإضافة إلى هذه الأناجيل كان هناك عشرات الرَّسائل المنسوبة إلى الرُّسُل على غرار الرَّسائل الرَّسوليَّة القانونيَّة في كُتُب العهد الجديد، نذكر من هذه الرَّسائل المنحولة، رسالة بولس إلى أهل الإسكندريَّة، وأُخرى إلى أهل لاوذيقيَّة، (اللاذقيَّة)، وثالثة إلى أهل كورنثس، غير رسالة بولس إلى كورنثس المثبتة في الكُتُب القانونيَّة، وكان أيضاً أعمالاً للرُّسُل غير أعمالاً الرُّسل المثبَّتة في الأسفار القانونيَّة مثل أعمال بطرس وبولس وأندراوس ويوحنا وتوما ومتياس، وكذلك كان هناك رؤى رسوليَّة، مثل رؤى بطرس وبولس وأسطيفانوس وزكريا، وكتاب اختطاف بولس إلى السَّماء الثَّالثة، وبشارة بطرس وبولس، والغريب في الأمر إنَّ أكثر الرُّؤى الأسطوريَّة والخُرافيَّة أصبحت قانونيَّة غير مزوَّرة وهي رؤية يوحنَّا اللاهوتي، آخر الأسفار المُقدَّسة من العهد الجديد، وبقيَّة الرُّؤى جميعها صبَّت في خانة البدع.

نكتفي بما أوجزناه من هذه الكُتُب وللمزيد عن هذه الكُتُب وللتَّفصيل أكثر انظر كتاب:

- الدُّرر النَّفيسة في تاريخ الكنيسة، أفرام الأوَّل برصوم طبعة حمص 1940.
- الموسوعة المريميَّة، ص46، الدّكتور متري هاجي أثناسيوس.

- اللُّؤلؤ المنثور، أفرام الأوَّل برصوم، ص49 وما بعد، طبعة 4، هولندا، 1987.
- تاريخ الكنيسة السِّريانيَّة، ص131، الجزء الأوَّل، يعقوب توما، 1953، بيروت.

وهناك مصادر أخرى كثيرة يضيق المجال لذكرها.

يقول أعداء هذه الكُتُب والتي سَمُّوها منحولة: لم يترك أصحاب البدع وأهل الضَّلالات، الذين قاوموا بيعة الله، ذريعة لم يتذرَّعوا بها، منذ العصر الرَّسولي، ضرباً بسهامهم الطَّائشة وتوصُّلاً إلى مقاصدهم السَّافلة، فلم يتورَّعوا عن تلفيق كُتُب موضوعة وتزويق رسائل منحولة وتزوير أقاصيص مختلقة لخداع المؤمنين واصطيادهم في شرك الباطل.

يقول الاتِّجاه المعاكس والرَّأي الآخر وهم أصحاب هذه الكُتُب والمُسمَّاة مزوَّرة أو غير قانونيَّة:

إنَّ الباطل أصبح كالنَّار في الهشيم التي تحرق كلَّ ما يعترضها حتَّى ضيَّق الخُنَّاق على صوت الحقِّ الذي عجز عن أنْ يخترق دائرته ليصل للآخرين.

وهكذا كلُّ فريق يرمي بكرة الباطل في ملعب الآخر، وبالمناسبة هُنا، أذكرُ أريوس أشهر مَنْ عُرف في التَّاريخ الكنسي كصاحب بدعة، والذي عجزت الكنيسة أمام حججه ومنطقه، فدسَّت له السُّمَّ في الطَّعام، وعندما قام ليقضي حاجة له وتأخَّر، ذهب أشياعه ليستطلعوا الأمر فوجدوه قد مات مسموماً. فقالت حينها أعداؤه إنَّ أريوس اهترأت أمعاؤه وخرجت من فمه لأنَّه انحرف عن الصِّراط المُستقيم، فضربه الله هذه الضَّربة العجائبيَّة ليكون عبرة لأصحاب البدع والهرطقات.

هذه هي تعاليم المسيح حين قال فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حيوة وهي التي تشهد لي.

يوحنا 5:39

هذه هي أعمال رجال الدِّين الذين فهموا جيِّداً تعاليم المسيح حين قال: سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقولُ لكم أحبُّوا

أعداءكم وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

إنجيل متى 43:5

لو نظرنا إلى الكُتُب القانونيَّة وغير القانونيَّة نجد فيها الكثير من القواسم المُشتركة والمتَّفق عليها بين كلِّ الشِّيع، كما أنَّنا نرى أيضاً الكثير من القضايا المختلَف عليها، وحتَّى إنَّ الشِّيعة الواحدة أو الكتاب الواحد يمكن لك أن تجد فيه الكثير من التَّناقضات والخلافات ليس في سرد الأخبار والحوادث وحسب، بل أيضاً خلافات في جوهر العقيدة. إضافة إلى هذه الخلافات والتَّناقضات، إنَّ كلَّ الدِّيانات السَّماويَّة ينقسم فيها المذهب الواحد مع غيره من المذاهب في الدِّيانة الواحدة، ولا يجمعهم إلا الاسم كإسلام أو مسيحيِّيْن أو يهود وكثيراً ما يتَّفق مذهب في إحدى الدِّيانات الثَّلاث مع ديانة أُخرى، ويختلف مع شيعة أخرى من ديانته، بمعنى أنَّ طائفة مسيحيَّة مثلاً قد تتَّفق مع اليهوديَّة أو الإسلاميَّة في عقيدة جوهريَّة وتختلف مع بقيَّة الشِّيع المسيحيَّة في هذه العقيدة، وهكذا كلُّ الطَّوائف، فعلى سبيل المثال، إنَّ السِّريان النَّساطرة من المسيحيِّيْن المعروفين بالآشوريِّيْن يتَّفقون إلى حدٍّ كبير مع الإسلام حول حقيقة المسيح بينما يختلفون أشدَّ الخلاف مع بقيَّة الشِّيع المسيحيَّة من كاثوليكيَّة وأرثوذكسيَّة، الذين يرون في المسيح إلهاً، أمَّا النّسطوريَّة فتقول: إنَّ في السَّيِّد المسيح طبيعتين إحداهما طبيعة إلهيَّة ـ وهذا يخالف الإسلام ـ والأخرى طبيعة بشريَّة ـ وهذا يوافق الإسلام ـ ومن هُنا تؤكِّد النّسطوريَّة أنَّ مريم لم تلد إلهاً متجسِّداً، بل إنساناً محضاً هو المسيح، ثُمَّ حلَّ فيه كلمة الله، ولذلك لا يجوز أنْ تُدعى مريم العذراء والدة الإله، بل أمُّ المسيح، وهذا يوافق تماماً ما يذهب إليه الإسلام، بينما يخالف تماماً ما يذهب إليه الكاثوليك والأرثوذكس في تأليه المسيح.

يقول نسطور: إنَّني لأخجلنَّ من أنْ أدعو طفلاً ابن شهرين وثلاثة إلهاً[1].

---

1 - كنيستي السِّريانيَّة، ص33، إسحاق ساكا.

أمَّا الأريوسيَّة أتباع أريوس السَّالف الذِّكر، فإنَّ هذه الشِّيعة المسيحيَّة كانت الأقرب من كلِّ الشِّيع المسيحيَّة إلى الإسلام؛ حيث أنكرت أُلُوهيَّة المسيح والتَّثليث، وكان أريوس يقول إنَّ الله لم يلد ولم يولد وهو أزليٌّ، أمَّا المسيح فليس ابن الله، وهو ذو طبيعة بشريَّة فريدة فوق طبيعة البشر، بما خصَّها الله من فرادة.

الإسلام يتَّفق مع المسيحيَّة في خصوصيَّة المسيح المنفردة عن كلِّ البشر، وأحياناً يغالي الإسلام في شخص المسيح أكثر من المسيحيَّة، وهذه بعض خصوصيَّة المسيح في الإسلام كما في المسيحيَّة:

1 ـ الإسلام يرى في المسيح كلمة الله ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ﴿١٧١﴾﴾(سورة النِّساء 171)، وكذلك المسيحيَّة ترى في المسيح كلمة الله، ولكنَّ المسيحيَّة لا تُفرِّق بين الله وكلمته الذي هو المسيح:

في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله، هو كان في البدء عند الله.

يوحنَّا 1: 1.

في الإسلام كما في المسيحيَّة يرون أنَّ العذراء حبلت بالمسيح من روح الله، ودون أي علاقة جنسيَّة من بشر.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم 12، والأنبياء 91).

إذاً المسيح أُيِّد بالرُّوح القدس الَّتي نفخها الله من روحه في مريم.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾﴾ (البقرة 253).

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمُّه مخطوبة ليوسف، قبل أنْ يجتمعا وجدت حبلى من الرُّوح القدس.

(إنجيل متَّى 1: 18).

2ـ المسيح أحيا الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص كما في الإسلام هكذا في المسيحيَّة. ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾ آل عمران 49.

عشرات الآيات من العهد الجديد جاءت متفقة مع هذه الآية.

المسيحيَّة لم تنسب أعمال الخلق للمسيح بينما الإسلام ينسب عمل الخلق للمسيح بإذن الله.

﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴿٤٩﴾﴾
(آل عمران 49).

في الكُتُب المسيحيَّة القانونيَّة لم تذكر أعمال معجزات قام بها المسيح قبل عقده الثَّالث، إلا حالة واحدة، وكان طفلاً في الثانية عشرة من عمره جالساً بين المعلمين في الهيكل يعلمهم الحكمة والمعرفة فدهشوا من حكمته. بحسب (لوقا 2:41) بينما الإسلام يذكر من معجزات المسيح أثناء طفولته حين تكلّم وهو في المهد:

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾﴾

(مريم 29-30).

في عقيدة الأُرثوذكسية، إن العذراء ولدت ككل البشر بالخطيئة الأصلية كما تسميها وهي الجماع الجنسي بين الرجل والمرأة، والأرثوذكسية ترى أن مريم العذراء تطهرت من هذه الخطيئة عند بشارتها بالميلاد العجيب، وصارت أم الله بالجسد وظلت بتولاً بعد ولادتها للمسيح، كما كانت من قبل الولادة حتى نياحتها، والكنيسة الأرثوذكسية تكرمها وتتشفع بصلواتها وتحتفل بذكراها وتعيد لها.

الإسلام كالأرثوذكسية يعتقد بولادتها ككل البشر بالخطيئة، أو بالنكاح الطبيعي بين الوالدين ثم تطهرت بشارتها من الملاك كبرائيل أو جبرائيل بحملها من روح الله وظلت بتولاً حتى نيحاتها.

البروتستانتية تنكر بتولية العذراء وهناك طوائف بروتستانتية تحقرها كردة فعل على الكاثوليكية التي تبالغ في تكريمها لاعتقادها أنها ولدت بلا دنس الخطيئة؟ وتعيد لها وتتشفع لها بالصلوات.

شهود ياهو يرون في العذراء امرأة يهودية وضيعة وتكريمها تعليم شيطاني.

الوفاق والخلاف بين المذاهب السماوية كما هو حول حقيقة العذراء هو كذلك حول كثير من الأمور.

والآن لنا أنْ نُعقِّب على الأناجيل المسيحيَّة السَّاقطة والمحذوفة والمزوَّرة السَّالفة الذِّكر.

دون كَتَبة هذه الأناجيل باجتهاداتهم الشَّخصيّة أموراً متباينة حيناً ومتقاربة أو متطابقة في حين آخر، فمنهم مَنْ رسم لنفسه أو لكتابه مسيحاً فريداً عمل العجائب والمعجزات، واخترق الخوارق حتَّى في طفولته، ومن تلك الأناجيل السَّاقطة من غربلة المجامع المسكونيَّة مَن اعتبر المسيح إنساناً عاديَّاً، ومنهم من ألَّه المسيح المجرَّد من الطَّبيعة البشريَّة والمنزَّهة عن الآلام، ومنهم مَنْ جعل منه نبيَّاً ولد بمعجزة إلاَّ أنَّه لم يُصلب، بل شبِّه به، ومنهم مَنْ جعل الشَّيطان شبه المسيح فصلب الشَّيطان بدل المسيح، وأناجيل أخرى جعلت من يهوذا الأسخريوطي شبهاً للمسيح، ولعل إنجيل برنابا هو أبرز تلك الأناجيل المزورة وهو آخر الأناجيل المسيحية المنحولة لأشخاص لم يكتبوها. عُثر على نسخة من هذا الإنجيل وهي مكتوبة باللغة الإيطالية يرجح البعض أنها منقولة عن نسخة عربية أو تركية، ويرى البعض الآخر أنها مكتوبة أصلاً باللغة الإيطالية كما تتضح فيها اللهجتان الفينيسية والتوسكانية.ترجمت هذه النسخة إلى الإسبانية ثم فقدت الأخيرة.وأول من عثر على النسخة الإيطالية كريمر وهو أحد مستشاري ملك بروسيا وكان مُقيماً وقتئذٍ في أمستردام، عثر عليها سنة 1709م في مكتبة أحد مشاهير أمستردام وهي الآن محفوظة في أحد متاحف فيينا. في سنة 1784 ترجمها إلى الإنكليزية الدكتور منكهوس وهو أحد أعضاء الكلية الملكية. وعن الإنكليزية سنة 1907 ترجمها إلى العربية الدكتور خليل سعادة والد أنطوان سعادة مؤسس الحزب القومي السوري في لبنان.

لا أريد الإسهاب في دراسة هذا الإنجيل المزور لضيق المجال هنا، ويكفي أن أشير إلى بعض الآراء لدارسي هذه الوثيقة المنحولة.

يقـول الأسـتاذ عبـاس محمـود العقـاد في جريـدة الأخبـار يـوم 26/ 10/ 1959: تتكرر في هذا الإنجيل بعض الأخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه ولا يرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة في الكنيسة ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن.

يقول العلامة محمد شفيق غربال في دائرة المعارف العربية الميسرة في صفحة 254: إنجيل مزيف وضعه أوربي في القرن الخامس عشر.

يقول البابا شنودة الثالث إن هذا الإنجيل اسمه يدل على اتجاه جدلي فيسمى الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح. ومن غير المعقول أن إنجيلاً يسمى الإنجيل الصحيح، فهذه التسمية تدعو إلى الشك... ثم يأتي البابا شنودة على دراسة هذا الإنجيل مبيناً كماً هائلاً من الأخطاء ويضيف في قوله: رفضه علماء المسلمين ومشاهير كتابهم ورفضه المسيحيون أيضاً، ونشرت كتب كثيرة ضده: منها كتب توفيق حداد، وعوض سمعان، ويسى منصور، وكتب الأستاذ محمد جبريل مقالة في جريدة المساء شرح فيها عدداً ضخماً من الأخطاء التي يشتمل عليها هذا الكتاب.

يقول قاموس الكتاب المقدس: أما إنجيل برنابا الذي يزعم البعض أن برنابا كتبه فهو مؤلف وضع في القرون الوسطى وانتحل اسم برنابا باطلاً.

وبقي لي هنا أن أشير إلى أن إنجيل برنابا لم يذكره لا علماء العرب ولا علماء الغرب قبل القرن الثامن عشر

هذا كان غيضاً من فيض الأناجيل المنحولة أو المزوَّرة، أمَّا الأسفار المحيِّرة بين المزوَّرة وغير المزوَّرة، وهي أسفار رفضها البعض وسمَّاها مزوَّرة أو منحولة، وقدَّسها البعض وسمَّاها أسفار قانونيَّة مقدَّسة فلنا فيها حديث.

الأسفار القانونيَّة الثَّانية
أو الأسفار غير القانونيَّة

إلى جانب تلك الأناجيل المزيَّفة والمرفوضة من رجال الدِّين في الوقت الرَّاهن، هناك أيضاً أناجيل نصف مزيَّفة أو نصف قانونيَّة أو نصف منحولة كما أسماها رجال الدِّين، وهي توازي في قيمتها أسفار الأبوكريفا، أو الأسفار المقدَّسة الثَّانية من العهد القديم، إلاَّ أنَّ هذه الأسفار لم تدرج اليوم ضمن الأسفار القانونيَّة الثَّانية، والكنيسة المسيحيَّة لم تستطع إنكارها أو إنكار فضلها لاعتمادها عليها في كثير من الأمور التي تتضمَّنها، وممَّا لا تتوفَّر في الأسفار القانونيَّة نذكر منها، على سبيل المثال، كتاب ديدسقالية الرُّسُل، الذي لا يجهل قيمته آباء الكنيسة لاشتماله على شتَّى القوانين لسائر درجات الكنيسة، وأوضاعها، وما فرض على العباد من مناسك العبادة والصَّلاة والصِّيام. وهناك أيضاً كتاب تعليم أدى البشير (أده) الذي يروي أنَّ الملك أبجر السِّرياني ملك الرّها كان مريضاً بالبرص، وعندما سمع أخبار المسيح العجائبيَّة أرسل إليه رسالة طالباً منه الشِّفاء.

يقول البطريرك أفرام الأوَّل برصوم، حول هذه التَّآليف نصف المنحولة: يمكننا أنْ نضمَّ في سلك التَّآليف أشباه المنحولة:

1 ـ كتاب ديدسقالية الرُّسُل

وليس مَنْ يجهل قيمة هذا التَّأليف القديم الجليل الذي صار أساساً لتآليف الكُتُب السِّتَّة الموسومة بالمراسيم الرَّسوليَّة، فهو مشتمل على شتَّى

القوانين لسائر درجات البيعة (الكنيسة) ورتبها وأوضاعها وما فرض على المؤمنين من مناسك العبادة من صلاة، وصيام، وما إليها، ومن الثَّابت أنَّ هذه المراسيم وضعها بعض أتقياء الأحبار في أوائل القرن الثَّالث أخذاً عن تقاليد أسلافهم المبشِّرين والرُّسل القدِّيسين وحوَّروا فيها بحسب تقليد زمانهم وعاداتهم، ومنحوها أسماء الرُّسل الاثني عشر، وهي مفقودة بأصلها اليوناني، ولكنْ؛ لها نسخة سريانيَّة ترقى إلى القرن الثَّالث أي إنَّها قريبة جدَّاً من زمان تأليفها، أمَّا حول كتاب تعليم أدى البشير يقول أفرام برصوم ما موجزه:

2 ـ تعاليم أدى البشير:

وهو مقال قديم فحواه أنَّ الأبجر الأسود ملك الرّها، حينما أتاه نبأ المسيح والأشفية العجائبيَّة التي يفعلها دون عقاقير في فلسطين، كَتَبَ إليه ليشفيه من داء يشكو منه، فأجابه المسيح بأنَّه قبل صعوده إلى السَّماء سيرسل إليه أحد رسله ليشفيه جسداً ونفساً، ثمَّ أرسل توما أخاه التَّوأم أدى (أده) إلى الملك أبجر فشفاه وتنصَّرت مملكة الرّها على يده[1].

3 ـ الدياطسرون

ومن الكُتُب نصف المنحولة هناك كتاب اسمه الدياطسرون الذي يشمل الأناجيل الأربعة، جمعه ططيانس الملقَّب بالأثوري، ألَّفه سنة 172م، باللغة السِّريانيَّة ووقع صدىً عميق لهذا الكتاب في نفس علماء المسيحيِّيْن السِّريان في الرّها، وما بين النَّهرين، وكان هذا لحسن جودة هذا الكتاب وترتيبه التَّاريخي وترابطه المنطقي، إلاَّ أنَّه نُسِّق من الكنيسة السِّريانيَّة سنة 425م، ويُقال 435م، بسبب انتقاده بعض أخطاء العهد القديم، وعزوفه عن تعظيم وتقديس اليهوديَّة، ولا سيَّما في ما يتضارب ويتعاكس بين العهد القديم والجديد، من

(1) انظر كتاب اللُّؤلؤ المنثور، ص51ـ52، طبعة هولندا، وكذلك انظر كتاب الدُّرر النَّفيسة في تاريخ الكنيسة، ص76 و197، طبعة حمص، سنة 1940.

روايات وفكر، نُسِّق هذا الكتاب من الكنيسة بعد أنْ قرؤوه في الكنيسة وتبسَّطوا في شرحه واستشهدوا به لأكثر من قرنين من الزَّمان حتَّى أبطله رابولا، وكان مطران الرّها آنذاك، وأمر بإتلاف كُلّ نسخه، إلاَّ أنَّ بعض النُّسخ أفلتت من يد البطش، حتَّى وصلتنا إلى اليوم وهي متوفِّرة في بعض مكاتب السِّريان وبعيداً عن حظيرة الكنيسة. وأشهر مَنْ كان قد أسهب في تفسيره ونشره القدِّيس مار أفرام المعروف بشمس السِّريان.

كتاب راعي هرما

ومن الكُتُب القانونيَّة التي أصبحت فيها بعد نصف قانونيَّة إلى أنْ نُسِّقت واعتبرت من الكتب غير القانونيَّة، نذكر كتاب «الرَّاعي» أو كتاب «راعي هرما»، والمنسوب إلى هرما: اختلف المؤلِّفون الكنسيُّون في حقيقة هرما صاحب هذا الكتاب الموسوم بالرَّاعي، فارتأى أوريجينس Origenes 185-253، أنَّه هرما الذي ذكره القدِّيس بولس في رسالته إلى أهل روميَّة، وذهب غيره أنَّه كان معاصراً للقدِّيس إقليمس الرُّوماني (سنة 100±)، ويرى أفرام الأوَّل برصوم أنَّ هرما هو أخو بيوس الأوَّل أسقف روميَّة (140ـ155)، ومن أمره أنَّه كان عبداً مسيحيَّاً بيع في روميَّة لسيِّدة مسيحيَّة اسمها رودة أطلقت سبيله فتناول الزِّراعة والتِّجارة وأثرى حتَّى كان الاضطهاد، تفرغ للكنيسة وانكبَّ على كتابة هذا الكتاب (الرَّاعي)، وهو يزعم أنَّ ملاكاً كان يزوره ويلقِّنه هذا الوحي الذي سجَّله في كتاب سمَّاه إنجيل هرما الرَّاعي، وهو عبارة عن وصايا تدعو إلى الخير والمحبَّة ونبذ الشَّرِّ والعداوة، وفي هذا الكتاب أيضاً دعوة للإيمان بإله واحد خالق الكلِّ من العدم، وهو منظِّم الكون ومسيره، كما يدعو أيضاً إلى التقوى والطَّهارة والصَّبر على التجارب كما أنَّ هرما يزعم أنَّ الملاك حذَّره من الأنبياء الكَذَبَة، وعندما يسأله، وكيف له أنْ يميِّز النَّبي الصَّادق من المزيَّف يقول له الملاك: إنَّ أهمَّ سمات النَّبيِّ الصَّادق هو التَّواضع واللُّطف وهو يعمل بلا مقابل...إلخ والنَّبيُّ المزيَّف هو عكس ذلك.

احتلَّ هذا الكتاب مركزاً مهمّاً في صدر المسيحيَّة لأكثر من قرن من الزَّمان، إلى أنْ أُبطل واعتبر من الكُتُب غير القانونيَّة مَثَلُهُ مَثَلُ كثير من الكُتُب والأناجيل المنحولة.

على أيِّ حال، إنَّ كلَّ ما ذكر من أسفار ساقطة وأناجيل محذوفة أو مفقودة لا يُشكِّل نسبة واحد من الألف من مجمل ما كُتب وأُتلف بعد أنْ أُعتبر إمَّا من الوثنيَّة أو من البدع، والهرطقات والخُرُوج عن الملَّة.

وختاماً للأسفار السَّاقطة والمحذوفة من العهدين وإضافة إلى النّسخ والمسخ، والتَّقطيع والتَّرقيع الكثير، أُشير أيضاً إلى الاختلافات، التي كثيراً ما نجدها في الاسم الواحد للشَّخص عينه أو لذات المعلم، بعد ترجمتها إلى لغات أخرى، فكثيراً ما كان يحدث هذا الاختلاف والتَّباين، إمَّا أثناء التَّرجمة للتَّشابه الشَّديد بين الاسمين عند لفظهم، وكتابتهم بالحرف اللاَّتيني، وإمَّا بسبب تشابه الحروف في اللُّغة المنقول عنها، أو رُبَّما لسبب آخر أجهله كالاسمين أخنوخ وحنوك، اللَّذَيْن اختلطا على المترجم حتَّى أصبح لهذين الاسمين اسم واحد، ففي اللُّغة الهولنديَّة مثلاً تُرجم اسم أخنوخ وحنوك إلى Henoch، وفي اللُّغة الإنكليزيَّة أيضاً تُرجم هذان الاسمان إلى اسم واحد وهو enoch، قارن اسم أخنوخ الوارد في تكوين 5: 18، وأيَّام الأوَّل 1: 3 مع اسم حنوك الوارد في كلٍّ من تكوين 4: 17 و25: 4 و46: 9، وحزقيال 6: 14 وعدد 26: 5، وغيرها.

كما أُشير هنا إلى أنَّ في النُّسخ السِّريانيَّة جاء اسم حنوخ نيابة عن اسمَيْ أخنوخ وحنوك، اللَّذَين وردا في النُّسخ العربيَّة وشتَّان ما بين حنوك وأخنوخ، فكلمة أخنوخ تعني الأخ المريح ـ أخ نوخ أي أَح نوح ومنه يُقال في التَّرحُّم على الأموات نيح الله ثراه، أي طيَّب وأراح الله ترابه أو أرضه، ونيَّح الله عظامه، أي طيّب الله عظامه وأراحه، أمَّا حنوك فتعني ربُّك الحنون أو حنانك يا ربِّ (يا حنَّان يا منَّان).

وبما أنَّ كلمة إيل هي مصدر تسمية الله (إيل) وهي مشتَّقة من الكلمة الآراميَّة (إيل) بمعنى الشَّجرة، لهذا كثيراً ما اختلطت على المُترجم هذه الكلمة

ففي مواضع كثيرة كانت تعني شجرة، ولكنَّ المترجم أخطأ في ترجمتها إلى كلمة إيل بمعنى الله، ففي سفر التَّكوين مثلاً ورد في اللُّغة العربيَّة اسم لمنطقة بطمة فاران (تك 14: 6)، بينما ترجمت إلى الإنكليزيَّة والهولنديَّة إله فاران El-Paran. ونحن نعلم أنَّ إيل هو إله إسرائيل وهذا قول يعقوب (إسرائيل): وأقام إسرائيل (يعقوب) هناك مذبحاً ودعاه إيل إله إسرائيل.

(تكوين 33: 20).

الأسفار الخمسة الأولى
(التَّـــــــــــوراة)

معناها وسبب تسميتها بهذا الاسم ـ نسبتها إلى موسى ـ مضامين هذه التَّوراة مدى صحَّة نسبتها إلى موسى ـ تناقضاتها.

التَّوراة ـ معناها وسبب تسميتها

وإنِّي أعجب إذ ذهب البعض إلى أنَّ التَّوراة اسم يوناني، وهذا الكلام الهزيل ليس له أيُّ سند وليس بصحيح حتماً.

قال شارل مينوبوس (جمع اليهود أسفارهم بأسرها في سفر واحد، ودعوه التَّوراة، وهو اسم يوناني معناه الكتاب، هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار لأهل النّصرانيَّة كتاباً مقدَّساً)[1].

إنَّ الأعجب ممَّا ذهب إليه شارل مينوبوس في تفسيره اللُّغوي لكلمة التَّوراة، هو ما ذهب إليه السَّيِّد محمَّد نضال الحافظ، وهو يقول في تأويل معنى التَّوراة تحت عنوان: ماهيَّة التَّوراة:

«التَّوراة في (لسان العرب): نجد أنَّ هذه الكلمة ذات أصل عربي(!) ومصدرها وَرِيَ والوراء هو ولد الولد، والواري هو السَّمين من كُلِّ شيء، وورِي المخ يري، إذا اكتنز، وناقة وارية أي سمينة، ووريت النَّار تورية إذا استخرجتها، قال واستوريت فلاناً رأياً أي سألته أنْ يستخرج لي رأياً، ووريت

1 - ما بين موسى وعزرا ص 80، عبد المجيد همُّو.

الشَّيء وواريته أخفيته، واستوريت فلاناً رأياً أي طلبت إليه أنْ ينظر في أمري فيستخرج رأياً أمضي عليه، ووريت الخبر أوريه تورية، إذا سترته وأظهرت غيره، وكأنَّه مأخوذ من وراء الإنسان لأنَّه قال وريته فكأنَّه يجعله وراء؛ حيث لا يظهر والتَّورية هي السِّتر. (ويُضيف سيِّدنا الفاضل في قوله): ولو تدبَّرنا المعاني السَّابقة كُلَّها لوجدنا أنَّ هذه التَّسمية (التَّوراة) التَّورية حسب الرَّسم القرآني لها)، جاءت لتصف بدقَّة وبشموليَّة حال الكتاب الموجود بين أيدي اليهود، منذ وفاة زكريا عليه السَّلام ولغاية الآن، ولتصف الكيفيَّة التي يتعامل بها اليهود مع هذا الكتاب فكتابهم في الواقع مكتنز وسمين، فهو يحوي بين دفتَيْه 39 سفراً وإحدى نُسخه المُترجمة فيها ما يزيد عن 1128 صفحة بمعدل 380 كلمة لكل صفحة، أي ما يفوق القرآن من حيث عدد الكلمات ب(6) مرَّات تقريباً، جمع فيه ما أنزل على أنبياء بني إسرائيل المتعاقبين تباعاً من شرائع وأخبار ونبوَّات غيبيَّة وتاريخ وأساطير وخُرافات، وعلى فترات متباعدة ومتتالية ولمدة لا تقلُّ عن ألفٍ وخمسمائة سنة»[1].

حسناً من السَّيِّد مُحَمَّد نضال الحافظ، حسناً منه، أنَّه اكتفى بهذا التَّفسير ولم يؤوِّل كلمة التَّوراة بأنَّها مشتقة من كلمة الوري بمعنى القيح والبثور، وعظائم الأمور، لما في التَّوراة من فساد وشرور، لأنَّه لو دقَّق أستاذنا الحافظ ـ حفظه الله ـ في القواميس العربيَّة لوجد أنَّ معنى كلمة وري يعني أيضاً القُرُوح والقيح الشَّديد.

الحقيقة إنَّ التَّفسير الذي شرَّفنا به أُستاذنا الفاضل مُحَمَّد نضال الحافظ، لا يستند إلى أيِّ منطق، لا بل هو أكثر من ساذج لدرجة أنَّه لا يحتاج لتفنيد وتعرية، وهُنا أردت فقط الإشارة إليه كنموذج من المتسفسطين، بما ليس لهُم به شأن، وأنا لا أفهم (ش كارو ريمون يتعلَّق بالكميون) لعمري إنَّ رجلاً أخرس لهو أصلح من رجل ثرثار دجَّال كهذا المهلوس

أيُّها الجاهل إيَّاك الدَّجل واحذر الزَّلل فالمُصاب جَلَل

يقول الدّكتور أحمد سُوسة:

---

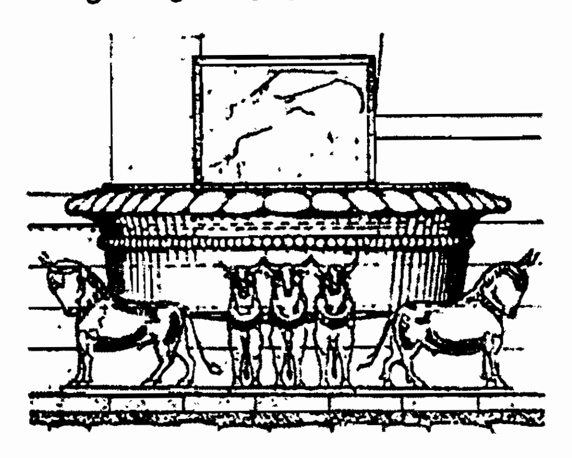
1 - الحقيقة بين النُّبوَّة والسِّياسة، ص124.

إنَّ كلمة التَّوراة مشتقَّة من الآراميَّة وهي تعني الهداية والإرشاد، وهذا الكلام صحيح بما تتضمَّنه التَّوراة من الهداية والإرشاد لبني إسرائيل، ولكنَّه غير صحيح المعنى لُغويّاً، فماذا تعني التَّوراة لُغويّاً، وما هو مصدر التَّسمية التَّوراتيَّة؟

التّوراة ـ أصل الكلمة ومعناها

بكُلِّ بساطة وقد يكون غريباً إنْ قُلت إنَّ كلمة التَّوراة مشتقَّة من الكلمة الآراميَّة (السِّريانيَّة) تورا (torah-tora) أي ثور، ولكنْ؛ لماذا سُمِّيت هذه الكُتُب المُقدَّسة باسم هذا الحيوان (الثَّور) هل هي مصادفة في تشابه الأسماء أم أنَّ هناك علاقة فعلاً؟

الحقيقة إنَّ للثَّور تاريخاً عظيماً ومقدَّساً، في عبادات الشَّرق القديم، وفي التقاويم الكنعانيَّة والعبريَّة والعربيَّة والسُّوريَّة، بشكل عامٍّ يُشار إلى السنة وفصولها الأربع باثني عشر ثوراً منتظمة في أربعة أقسام وفي كلِّ قسم ثلاثة ثيران رمز لشهور الفصل الواحد. ومن خلال صفحات التَّوراة نجد أنَّ هذا الثور كان قد وجد طريقه في العبادات العبريَّة، ففي أيَّام سليمان مثلاً عند بناء الهيكل أدخلت تماثيل وصُور هذا الحيوان المُقدَّس إلى المعبد؛ حيثُ صنع البحر المسبوك الذي يصوِّر الرُّموز المُقدَّسة فوق اثني عشر ثوراً منقسمين إلى أربعة أقسام، وفي كلِّ قسم ثلاثة ثيران تتَّجه بوجهها إلى الجهات المُقدَّسة جهات الأرض الأربع. انظر صُورة البحر المسبوك وكذلك انظر موقعه من الهيكل.



صورة البحر المسبوك

وفي سفر المُلُوك الأوَّل نقرأ عن هذا البحر المسبوك:

وعمل البحر مسبوكاً... وكان قائماً على اثني عشر ثوراً، ثلاثة متوجِّهة إلى الشَّمال وثلاثة متوجِّة إلى الغرب، وثلاثة متوجِّهة إلى الجنوب، وثلاثة متوجِّهة إلى الشَّرق، والبحر عليها من فوق وجميع أعجازها إلى الداخل.

(سفر المُلُوك الأوَّل 7: 23).

وكان النَّبيُّ سليمان قد أدخل الإلهات العمُّونيَّة والموآبيَّة الوثنيَّة مولك وكموش في طقوس العبادات اليهوديَّة. ومولك أو ملكوم هو الإله الملاك والإله الملك، وتسمِّيه التَّوراة أحياناً ملاك الرَّبِّ، أمَّا كموش وهو الإله الجاموس أو الإله الثَّور، وكان النَّبيُّ سليمان قد نصب تمثالاً لهذين الإلهين فوق مرتفعة على الجبل الذي تجاه أورشليم (مُلُوك الأوَّل 11: 7). وهذا التمثال كان عبارة عن ملك جالس على عرشه وله رأس ثور. (انظر قاموس الكتاب المُقدَّس تحت عنوان مولك وكموش).

إنَّ في صفحات التَّوراة إشارات كثيرة إلى قدسيَّة هذا الحيوان كما في قصَّة عجلَيْ يربعام الوارد ذكرهم في سفر المُلُوك الأوَّل 12: 26ــ33، وكذلك نقرأ قصَّة العجل الذَّهبي الإله الذي صنعه هارون للعبادة الوارد ذكره في سفر الخُرُوج 32، ولقدسيَّة هذا الحيوان كان يستعمل رماد البقرة الحمراء للتطهير من الآثام كما جاء في سفر العدد التَّاسع عشر، ولا أعلم حتَّى اليوم إذا كان هناك حقَّاً قد وجد بقرة حمراء بلون الدم الذي أشار إليها موسى.

إذا لقدسيَّة هذا الحيوان دخلت البقرة في طقوس وتقاليد كثيرة من حياة العبريِّيْن الدِّينيَّة حتَّى إنَّ العبريات كانت تسمى بقرة أو عجلة، تيمُّناً بقدسيَّة هذه البقرة، وكان النَّبيُّ عاموس يسمِّي نساء إسرائيل الموسورات بقرات باشان المدلَّلة الجيِّدة التَّغذية.

(انظر التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المُقدَّس، صفحة 1755).

اسمعي هذا القول يا بقرات باشان التي في جبل السَّامرة...

(سفر عاموس 4: 1).

كما أنَّ إحدى زوجات النَّبي داوود كانت تدعى عجلة (صموئيل الثَّاني 3: 5 وأخبار الأيَّام الأوَّل 3: 3). فهل هناك غرابة بعد هذا إذا سمِّيت هذه الكُتُب المُقدَّسة بالتَّوراة تيمُّناً بقدسية الثور والبقرة؟

على أيِّ حال، إنَّ هذه المفاهيم العبريَّة في قدسيَّة الثور والبقرة هي مفاهيم دينيَّة مستقاة من الأُمم والشُّعُوب التي عاشت الجماعات العبريَّة بين ظهرانيها، لأنَّ الثَّور كان رمزاً إلهياً محبَّباً للخصب والعبادة في ديانات تلك الشُّعُوب وكانت كلمة الثَّور ترمز للإله إيل الذي كان يسمَّى الأب الثَّور في عبادات الأُمم، ولهذه القدسيَّة عند تلك الأمم وعند العبريِّيْن سمِّيت هذه الكُتُب المُقدَّسة بالتَّوراة، وهذه المفاهيم الوثنيَّة في تقديس الثَّور عبر التَّوراة ترسَّبت إلى المسيحيَّة وفي العهد الجديد نلاحظ أنَّ كاتب سفر العبرانيِّيْن يستعمل عبارة عجول شفاهنا الواردة في عبرانيِّيْن 13: 15، نيابة عن كلماتنا المُقدَّسة، أي عجول شفاهنا هي توراة شفاهنا، والمقصود فيها كلمات الصَّلاة وإذا كان معنى لهذه العبارة فهي تعبير عن قدسيَّة العجول الموازية لقدسيَّة الصَّلاة، ولكنْ؛ ما هو مؤسف أنَّ النُّسخات الحديثة الطَّبع نسبيَّاً أسقطت هذه العبارة من صفحات التَّوراة، إلاَّ أنَّ قاموس الكتاب المُقدَّس لازال يشهد عليها في الصَّفحة 607، إذاً عجول شفاهنا هي كلمات شفاهنا المُقدَّسة وهي الصَّلاة المُقدَّسة، وبالتَّالي؛ هي كلمات الله المُقدَّسة كما هي التَّوراة كلمات الله المُقدَّسة.

يقول الأب الدّكتور متري هاجي اثناسيوس في كتاب الموسوعة المريميَّة:

«يذكر طقس عيد تقدمة مريم في الكنيسة البيزنطيَّة، أنَّ الطِّفلة كانت في الثَّالثة من عمرها عندما قدَّمها أبواها، وهذا تأييد لما جاء في الإنجيل المنحول قانون العيد في الأوديات 1ـ3ـ4ـ5، ويصفها واضع نصوص هذا العيد بعجلة، إذ يقول: إنَّ والدة الله بالجسد لما قدَّمت للرَّبِّ عجلة ذات ثلاث سنين، تقبَّلها زخريا كاهن الله ووضعها في الهيكل، وإذا سمِّيت مريم عجلة فهذا من الفنِّ اليوناني الغنائي لأنَّ العجلة كانت معبودة الجماهير».

(عن الموسوعة المريميَّة، ص82).

هذه العجلة معبودة الجماهير، وإنْ كانت من الفنِّ اليوناني الغنائي إلاَّ أنَّها ليست بدعة يونانيَّة، وإنَّما عقيدة مستوردة من المذاهب السُّوريَّة، ولكنْ؛ ليس هذا هو المُهمُّ، وإنَّما ما يهمُّنا هنا هو قدسيَّة العجلة في مفاهيم الأُمم والشُّعُوب القديمة وتسرُّبها إلى السَّماويات، ولقدسيَّة العهد القديم، كما أسلفنا سمِّي توراة، وهي بالأصل تورا من اللُّغة الآراميَّة بمعنى الثَّور حتَّى أصبحت كلمة ثور وتوراة تلفظ بكثير من اللُّغات الحيَّة وهي تحمل ذات المعنى. (torah) بالإنكليزي و(tora) في الهولنديَّة، وتوراة بالعربي، وكذلك الثَّور toro و(taurine) كلُّ ما يتعلَّق بالثَّور و(taurus) تعني برج الثَّور.

وللمزيد من التَّفصيل حول قدسيَّة الثَّور والبقرة انظر كتابنا «دراسات توراتيَّة ـ تحت عنوان البقرة المُقدَّسة والثَّور المجنَّح» وهي إحدى صُور الله كما تجلَّت للنَّبي حزقيال. انظر أيضاً الإصحاح الأوَّل من سفر حزقيال بشكل خاصٍّ وبقيَّة الإصحاحات بشكل عامٍّ.

الأسفار الخمسةُ الأولى
ونسبتها إلى موسى

التَّوراة أو الأسفار الخمسة الأُولى من العهد القديم، وهي: التَّكوين Genesis، الخروج Exodus، اللاويِّيْن Leviticus، العدد Numbers، التَّثنية Deuteronome.

ينسب رجال الدِّين ومُريدو التَّوراة هذه الأسفار الخمسة إلى موسى وهي أولى الأسفار من العهد القديم، وقد ذهب الآباء الكنسيُّون هذا المذهب منذ القرون المسيحيَّة الأولى، ولكنْ؛ كان هناك محاولات من البعض لجعل الأسفار الأربعة الأولى في وحدة واحدة، إذ نظروا إلى سفر التَّثنية، وهو الخامس في موقعه كمقدِّمة تمهيديَّة لتاريخ تكون مملكة إسرائيل في أرض الميعاد (أرض كنعان) بينما كان يرى البعض الآخر ضمَّ سفر يشوع إلى الأسفار الخمسة، لتُشكِّل كتاباً واحداً من ستَّة كُتُب، وأحياناً أخرى رأى البعض أنَّ الكُتُب الثَّمانية الأولى تشكِّل وحدة واحدة لتشمل تاريخ البشريَّة من التَّكوين حتَّى بدء عهد المُلُوك الإسرائيليِّيْن، لكنَّ الفكرة التَّقليديَّة للأسفار الخمسة الأولى كوحدة هي التي بقيت الأقوى، وثبتت كما هي في وضعها الرَّاهن، وكانت هذه الأسفار الخمسة تعرف بأسماء كثيرة ومتشابهة، فأحياناً كانت تسمَّى تعاليم موسى، أو توراة موسى، وشريعة موسى، وكلمة موسى، وحكم موسى، وقضاء موسى، وأحياناً أُخرى كانت كلّ هذه الكلمات والتَّسميات تنسب إلى الله الذي أعطاها إلى عبده موسى، مثل شريعة الله التي أمر بها عبده موسى أو تعليم الله الذي أوصى به لموسى وهكذا.

سُمِّيت هذه الكُتُب مثلاً:

- سفر توراة موسى في يشوع 8: 31.
- وسفر العهد في أخبار الأيَّام الثَّاني 34: 30، وملوك الثَّاني 23: 21.
- سفر شريعة الله ـ يشوع 24: 26.
- سفر الشَّريعة ـ المُلُوك الثَّاني 22: 8 و23: 2.
- شريعة موسى ـ عزرا 7: 6.
- سفر موسى ـ عزرا 6: 18 ـ نحميا 13 13: 1، أخبار الأيَّـام الثـاني 25: 4 و13: 12.
- شريعة سفر موسى ـ أخبار الأيَّام الثَّاني 24: 4 ـ نحميا 8: 1.

في العهد الجديد سمِّيت هذه الكُتُب إضافة لتسمياتها هذه سمِّيت ناموس كما في غلاطية 3: 10 ـ لوقا 10: 26 ـ يوحنَّا 8: 5 و17، وهذه الكلمـة وردت في أسفار موسى أيضاً كما في خُرُوج 16: 4، وتثنية 33: 10، والحقيقة إنَّ كلمـة ناموس لم تكن معروفة في عهد موسى، أمَّا التَّعرُّف إلى هـذه الكلمـة (نـاموس) فكان في النّصف الثَّاني وما بعد من القرن الرَّابع قبل الميلاد، وكان هذا قد حصل بعد فتح الإسكندر الكبير للبلاد، وفي هذا دلالة على أنَّهـا كتبـت أو أضـيفت إلى أسفار موسى بعد زمان موسى بأكثر من ألف سنة كما أ نَّ هذه الأسـفار الخمـسة أسماها اليونان Pentateuch ـ كمجموعة واحدة أي الكتاب الخمـسي فأصـبحت البنتاتيك مرادفة لكلمة توراة في أكثر اللُّغـات الحيَّـة مثـل (tora) و(torah)، كـما كانت قد سمِّيت الأناجيل الأربعة بالدياطسرون حين جمعت في كتاب واحد.

إنَّ كُلَّ هذه الشَّواهد تنـسب الأسـفار الخمـسة الأولى إلى موسـى، وإنْ لم تذكر صراحة أنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار، إلاَّ أنَّ هنـاك أيـضاً الكثـير مـن الشَّواهد في العهد القديم، التي تؤكِّد صراحة عـلى أنَّ موسـى هـو كاتـب هـذه الأسفار الخمسة، نذكر منها على سبيل المثال:

فقال الرَّبُّ لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع. (سفر الخروج 17: 14).

وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرَّبِّ.

(عدد 33: 2).

فكتب موسى هذا النَّشيد في ذلك اليوم.

(تث 31: 22).

إذاً العهد القديم بكامله ينسب هذه الأسفار إلى موسى ويؤكِّد على أنَّه هو الذي كتبها حتَّى جاء العهد الجديد وجدَّد هذا المفهوم وأكَّد على نسبة هذه الأسفار إلى موسى وهذه بعض الشَّواهد من العهد الجديد:

وجاء إليه قوم من الصِّدُّوقيِّيْن الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين: يا معلم كتب لنا موسى إنْ مات لأحد أخ وترك امرأة، ولم يخلِّف أولاداً أنْ يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلاً لأخيه.

(إنجيل مرقس 12: 18).

لأنَّكم لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تُصدِّقونني، لأنَّه هو كتب عنِّي فإنْ كنتم لستم تصدِّقون كُتُب ذاك فكيف تصدِّقون كلامي. (إنجيل يوحنَّا 5: 46).

وبعد أنْ سقنا كلَّ هذه الشَّواهد من أنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار المنسوبة إليه، والسُّؤال يبقى هل حقّاً أنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار؟ وهل صَدَقَت التَّوراة بهذا الزَّعم؟ الحقيقة إنَّ هذا المفهوم التَّقليدي انهار أمام أقلام المتشكِّكين، بل حتَّى إنَّ أصحاب الرَّأي الآخر من مُريدي التَّوراة والإيمانيِّيْن بدؤوا يتشكَّكون من صحَّة نسبة هذه الأسفار إلى موسى لاحتوائها على أُمُور لا يمكن للعقل أنْ يقبل بنسبتها إلى موسى، وهذا ما سنأتي عليه. إذاً تعالوا الآن لندرس مضامين التَّوراة ونسبتها إلى موسى ومن ثمَّ نأتي إلى تفنيد هذا الزَّعم.

مضامين التَّوراة ونسبتها إلى موسى

سفر التَّكوين

سفر التَّكوين: وهو أوَّل أسفار موسى كما هو أول أسفار العهد القديم، ويتألَّف هذا السِّفر من خمسين إصحاحاً تتضمَّن مجموعة من القصص، يبدأ الإصحاح الأوَّل بقصَّة الله وإنجازه لمشروع الخلق بستَّة أيَّام، ثمَّ يبدأ الإصحاح الثَّاني باستراحة بسيطة لمدَّة أربع وعشرين ساعة، ثمَّ يحدِّثنا هذا الإصحاح عن قصَّة آدم وحوَّاء والسُّقوط بالخطيئة الأولى وهي أوَّل حالة زنى حدثت بسبب إغراء جدَّتنا العاهرة حوَّاء لسيِّدنا البار آدم، ثمَّ تأتي الإصحاحات الخمسة على أخبار نسل آدم، وما عاشوا من فساد وخطيئة، وفي الإصحاح السَّادس حتَّى الحادي عشر مجموعة من القصص تبدأ بقصَّة أبناء الله، وزواجهم من بنات النَّاس بعد أنْ كثر البشر على وجه الأرض، وتخلِّف هذه العلاقة بين أبناء الله وبنات النَّاس حقبة من الجبابرة، إلاَّ أنَّ أحفاد الله والنَّاس جميعاً يخطئون ويكثرون في الخطيئة، فيغضب الله ويعاقب كلَّ الحياة بالإعدام إلاَّ نوحاً وتوابعه، ثمَّ يعود الإنسان من نسل نوح لإعمار الأرض التي دمَّرها الله، وأهمُّ صروح معالمها العمرانيَّة برج بابل، ولأنَّ الله إله بدوي لا يحبُّ العمارة والمدنيَّة لهذا يأتي على تدمير برج بابل وبلبلة اللُّغات من منطلق فرِّق تسد، بعد أنْ كان المجتمع الإنساني بأكمله يتكلَّم بلغة واحدة. هذا إذا تيقنا مما ورد في التوراة.

وتنتهي الإصحاحات الأحد عشر الأولى لتبدأ قصص الآباء البطاركة ومغامراتهم الجنسيَّة من إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثمَّ قدومهم إلى مصر وينتهي الإصحاح الأخير بقصَّة يوسف وموته في مصر.

سـفر الخروج

سفر الخُرُوج: وهو السِّفر الثَّاني مـن أسـفار موسـى والثَّـاني حـسب ترتيب أسفار العهد القديم، يتكـوَّن هـذا الـسِّفر مـن أربعـين إصـحاحاً، في الإصحاح الأوَّل نقرأ عن أخبار بني إسرائيل واستعبادهم من قبل المصريِّيْن، وفي الإصـحاح الثَّـاني خـبر ولادة موسـى وإرسـاله فـوق عوَّامـة عـلى نهـر والتقاطه وإقامته أربعين سـنة في بـلاط فرعـون، ثـمَّ قتلـه للرَّجـل المـصري وهروبه إلى مدين، وزواجه من ابنة الكاهن الـوثني رعوئيـل، في الإصـحاح الثَّالث من سـفر الخُـرُوج يـدعو الله موسـى لإنقـاذ شـعب الله المختـار مـن العبوديَّة في مصر، بعد أن طالت أربعمائـة سـنة، ويبـدأ الإصـحاح الخـامس بخبر اللِّقاء الأوَّل بين موسى وفرعون. يطالـب موسى فرعون بإطلاق شعبه فيرفض فرعون، وهذا ما أغضب الرَّبّ ممَّا جعله يقوم بمعاقبة مـصر بعـشر ضربات ملعونة أستطيع أنْ أوجزها بهـذه الكلـمات القليلـة: تمـوت أسـماك مصر، وينتن نهر النِّيل، ويفتقر النَّاس للماء، تصعد الضَّفادع من المياه وتغطِّي وجه الأرض، يتحوَّل كلُّ تراب أرض مصر إلى جيش من البعوض، تـصيب الدَّمامل والقُرُوح كلَّ مَنْ قال أنا مصري، والعافية تلازم كلَّ مَنْ قال أنا مـن الشَّعب المختار، تقتل عواصف البرد كلَّ العبيـد والمـواشي التـي في الحقـل، تتلف جميع النَّباتات، يغطِّي الجراد كلَّ أرض مصر ويلتهم كـلَّ شيء، يغطِّـي الظَّلام الدَّامس كلَّ مصر لمدة ثلاثة أيَّام متتالية، فـلا يـستطيع أحـد الحركـة سوى الشَّعب المختار الذي كان له نور كالعادة، وأخيراً يموت كلُّ بكـر مـن أبكار المصريِّيْن، وأبكار مواشيهم، وكانت ضربة قاضية للمصريِّيْن مـن ربِّ العزَّة، ولكنَّ بني إسرائيل لا يصيبهم مكروه.

إنَّ كلَّ هذه المصائب والويلات التي كانت تأتي على مصر وتفتك بأحيائها من إنسان وحيوان وكان يبرأ منها دائماً الأخيار وحيواناتهم، حمـل أحـدهم بـأن ينكبَّ عـلى اخـتراع قنبلـة ذكيـة كتلـك الـضَّربات الذَّكيَّـة؛ حيـثُ لا تقتـل إلاَّ

الأهداف من الأغيار، أمَّا مَنْ تواجد بين هذه الأهداف من الشَّعب المختار فلا تصيبه بأذى لأنَّها قنابل ذكيَّة كذكاء ملقِّن الوحي.

بعد هذه المصائب التي جاءت بعشر ضربات إلهيَّة، يحاول فرعون وكلُّ المصريِّين حثَّ بني إسرائيل إلى الخُرُوج من مصر، وعلى وجه السُّرعة فيخرج الإسرائيليُّون، وما أنْ يخرجوا حتَّى أرسل فرعون خلفهم جنوده لإرجاعهم إلى مصر فيغرقون في قاع البحر بعد أنْ كانوا قد عسكروا هناك، يتيه الإسرائيليُّون في البرِّيَّة أربعين سنة، ويعاني هذا الشَّعب من الأمراض والجوع والعطش والضَّواري بسبب إعرابه عن ندمه من الخُرُوج، ثمَّ يعطي الله وصاياه العشر على يد موسى، كما نقرأ في هذا السِّفر بعض الأحكام المختصَّة بالعيد وجرائم القتل، وأحكام أخرى مختصة بالسَّرقة ثم يأتي السِّفر على وصف تابوت الرَّبِّ وأثاث المُقدَّس، ووصف لمائدة الخبز المُقدَّس ووصف لمسكن الرَّبِّ جدرانه وستائره ومذبح المحرقات وأردية الكهنة ـ الأفود والصّدرة وبعض توصيات الله لتراكيب دهون المسح، وتراكيب الأبخرة والعطور.

سفر اللاَّويِّيْن

يتألَّف هذا السِّفر من سبعة وعشرين إصحاحاً وهو السِّفر الثَّالث في ترتيب أسفار العهد القديم والثَّالث من أسفار موسى. جاء هذا السِّفر على تكريس وتقديس هارون وبنيه ونسلهم من بعدهم لخدمة الكهنوت، كما جاء على الشُّروط المانعة لهذه الوظيفة لمن يريد أنْ يدخل في سلكها كالعاهات وأزواج الزَّواني والمُطلَّقات.

وعلى الكهنة أنْ يكونوا مفروزين لإلههم، فيكونوا مقدَّسين ولا يتزوَّجون امرأة زانية أو من غير سبطهم أو امرأة مطلَّقة من زوجها، لأنَّهم مقدَّسون لإلههم.

(لاويِّيْن 21: 6).

في سفر اللاَّويِّيْن طقوس الذَّبائح والقرابين وتنظيم الاحتفالات في مواسم الأعياد كعيد المظال والفصح، وفي هذا السِّفر دليل القوانين والطُّقوس التي على اللاَّويِّيْن انتهاجها لتنظيم الحياة الدِّينيَّة للعبريِّيْن، كما ميَّز هذا السِّفر بين الحيوانات الطَّاهرة والنَّجسة وجاء على شريعة تطهير المرأة النُّفساء والفارق بين الذَّكر والأنثى في الولادة.

جاء في سفر اللاَّويِّيْن تشخيص بعض الأمراض كالبرص والبهق والصَّلع والحروق والقروح وكيفيَّة التَّعامل مع المصابين بهذه الأمراض، كما جاء هذا السِّفر على نجاسات إفرازات الرَّجل الجسديَّة ونجاسته، وطمث المرأة وفيه أيضاً محذورات الخطايا الجنسيَّة والتَّجديف على اسم الرَّبِّ والعصيان، وما هي عقوبات الخاطئ وكيفيَّة التَّكفير عن هذه الخطايا بالفروض وطقوس النُّذور.

سفر العدد

وهو السِّفر الرَّابع من أسفار موسى وهو الرَّابع من أسفار العهد القديم يتكوَّن في مجموعة من ستَّة وثلاثين إصحاحاً. سمِّي سفر العدد لأنَّ فيه يتمُّ إحصاء الشَّعب المختار لكنَّ هذا الإحصاء لا يشغل كلَّ السِّفر.

يروي هذا السِّفر قصَّة التِّيه في برِّيَّة سيناء عقوبة لبني إسرائيل لأنَّهم خافوا أنْ يدخلوا أرض كنعان، كما أنَّ فيه تكراراً لبعض التَّوصيات والشَّرائع والقوانين التي جاءت في الأسفار السَّابقة.

في الإصحاح الأوَّل يأتي أوَّل إحصاء لبني إسرائيل، وفي الإصحاح الثَّاني ترتيب الأسباط الاثني عشر وخيامهم، وفي الإصحاح الخامس تعليمات بشأن النجاسة وطريقة اختبار الزَّوجة الخائنة، وهي قصَّة توصل المريد إلى قمَّة السَّذاجة أو المهزلة، وفي الإصحاح العاشر الاقتراب للمرَّة الأولى من أرض الموعد، والإصحاح الثَّاني عشر أخبار مقاومة مريم وهارون لموسى، وفي الإصحاح الرَّابع عشر تمرُّد أبناء إسرائيل وتذمُّرهم من الخُرُوج والنَّدم على مصر، والإصحاح الثَّامن عشر يأتي على واجبات اللاَّويِّيْن وحقوقهم، وفي الإصحاح التَّاسع عشر أوامر ياهو بذبيحة البقرة الحمراء، وفي الإصحاح الرَّابع والعشرين مباركة بلعام السُّوري للعبريِّيْن، وفي الإصحاح الخامس والعشرين أخبار تفشِّي الزِّنا في كلِّ إسرائيل، والإحصاء الثَّاني في الإصحاح السَّادس والعشرين، وبقيَّة الإصحاحات توصيات وشرائع ونذور وأوامر مكرَّرة.

سفر التَّثنية

سفر التثنية: وهو السِّفر الخامس والأخير من أسفار موسى وهو الخامس في ترتيب العهد القديم، يتكوَّن هذا السِّفر في مجموعه من أربعة وثلاثين إصحاحاً وفي هذا السِّفر بعض أخبار التِّيه وإعادة تذكير موسى للشَّعب بوصايا الله العشر وبعض الشَّرائع والأحكام في العلاقات العامَّة، والعقوبات والتَّقدمات والتحذير من مخالطة الأمم والأنبياء الكَذَبَة، والمُمارسات الوثنيَّة، وبالإجمال إنَّ في هذا السِّفر الكثير من التِّكرار المملّ ممَّا جاء في الأسفار السَّابقة، وفي الإصحاح الأخير أخبار موت موسى ودفنه بيد الله شخصيَّاً بعد أنْ تسلَّم يشوع قيادة الشَّعب، حين أطلوا على حدود أرض كنعان يغيب موسى عن الشَّعب بعد أن خطب فيهم ثلاث خطب مُذكِّرهم بالتَّوصيات والتَّحذيرات المكرَّرة.

إذاً؛ بالإجمال إنَّ التَّوراة المنسوبة إلى موسى أو الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم تتحدَّث عن أخبار الخلق والتَّكوين، السَّماء وأجرامها والأرض بكلِّ أحيائها، ومنهم آدم وحوَّاء وخلفتهم وما عاثوا في الأرض من فساد حتَّى جاء الطُّوفان ليمحوا كلَّ مَنْ فيه نسمة حياة ما عدا نوح وتوابعه، ممَّن احتواهم في فلكه، ثمَّ تتحدَّث هذه الأسفار عن شعب الله المختار في مصر أرض العبوديَّة، أربعمائة سنة ثمَّ أربعين سنة في التِّيه، إلى أنْ يقف هذا الشَّعب المُقدَّس على حدود أرض الميعاد أرض كنعان، كما أنَّ هذه الأسفار الخمسة جاءت على القوانين والشَّرائع والوصايا التي نسبت إلى موسى كوحي تلقَّاه من الرَّبِّ مباشرة ووجهاً لوجه، ثمَّ دوَّنه هذا الموسى في كتاب لبني إسرائيل كسراط يقتفوا أثره التزاماً أبديَّاً، هذه هي مضامين الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم وهي ما تسمَّى بتوراة موسى.

سيِّدي القارئ، كُنَّا قد أشرنا قبل قليل (ص 128 وما قبل) بعدَّة شواهد تُؤكِّد على أنَّ موسى هو كاتب الأسفار الخمسة المنسوبة إليه والمسمَّاة توراة، ثمَّ

جئنا بعد هذا بلمحة سريعة على ما تتضمَّنه هذه الأسفار المنسوبة لموسى. وبعد أنْ سقنا كلَّ تلك الشَّواهد من أنَّ موسى هو كاتب الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، والسُّؤال يبقى: هل حقّاً إنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار، وهل صدقت التَّوراة في قولها من أنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار المنسوبة إليه؟

هذا هو بيت قصيدنا.

الحقيقة إنَّ الزَّعم بأنَّ موسى هو كاتب أسفار التَّوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إليه انهار اليوم أمام أقلام النُّقَّاد، ولم يبقَ لهذا الزَّعم من رصيد حتَّى عند مُريدي التَّوراة أنفسهم (أستثني منهم أمراء السَّذاجة والتَّزمُّت) لأنَّ في هذه الأسفار المنسوبة إلى موسى أمور يستحيل على موسى أنْ يكتبها وهي أمور يقرُّ أكثر مريدي التَّوراة أنَّ موسى لا يمكن له أنْ يكتبها ولابُدَّ من أنَّها أضيفت إلى التَّوراة بعد عهد موسى وبقيت منسوبة إليه.

في أسفار التَّوراة هذه نجد قضايا وحوادث جرت حتماً بعد عهد موسى ولا يمكن لموسى أنْ يكتبها، ولكنَّها نُسبت إلى موسى، وكذلك في هذه الأسفار الخمسة قوانين شرّعت وما يناسب الشَّعب في مرحلة استقراره في أرض كنعان، وكلُّ هذه الأمور أيضاً كُتبت وشرِّعت حتماً بعد عهد موسى وبعد أنْ دخل العبريُّون أرض كنعان، لأنَّ موسى كما هو معروف لم تطأ قدمه أرض الميعاد.

وقبل الخوض في هذه الأوحال أودُّ أنْ أُشير بعجالة ودُون أيِّ إطالة إلى تفسير كيفيَّة وصول أخبار الخليقة والتَّكوين من عند الله حتَّى موسى كما يراه البعض.

يزعم البعض أنَّ هذه الأخبار وصلت إلى موسى من الله مباشرة ووجهاً لوجه، أي إنَّ الله بجلال ذاته الإلهيَّة، كان ينزل من عرش العزَّة الإلهيَّة ليصعد إلى جبل حوريب ليلتقي موسى شخصيَّاً ووجهاً لوجه، ليلقِّنه كلَّ شيء من أخبار الخليقة حتَّى الوصايا العشر وبقيَّة الأوامر. وفي التَّوراة إشارات كثيرة إلى هذا المذهب وهذا هو المعتقد التَّقليدي الذي عهدناه من مُريدي التَّوراة، ولكنْ؛ هناك ظاهرة جديدة أصبحنا نسمع بها اليوم بين رجال الدِّين تزعم أنَّ هذه

الأخبار وصلت لموسى من أيَّام الخليقة عن طريق آدم الذي حملها لأحـد أبنائـه، وهكذا وصلت إلى موسى أبّاً عن جدٍّ، وهذا المذهب برز بعـد أن انهـار المـذهب الأوَّل أمـام أقـلام النُّقَّـاد لـضعفه وعـدم منطقيَّتـه الواضـحة وكثـرة الأخطـاء والتَّناقضات في هذا الزَّعم، وهُنا سنأتي على بعض هذه الأمور، ولكـنْ؛ لم يـسأل نفسه صاحب هذه المدرسة الغبيَّة مـن الـذي لقَّـن هـذه الأخبـار لموسـى وهـو رضيع؛ حيثُ التقطته ابنة فرعون وبقي أربعين سنة في القـصر الملكـي. عـلى أيِّ حال إنَّ هذين الرَّأيَيْن ساذجان، ولا يقبل بهما عاقل، ولكنَّه الإيمان وليس باليـد حيلة، لأنَّ للنَّاس في ما يعشقون مذاهب معصومة، فإذا قالت التَّوراة إنَّ يـشوع أوقف الشَّمس ونسيت أنْ تقول إنَّ يشوع أوقف الأرض فـصدِّقوها، فالـصِّدق ما قالته التَّوراة وإنْ قالت التَّوراة إنَّ أصوات بنـي إسرائيـل وهتافـاتهم زلزلـت أسوار أريحا حتَّى انهـارت فـصدِّقوها. وإذا قالـت التَّـوراة إنَّ الظَّـلام الـدَّامس لشدَّته كان يلمس باليد... وإذا... وإذا ... قالت فالقول أصدَّقه ما نطقـت بـه التَّوراة، فهل أنتم تعلمون أم...

أمَّا بالعودة إلى حديثنا حول مضامين التَّوراة ونـسبتها إلى موسـى، نقـول ثانية إنَّ هناك أموراً في صفحات التَّوراة لا يمكن لموسـى أنْ يكتبهـا حـتماً لأنَّهـا حدثت بعد عهد موسى ومنها حدثت بعد جيل موسى بأجيال بعيدة.

فبداية أريد أن أسجل ملاحظتي هنا بأن كثيراً ما كـان يـتكلم الـراوي في هذه الأسفار عن موسى بصفة الضمير الغائـب ـ كـان موسـى وذهـب موسـى وقال موسى وهكذا ففي سفر العدد مثلاً يقول الراوي الذي مـن المفـروض أن يكون موسى:

وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها..

وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجـه الأرض. سفر العدد 12: 1 ـ 3

وهذا الكلام منطقياً لابد من أن شخصاً ما غير موسى كتبـه وهـو يـروي أخبار موسى.

إن المدقق في صفحات العهد القديم ومنها التوراة يستنتج أن العبريين إضافة لإيمانهم بتعدد الآلهة إلا أنهم كانوا منقسمين في مذاهبهم أيضاً وبالتالي كاتب السفر الواحد المعبر عن أكثر من مذهب هو أكثر من شخص، ولكل إلهه ودينه، فهناك المذهب الإيلي، والبعلي، واليهوي، وغيرهم. أضف إلى هذا نلاحظ أن أسطورة الخلق والطوفان وغيرها ذكرت أكثر من مرة إحداها تخالف الأخرى وهذا أيضاً يقوي مذهبنا من أن كاتب كل سفر من أسفار التوراة هو أكثر من شخص.

والآن أشير إلى قضية لا إلى انحطاطها الأخلاقي وإنما للتأكيد على أن كاتبها ليس موسى وهي الوصية المنسوبة إلى موسى والوارد ذكرها في سفر اللاويين 18:9 والذي من المفروض أن موسى كاتبه.

تقول هذه الوصية: لا تتزوج بنت أبيك أو بنت أمك سواء ولدت في البيت أو بعيداً عنه ولا تكشف عورتها 11 ـ لا تتزوج بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك ولا تكشف عورتها لأنها أختك.

إذاً في هذه الوصية المنسوبة إلى موسى حُرِّم الزواج بين الأخوة والأخوات ويقول المفسرون حول زواج النبي إبراهيم من أخته بأن هذا الأمر كان عرفاً شرعياً ونظامياً جداً لأنه حدث قبل توصية موسى وهذا الكلام بكل الأحوال غير مقبول لأن الشرائع المدنية كشريعة حمورابي الذي عاصر إبراهيم كان قد حرمها وهكذا في شرائع كل الأمم إلا في حالات خاصة، وقد يذهب البعض إلى أن الملوك الفراعنة كثيراً ما كانوا يتزوجون من أخواتهم نقول نعم إن هذا الكلام صحيح، ولكن هذه الظاهرة في أسر الملوك الفراعنة لها خصوصيتها السلبية وأسبابها غير المقبولة، وأهم تلك الأسباب كانت لحصر الملوكية في الأسرة الفرعونية المالكة، ولسنا الآن بصدد أسبابها ونتائجها السلبية، ولكن ما يهمنا هنا هو خصوصية المجتمع العبري الذي دفعهم إلى هذا النوع من الزواج حتى أصبح عرفاً شرعياً رغم أن الشرائع والقوانين المدنية كانت قد حرمته، أما حول هذه الخصوصية العبرية نقول ولأن العبريين عاشوا حياة المجتمع الضيق جداً

والمغلق المتقوقع على نفسه كان الزواج من هذا القبيل دارجاً في عرفهم الخاص وكان شرعياً جداً فمنذ أن تزوج إبراهيم من أخته سارة وحتى عهد النبي داوود كان هذا النوع من الزواج شرعياً لا عيب فيه.

طبعاً في المجتمع العبري وليس في أي مجتمع آخر، وللتأكيد على هذا العرف المتعارف عليه بين شعب الله المختار نشير إلى الآية الواردة في سفر صموئيل الثاني 12:13 ـ والتي كتبت تلقيناً من الوحي الإلهي وهي تعبر لنا صراحة عن أن هذا التقليد كان عادياً جداً عند العبريين وهكذا تقول تامار لأخيها كما جاء في قصة اغتصابها: اطلبني من الملك فهو لا يمنعني من الزواج منك.

(أي هي تقر بأن الزواج بين الأخ وأخته هو شرعي في الناموس الموسوي آنذاك) وبالتالي إن ما جاء في سفر لاوين 9:18 من تحريم الزواج بين الأخوة والأخوات لم يكتبه موسى ولابد أنه كتب بعد عصر داوود الذي جاء بعد موسى بأربعة قرون.

ثم إن هناك الشرائع التي تحكم الشعب في عصر الزراعة بعدما استقر العبريون في أرض كنعان بعد عهد موسى بسنوات طويلة كما في سفر الخروج 24: 21 ـ 26 حتماً هذه أيضاً دونت بغد عهد موسى وفي تكوين 3:9 ورد بأن كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر، ولكن في لاويين 11 وتثنية 14 ورد بأنه قد حرمت الكثير منها فإذا كان لهذا من معنى فهو يعني أن كاتب تكوين 9 هو غير كاتب لاويين 11 وتثنية 14، رغم أن كل هذه الأسفار منسوبة كتابتها إلى موسى وكذلك في الروايتين المتباينتين في قصة نوح وإدخاله الحيوانات إلى الفلك ففي تكوين 6: 19 ـ 20 ورد من كل حي من كل ذي جسد اثنان من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وأنثى من الطيور كأجناسها اثنان من كل تدخل إليك لاستبقائها. إن هذه الرواية جاءت مخالفة للرواية الواردة في تكوين 2:7 والتي جاء فيها من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة ذكراً وأنثى (أي أربعة عشر بهيمة من كل نوع) ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى..

نفهـم مـن هـاتين الـروايتين أيـضاً أن كـاتبهما أكثـر مـن شـخص وبأوقات متفاوتة.

وفي قصة الدانين المنسوبة إلى جدهم دان خامس أبناء يعقوب من جاريته هبلة أو بلهة تروي لنا هذه الحكاية أن الدانين أقبلوا على مدينة لايش فوجدوا شعباً آمناً مسالماً، فهاجموها وأحرقوها ودمروها ولم ينج أحد من هذه المدينة وأقاموا بناءها من جديد وسمُّوها دان باسم جدهم دان ابن إسرائيل أما اسمها القديم فكان لايش.

سفر القضاة 18: 14 ـ 29

هذا ما ورد في سفر القضاة وسفر القضاة كتبه صموئيل النبي وهو أول قضاة إسرائيل جاء بعد موت يشوع ويشوع جاء بعد موت موسى ولكننا نجد في سفر التثنية 34: 1 ـ والذي كتبه موسى كما يزعمون، جاء فيه، وارتقى موسى جبل نبو إلى قمة الفسجة من سهول موآب المقابلة لأريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان.

فكيف لموسى أن يذكر مدينة دان التي لم يكن لها وجود في أيامه، والأنكأ من هذا أن اسم دان ورد في سفر التكوين أيام إبراهيم الخليل، فكيف لموسى أن يكتب سفر التكوين وفيه ذكر لمدينة دان التي كانت لايش قبل دخول العبريين أرض الميعاد. وهذا ما جاء في سفر التكوين إثباتاً لوجود مدينة دان أيام إبراهيم وقبل دخول العبريين أرض كنعان بأربعمئة عام.

فلما سمع إبراهيم أن أخاه قد سبي وجر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهم حتى مدينة دان.

سفر التكوين 14:14

وهنا أود أن أشير إلى خطأ آخر في هذه الآية وهو قول موسى:

لما سمع إبراهيم أن أخاه قد سبي.. الحقيقة جميعنا نعرف بأن لوطاً ليس أخاً لإبراهيم وإنما هو ابن أخيه. وهذا ما جاء في تكوين 12:5 فأخذ ابرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه..

إذاً إن ما جاء في تكوين وتثنية، لم يكتبه موسى لأن اسم المدينة جاء بعد موسى بأكثر من مئة سنة.

ومن خربطات الوحي وتخبطه المشابه لهذه اللخبطة نذكر أيضاً ما جاء في سفر التثنية:

يا ئير بن منسى أخذ كل كورة ارجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها إلى اسمه باشان حووت يائير إلى هذا اليوم.

تثنية 14:3

يقول قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان يائير:

وأخذ يائير عندما احتل العبرانيون بقيادة موسى البلاد إلى شرقي الأردن كورة ارجوب بمدنها الثلاث والعشرين وقسماً من جلعاد وباشان (تثنية 14:3) يشوع 30:13 فالكل ستون مدينة وسماها باشان حووت يائير.

ولكن هذا الكلام لا يمكن لموسى أن يكتبه لأن احتلال أرض كنعان حدثت بعد موسى فكيف لهذا الموسى أن يتكلم على هذه الأخبار التي لم تحصل إلا بعد موته. انظر كذلك في سفر العدد 41:32.

ومن الحوادث التي حصلت بعد عهد موسى نذكر ما ورد في تكوين 7:34. فإن هذا يدل على الزمان الذي استقر فيه الشعب العبري في أرض كنعان وتبلور مفهوم المملكة المستقرة وهذا ما جاء في هذه الآية:

وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب.

فنلاحظ أنه قيل (صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب) ويعني هذا وبالتأكيد أن هذه الحكاية دونت بعد الوقت الذي عاشه موسى، لأن هذه العبارة تميز ما بين يعقوب الذي لقب إسرائيل، وما بين إسرائيل الذي قصد منها مملكة، فإن لم يقصد بكلمة إسرائيل كمملكة لن يقال صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب، بل كان يجب أن يقال صنع قباحة بابنة إسرائيل أو ابنة يعقوب فقط، لهذا نقول بأنها كتبت بعد وصول العبريين أرض كنعان

واستقرارهم وتكوُّنِ مفهوم الدولة أو المملكة، ولاسيما أن هذه الحادثة تؤكد أنهم كانوا بالحقل يفلحونه ويرعون أغنامهم، بينما كان الحارث شكيم بن حمور الحوي يحرث بأختهم الوحيدة دينة ويرعاها بحنانه.

جاء في تكوين 6:12 ـ واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض.

إذاً عند كتابة هذه الآية لم يكن الكنعانيون في الأرض وبالتالي ليس موسى كاتب هذا الكلام لأن موسى مات ولا زال الكنعانيون في الأرض - أرض كنعان.

جاء في تكوين 31:36 ـ وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك لبني إسرائيل، وهذا يعني أن هذا الكلام كتب بعد قيام مملكة إسرائيل، وبالتالي لا يمكن لموسى أن يكتبه لأن موسى لم يشهد أي ملك من ملوك إسرائيل الذين كان أولهم شاول ثم داوود أي بعد موسى بأربعمائة سنة.

جاء في تكوين 1:5 ـ هذا كتاب مواليد آدم. أي أن هذا الكلام هو منقول عن وثيقة أخرى، وبالتالي لا يمكن لموسى أن يكتبه، لأن موسى كان يتلقى الوحي مباشرة من الله ووجهاً لوجه.

جاء في تكوين 13:14 ـ فأتى من نجا وأخبر ابرام العبراني. وهذا يعني أن الذي يروي هذه الأخبار هو غير عبري وبالتالي ليس موسى من كتب هذا الكلام هذا إذا اعتبرنا أن موسى عبري وليس مصرياً.

آيات كثيرة كنا قد أشرنا إليها وهي تؤكد على أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة الأولى، ومن ثم جئنا إلى شواهد أكثر وهي تناقض هذا المذهب وتؤكد على أن موسى لا يمكن له أن يكتب هذه الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، ولربما يكون موسى قد كتب أو قال بعض الكلام الوارد في الأسفار المنسوبة إليه، أما أن يكون موسى هو كاتب كل ما جاء في الأسفار الخمسة الأولى فهذا مرفوض لأنه مستحيل، وبالتالي هذا ليس كلام وحي، بقدر ما هو كلام نفاق وانتحال لاسم موسى ولوظيفة النبوة والوحي.

في الصفحة العاشرة من معجم اللاهوت الكتابي ورد:

إن في كتاب الأنبياء لم يكن التتابع التاريخي أو الزمني للنبوات هو الذي يحدد موضعها في الكتاب المقدس، ويظهر هذا بوضوح في سفر نبوات أرميا فمن يقرأ السفر لابد وأن يعرف أن الإصحاح الأخير يشابه ما جاء في أشعيا 40 وما بعده أي يخص عصراً متأخراً. ويعتقد العلماء أن ما كتبه أرميا في 25: 12-14 يحتوي معلومات متأخرة عن عصر ارميا (39: 1 و2 و4 و10) وضعت في غير مكانها وهكذا، وليس ذلك فقط، بل هناك تيارات عديدة متباينة وأحياناً متناقضة تظهر في العهد القديم.

إن ما ذكره معجم اللاهوت هنا يؤكد على ما أوردناه من أن في الكتب المقدسة هذه أخطاءً وتناقضاتٍ وأموراً، نسبت إلى أشخاص لم يكتبوها، لأنها حدثت بعد زمانهم بوقت طويل.

وأخيراً نختم قضية الأسفار الخمسة الأولى ونسبتها إلى موسى بقضية موت النبي موسى.

يقول سفر التثنية الذي كتبه موسى:

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب، حسب قول الرب ودفنه في الجوار في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عيناه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً.

سفر التثنية 34: 5 ـ 8

أنا لن أسأل هنا كيف لموسى أن يدون هذه الأحداث التي جرت بعد موته ولكن سؤالي هو، كيف لمدون هذه الأخبار، أن يعلم أن موسى مات وأن الله دفنه في الجواء(*)؟

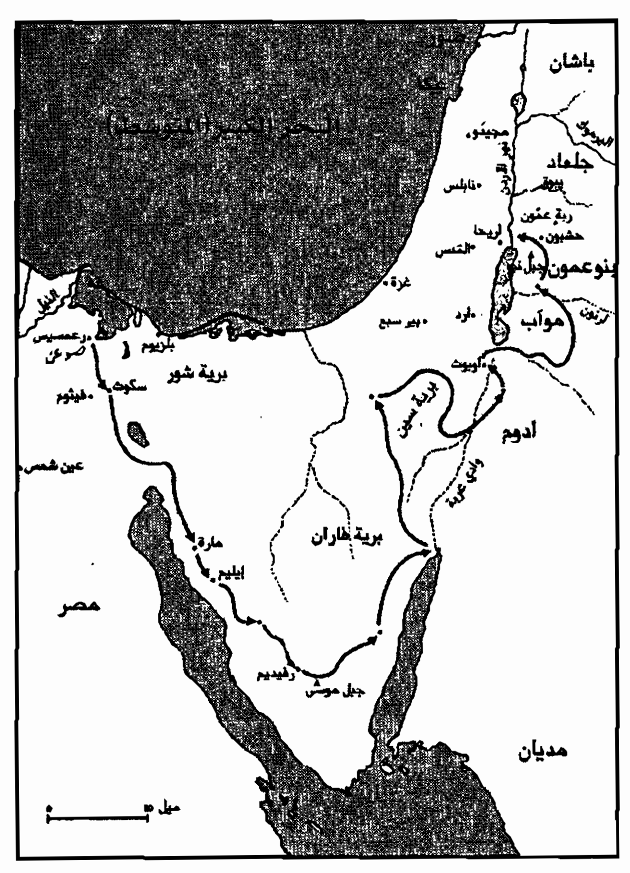
(*) الجواء في اللغة العربية تعني باطن الأرض وهي من أصل آرامي بمعنى بطن الإنسان والبطن من كل شيء ومنها الجوف أي البطن ولهذا يقول العبريون عن الأغيار كوين (كويين) أي الجوانيين الذين يقيمون داخل المدن لأن العبريين كانت خيامهم دائماً مضروبة على أطراف هذه المدن.

ولا تنسَ أن التوراة تزعم أن موسى لن يعرف أي إنسان قبره لأنـه مـات وحيداً وبعيداً عن كل النـاس، حتـى عـن زوجتـه وأبنائـه، إلا أن هـذه التـوراة لا تذكر لنا من أين استقت هذه المعلومـات إذ لم يكـن هنـاك مـن حـضر موتـه ولا أحد يعرف موضع دفنه كما جاء في سفر التثنيـة 34:5 بـأن الله دفنـه، أي أن مدون هذه الأخبار جعل من الله حفاراً للقبور، حفر قبر موسى بيديـه ولم يعلـم أي إنسان أين هو قبره، لأنه لم يحضر دفنه سوى الله بذاته!

قضية الخروج

بداية أود أن أقول ومؤكداً على أن رواية الخروج الوارد ذكرها في سفر الخروج من التوراة، والمنسوب لموسى فيها من الامتيازات الفريدة التي يستحيل عليك أن تجدها في أي رواية أخرى من روايات التاريخ. فإذا نحينا جانباً الأفكار الشريرة التي غلفت هذه الرواية المعبرة عن الكره والمقت الدفين للأغيار، يمكننا أن نقول إن لهذه الرواية رصيداً من الغباء الذي لا يمكن لك أن تجده في أي كتاب عدا التوراة وأذيالها، حتى لو جاء صاحبها من وراء الحمير لا من وراء الغنم التي خلفت لنا أكثر الأنبياء والدعاة لدين الله، كما أن في هذه الرواية من الكذب والنفاق الذي يخجل منه أكثر الناس عشقاً للنفاق.

وبالإجمال إن في هذه الرواية، رواية الخروج، أخبار عن أحداث وقضايا غير ممكنة ومستحيلة ولا يمكن لها أن تحدث على الإطلاق. على أي حال ندع هذا التوصيف جانباً لنلقي بداية نظرة على خريطة مسار العبريين أثناء خروجهم من مصر، ومن ثم نشير إلى هذا المسار حسب ما جاء في هذا السفر المكتوب بوحي من الحمامة الملهمة، العارفة كل شيء وأنتم لا تعرفون. انظر الخريطة.



الغريب في الأمر من هذا الراوي الغبي أن أرض مدين التي هـرب إليهـا موسى وهي تقع بين السعودية وخليج العقبة (البحر الأحمر)، وهذا البحر يقـع بين مدين ورمسيس، حيث كان موسى مقيماً في البلاط الفرعـوني. إن الغريـب في هذا الأمر، أن موسى هرب مـن رمـسيس ووصـل إلى مـدين دون أن تـذكر التوراة أن موسى انشق له البحر، أو على الأقـل كـان عـلى الـراوي أن يتحفنـا بأعجوبة توراتية كالعـادة ويـذكر لنـا مـثلاً أن موسـى تعلـق بقـشة العجائـب التوراتية التي طافت به البحر وعبرته إلى الجهة الثانيـة، ولكـن التـوراة لم تـأت على ذكر هذا وتناست وجود البحر بين رمـسيس ومـدين، ولكـن حتـى يزيـد الراوي الغاوي في ضلاله، قال إن العبريين انفلق لهم البحر حـين خرجـوا مـن مصر إلى أرض الميعاد مع أن البحر لـيس في طـريقهم وهـا هـي الخريطـة تبـين مسارهم وبالرغم من أنهم اتجهـوا إلى البحـر الأحمـر وهـو عكـس اتجـاه أرض الميعاد، ليضيفوا إلى هذه الأخبار الكاذبة مسحة توراتية عجائبية، رغم كل هـذا يؤكد لنا مسار العبريين أنهم لم يعبروا البحر وها هي الخريطة تبين مسارهم وها أنا أؤكد على هذا المسار الذي لم يقطع البحر الأحمـر وكلهـا كـذب ونفـاق بـل هلوسات وحسب ومن الجدير ذكره هنا أيضاً، أنّـه حتـى اليـوم لا يوجـد مـن يستطيع أن يشير إلى النقطة التي عندها تم عبور البحر، وليس بالإمكـان حتـى تحديد زمن هذا الخروج وبالتالي كما أسلفنا فإن هذا الـزعم هـو كـذب ودجـل لا ينطلي إلا على العقول المخصية لا المخصبة.

وتلفيفـاً لهـذا النفـاق، وتبريـراً لعـدم معرفـة زمـان ومكـان الخـروج يقول المفسرون:

14 : 27 ـ 28 ـ لم يكتشف دليل على هذا الخروج في السجلات التاريخيـة للمصريين. وقد كان من عادة فراعنة مصر ألا يسجلوا هزائمهم بل لقـد تمـادوا في ذلك فتناولوا السجلات الموجودة وحذفوا منهـا أسـماء الخونـة والمعارضـين السياسيين، ولاشك في أن فرعون اهتم بـصورة خاصـة بـألا يـسجل أن جيـشه العظيم قد هلك وهو يطارد جماعة من العبيـد الهـاربين، وحيـث إن المـصريين لم

يسجلوا حادثة الخروج أو إن هذا السجل لم يكتشف حتى الآن فمن المستحيل تحديد تاريخ دقيق له[1].

أضحكتني يا رجل، والله أضحكتني، ولا زلتَ تُضحكني، وليس مهماً أن تكشف لنا السر عن مصدر معلوماتك هذه لأن لابد وهي وحي من عند رب التوراة ككل صفحات التوراة وأنت كالوريث الشرعي للسلف التوراتي.

إن قضية عبور البحر اليوم، هذه الرواية التي هي في منتهى السذاجة لمريديها من أصحاب المدرسة الإيمانية بمعصومية التوراة، أصبحت اليوم موضوعاً للسخرية لمنتقدي التوراة من أصحاب مدرسة الشك، أما الذين حملوا نير التفسير أصبحت هنا هذه القضية محرجة ومحيرة في كيفية ترويج صحة الرواية، وهذا ما حملهم للخروج بموال جديد لا يقل استغباء عما أورده مدون التوراة، فكتبوا والإحراج والتخبط جلي في أقوالهم وهذا أنموذج نقرؤه في المرجع السابق تفسيراً للآية 14: 21 ـ 22 صفحة 160 ـ 161 ـ

14: 21 ـ لم يكن ثمة سبيل ظاهر للنجاة، ولكن الرب فتح طريقاً يابساً في البحر..

14: 21 ـ 22 يعتقد بعض العلماء (يقصد هنا بالعلماء: علماء تفسير نفاق التَّوراة) أن العبريين لم يعبروا البحر الأحمر ذاته، بل عبروا إحدى البحيرات الضحلة أو المستنقعات التي إلى شماله، وهي كثيراً ما تجف في بعض أوقات السنة، ولكن الكتاب المقدس يقرر بوضوح أن الرب جعل البحر يابسة.. وهكذا انشق البحر.. فكان الماء بمثابة سورين عن يمينهم وعن يسارهم (14: 21 ـ 22 انظر أيضاً يش 3: 15، 16، مل 2: 13، 14 ويعتقد البعض الآخر أن العبرانيين عبروا بحر الحلفا وهو موضع به قليل من الماء يقع أيضاً إلى الشمال من البحر الأحمر حيث الماء من الضحالة بحيث يمكن خوضه. ويعتقد البعض أيضاً أن البحر الأحمر كان يمتد في العصور القديمة شمالاً إلى أبعد مما هو عليه الآن وهذه البحيرات الموجودة الآن، هي بقايا امتداد الذراع الغربية للبحر (وتسمى الآن خليج السويس).

1 – التَّفسير التَّطبيقي للكتاب المقدَّس، صفحة **161**.

والخلاصة هي أن الله الذي خلق الأرض والماء، أجرى معجزة عظيمـة في الوقت المعين تماماً ليظهر قوته العظيمة ومحبته لشعبه[1].

يا سبحان الله. يعتقد بعض العلماء.. ويعتقد البعض الآخـر.. وهنـاك أيضاً من يعتقد من العلماء.. الخ وأنا أيضاً أعتقـد أن كـل هـذه الاعتقـادات انتهت صلاحيتها ولكني أعجب من هذا المستغبي مريـدي التـوراة وقرائهـا والمحتقر عقولهم إني أعجب منـه كثيراً كيـف لم يخطـر ببالـه أن تلـك الميـاه الضحلة التي عبرها العبريُّون، وإن لم تكـن بحـراً بـالمعنى الحقيقـي إلا أنهـا كانت تسمى بحراً، ومن الطبيعي جداً أنَّ سرعة العبور لتلـك الميـاه جعلهـا تتطاير إلى فوق مُشكِّلة سوراً من هنا وآخر من هناك. أليست معجزات هـذه الاعتقادات والتكهنات؟ أليس مـن الكفـر أن يُقـال عنهـا: ليـست إلا مـن أساطير الأوَّلين؟

هل الله عاجز عن أن يجعل إمبراطورية فرعون تغـرق ببـضع سـنتيمترات من المياه الضحلة كتلك العقول الضحلة؟

على أي حال هذه اجتهادات المفسرين، فـإن أصـابوا فلهـم أجـران، وإن أخطؤوا فلهم أجر، وما أغنى رصيدهم في السَّماء من الأجر والثَّواب.

والآن عودة إلى صفحات التوراة وعبور البحر الأحمر.

يقول سفر الخروج المنسوبة كتابته لموسى في الإصحاح الرابع عشر:

21 ـ وبسط موسى يده فوق البحـر (ولا أعلـم لمـاذا موسـى لم يقـل وبسطت يدي إذا كان صحيحاً أن موسى هو كاتـب هـذا الـسفر) فأرسـل الرب طوال الليلة ريحاً شرقية قوية (لم تجفـف الميـاه وإنـما) ردت البحـر إلى الوراء وحولته (يا سبحان الله) إلى يابسة، (ولو نظرت إلى الخريطة لوجدت أن الرياح الشرقية في هذه الحالة من المفروض أن ترد المياه إلى الغرب أي إلى البر. انظر الخريطة ثانية) وهكذا انـشق البحـر 22 ـ فاجتـاز الإسرائيليـون وسط البحر على أرض اليابسة، فكان الماء بمثابة سورين عن يميـنهم وعـن

---

1 - مصدر سابق ص160 ـ 161

يسارهم! (ولا أعلم كيف للريح باتجاه واحد أن تجعل المياه كسورين إلا إذا كانت هذه الرياح شاقولية لا شرقية ولا غربية. ثم قول الراوي إن الرياح الشرقية هبت على البحر كل الليل، أي عند النهار توقفت، فهل بليلة واحدة عبر العبريون البحر؟ وما هي حاجة المصريين لنصب خيامهم ويعسكرون في قاع البحر إذاً. وما لابد من ذكره إذا أخذنا هذه الأسطورة على محمل الجد، لنسأل هل ملقن الوحي كان يعرف كم يبلغ عمق البحر الأحمر الذي هبطوا فيه على أجنحة السرعة، وهل زبن التوراة الأفاضل فكروا يوماً بمدى هذا العمق؟ أم أن عقولهم المخصية تتقبل أي هراء من الغاوي التوراتي؟ لو أن مدون التوراة المغوي مريديه يعلم أن عمق البحر الأحمر يبلغ ألفاً وثمانمائة وخمسين متراً فكان عليه أن يذكر أن كل عبري امتطى بوراقاً كيروبياً أو عربة نارية كإيليا ليهبط إلى قاع هذا البحر ويصعد ثانية وإلا فإن عقدة اجتياز البحر ستبقى مستعصية على العقل إذا كان هناك عقل قابل للتفكير.

23 ـ ولحق بهم المصريون ودخلوا وراءهم إلى وسط البحر بجميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه 24 ـ وقبل طلوع الصباح أشرف الرب في عمود النار والسحاب على محلة المصريين، وأزعجهم (إذاً المصريون خيموا في قاع البحر ولا زال العبريون في هذا القاع) 25 ـ فجعل (الرب) عجلات مركباتهم تتخلع فطفقوا يجرونها بمشقة حتى قال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم (وقال المصريون الرب يقاتل المصريين. وهذا لا يجوز يجب أن يقال: وقال المصريون الرب يقاتلنا، ثم يقول المصريون نهرب من إسرائيل، وهذا أيضاً لا يجوز، كان من المفروض أن يقال نهرب من الإسرائيليين أو العبريين، أما قولهم نهرب من إسرائيل فهذا يعني أن هذا الكلام دوّن بعد أن استقرت وعرفت مملكة إسرائيل). 26 ـ فقال الرب لموسى (لا زال موسى المتكلم!) مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم. 27 ـ فمد موسى يده على البحر، فرجع البحر عند إقبال

الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه فدفع الرب المصريين في وسط البحر. 28 ـ فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر، لم يبق منهم ولا واحد (ولا تنسَ أن مياه البحر ارتدت على المصريين، ولا زال العبريون في قاع البحر وكيف لم يغرق العبريون؟ الحقيقة أنا لم أفهم). 29 ـ وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. (فهل فهمت أو استوعبت هذه الصورة أو هذا المشهد؟ أم أن هذا خارج إدراك غير المؤمنين). 30 ـ فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر! (يا سبحان الله بعد أن أطبقت المياه على المصريين كيف قذفت بهم إلى الشاطئ التي من طرف العبريين وهو الطرف الشرقي من البحر، حيث اتجه العبريون والرياح الشرقية من المفروض أن تقذف بهم إلى الضفة الغربية؟ أنا لا أفهم ولا أعلم والعلم عند الله وحده وحسبي الله ونعم العليم. 31 ـ ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى (أي أن إسرائيل قبل اليوم لم يؤمنوا بالرب وبعبده موسى وبعد هذه المعجزة التي أرهبتهم خافوا الرب وآمنوا به! ولكن السؤال الذي يجب أن نسأله: كيف للنبي باروخ أن يقول إن الإسرائيليين لم يعرفوا الله من يوم خروجهم من مصر إلى أيام سبي بابل؟ فما رأيكم يا من هداكم ربكم؟

ولم نستمع لصوت الرب إلهنا لنسلك في أوامر الرب التي جعلها أمام وجوهنا، من يوم أخرج الرب آباءنا من أرض مصر إلى هذا اليوم ما زلنا نعاصي الرب ونعرض عن سماع صوته.

سفر باروخ: 18:1

هذه الرواية تقول إن العبريين انفلق لهم البحر وعبروه، لا فتق الله عقلاً لتعبره لوثة الكفر، والآن تعالوا لنرى هل صحيح أن العبريين عبروا البحر، أم هي واحدة من جملة الأكاذيب التوراتية.

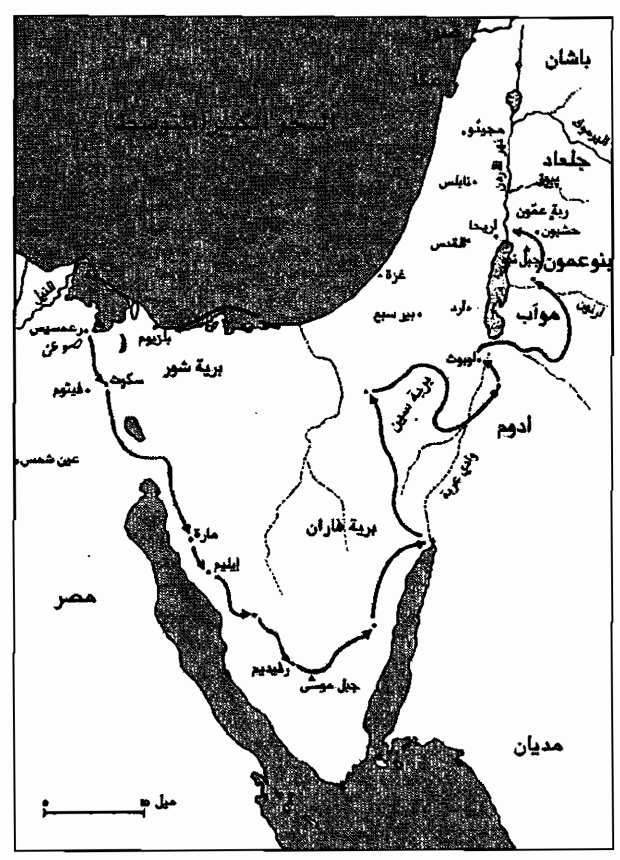
الحقيقة لو قرأنا مسار العبريين من مصر إلى أرض كنعان مستنيرين بمعطيات التوراة، نجد أن العبريين لم يقطعوا البحر الأحمر ولا الأبيض، لأنهم انطلقوا حسب معطيات التوراة من رعمسيس إلى سكوت وساروا بمحاذاة البحر داخل دلتاه أو مثلثه من مارة إلى إيليم ثم رفيديم جنوباً، ثم اتجهوا شمالاً أي عكس الاتجاه إلى عصيون، ثم قادش، وثانية إلى عصيون، ثم ديبون شرق أورشليم. وتأكيداً على هذا المسار تعالوا لنقرأ ما جاء في سفر العدد الذي يشرح بالتفصيل هذا المسار، ثم ننظر إلى الخريطة التي توضح هذا المسار الذي لم يقطع البحر.

العدد 33

1 ـ هذه رحلات بني إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر بجنودهم على يد موسى وهارون 2 ـ وكتب موسى مخارجهم برحلات حسب قول الرب وهذه رحلاتهم بمخارجهم 3 ـ ارتحلوا من رعمسيس في الشهر الأول في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول في غد الفصح خرج بنو إسرائيل بيد رفيعة أمام أعين جميع المصريين 4 ـ إذ كان المصريون يدفنون الذين ضرب منهم الرب من كل بكر! (أبى هذا الرب القاتل أو الراوي التوراتي أن يخرج الإسرائيليين من مصر دون مجزرة يبتهج لها الأشرار وكما قالوا في الأمثال يا أبا الفضائح كثر من القبائح وأنت رايح) 5 ـ فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس ونزلوا في سكوت 6 ـ ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام التي في طرف البرية، ثم ارتحلوا من ايثام ورجعوا على فم الحيروث التي قبالة بعل صفون، ونزلوا أمام مجدل، ثم ارتحلوا من أمام الحيرون وعبروا في وسط البحر إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية ايثام ونزلوا في مارة (والحقيقة هنا التخبيص والتخبط ثانية، فبعد أن ارتحلوا من رعمسيس إلى سكوت باتجاه البحر الأحمر نجدهم وصلوا إلى بعل صفون التي هي على ساحل البحر الأبيض وعبروا في وسط البحر، وكيف حصل هذا وهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط، انظر الخريطة حيث بعل

صفون هي على البحر الأبيض المتوسط، وهنا تزعم التوراة أن البحر انشق لهم! ولابد لي هنا من أن أذكّر سيدي القارئ أن كل الخرائط التي أستشهد بها هي نسخ من الكتب المقدسة ولاسيما كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.

ثم يقول هذا الراوي بعد أن عبروا في وسط البحر إلى البرية ساروا ثلاثة أيام في برية ايثام ونزلوا في مارة، والحقيقة أن ايثام ليست في طريقهم إلى البحر الأحمر. أي لم يعبروا البحر. انظر الخريطة. ثم وصلوا إلى مارة التي هي داخل مثلث البحر الأحمر 9 ـ ثم ارتحلوا من مارة وأتوا إلى ايليم (وهي أيضاً داخل هذه الدلتا وحتى الآن لم يقطعوا البحر) 10 ـ ثم ارتحلوا من ايليم ونزلوا على بحر سوف (وهو البحر الأحمر) 11 ـ ثم ارتحلوا من بحر سوف ونزلوا في برية سين (وهي برية سيناء ضمن دلتا البحر الأحمر) 12 ـ ثم ارتحلوا من برية سين ونزلوا في دفقة 13 ـ ثم ارتحلوا من دفقة ونزلوا في الوش 14 ـ ثم ارتحلوا من الوش ونزلوا في رفيديم (وهذا الاتجاه حتى الآن هو إلى الجنوب بينما أرض الميعاد إلى الشرق وهنا يبدأ توجههم إلى الشمال ثانية، والكاتب يذكر هنا سلسلة من أسماء لقرى ومدن، الحقيقة ليس لها أي أساس من الحقيقة ثم يقول الراوي 35 ـ ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا في عصيون جابر، وعصيون جابر تقع على رأس خليج العقبة ومنها ارتحلوا إلى برية صين وهي قادش 37 ـ ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أدوم ـ وبعد سلسلة من الأسماء المجهولة وصلوا إلى ديبون شرق أورشليم كما هو مبين في الخريطة وبالتالي لم يعبروا لا البحر الأحمر ولا البحر الأبيض. الحقيقة أن كل أسماء القرى والمدن التي يذكرها الراوي متنقلاً بخياله من قرية إلى مدينة بشكل عشوائي، هو لا يعرف أي شيء عن مواقعها الجغرافية وإنما سمع بها مجرد سمع وربما بعضها ليس لها وجود على أرض الواقع، إذ كيف للراوي أن يقول باجتياز البحر الأحمر منطلقين من بعل صفون، وبعل صفون كما هو موضح على الخريطة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.



والآن نأتي لجوهر القضية ونسأل السؤال المهم وهو: من هو موسى ولماذا الخروج من مصر؟ هل حقاً كانت عبودية للمصريين أم كانت مصيبة ابتلى بها المصريون حتى طردوهم طرداً.

إذاً فلنأتِ لدراسة سفر الخروج، ومن معطياته نستنتج حقيقة هذا الخروج هل كان هروباً أم طرداً.

النبي موسى وقضية الخروج

من هو موسى؟ ولماذا موسى بالذات هو رجل الله وليس رجلاً آخر؟ ما هي قصة الخروج مع موسى؟ ولنا وقفة مع الضربات العشر، لأنها أصدق تعبير عن مصداقية التوراة.

قبل أن نتعرف على رجل الله وكليم الله الذي كان يلتقي الرب وجهاً لوجه كما يتلاقى رفاق الثورة على فرعون، هذا الرجل الحليم جداً كما سنرى، وكيفية قيادته لشعب الله في إخراجهم من مصر، نأتي بداية بلمحة شديدة الإيجاز على بعض ما جاء في سفر الخروج في إصحاحاته الأربعين، وهو السفر الثاني في الترتيب التوراتي، وهو المدون بقلم موسى كما يزعم مريدو التوراة وزبنها، ولا يذكر لنا المفسرون إذا كان موسى قد كتبه باللغة الفرعونية الهيروغليفية أم العبرية (الآرامية القديمة)، وهل كان موسى يتقن العبرية قراءة وكتابة، وأين تعلمها وهو ربيب بلاط فرعون منذ كان عمره ثلاثة شهور حتى بلغ أربعين سنة من العمر وهل حقاً كانت اللغة العبرية وقتئذ لها أبجدية تكتب بها.

كل هذه الأمور لم تأت على ذكرها التوراة، مع العلم أن موسى ولأول مرة يتعرف بها على العبريين كان بعد أن تجاوز الأربعين من عمره، وكان ذلك عندما خرج من قصره ورأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرياً فقام موسى الحليم جداً بقتل المصري دون أي أخذ أو عطاء، وطمره بالتراب، وهرب إلى مدين وأقام فيها أربعين سنة ومن بعدها تعرف على أخيه هارون لأول مرة بعد أن تجاوز الثمانين من العمر، (أعمال الرسل 7: 20 ـ 30) وكما هو معروف قضى أربعين سنة أخرى في التيه ومات عن عمر مئة وعشرين سنة ودفنه الله في الجواء.

على أي حال لا أريد التشعب هنا في هذه المسائل الغامضة، ولنا في بعضها بعض الحديث يأتي في حينه، أما الآن فهذا موجز سريع لسفر الخروج.

كان السومريون والبابليون وغيرهم من الشعوب القديمة يعنونون نصوصهم لا بما تتضمنه هذه النصوص من مواضيع، وإنما كانت تعنون عادة

بـالكلمات الأولى مـن الـنص. ففـي سـفر التكـوين البـابلي، مـثلاً والمعنـون (بالاينوما ايليش) أي وعندما في الأعالي لم يكن هناك سماء. وهذه هـي الكلـمات الأولى التي يبدأ بها اللوح الأول من سفر التكوين البـابلي وهكـذا عنـون موسـى سفره بتلقين من الله أو هكذا عنون العبريون سـفر الخـروج (وإلـه شـيموت) أي وهذه أسماء. وهي الكلمات التي بدأ بها سفر الخروج. بينما في الترجمة اليونانية جاء هذا السفر بعنوان Exode أي خروج وهو عنوان الـسفر في بقيـة الترجمـات، وهـو مضمون هذا السفر أي خروج العبريين من أرض العبودية إلى أرض الميعاد.

يمر سفر الخروج مرور الكرام على أخبار العبريين أثناء إقـامتهم في مـصر أربعمئة سنة، وفي الإصحاح الأول منه يتحدث عن اضـطهاد المـصريين الكفـرة لبني إسرائيل شعب الله المختـار. وفي الإصـحاح الثـاني أخبـار ولادة المخلـص موسى وهروبه إلى مدين، وكان من المفروض أن يسمى هـذا اللقـيط يـشوع أي المخلص، بدلاً من أن يسمى موسى، ويبـدأ الإصـحاح الثالـث بإخبارنـا أن الله اختار موسى وكلّمه ليخرج شعبه المقدس من أرض الوثنيـة ولكـن بـين مـدين ومصر كما أسلفنا يوجد بحر وهو البحر الأحمر، والتوراة لا تخبرنا كيـف اجتـاز موسى هذا البحر، هل هو أيضاً انشقت له المياه فعبرها. يـأتي الإصـحاح الرابـع بإخبار معجزات موسى ويبدأ اللقاء يتكرر بين موسـى وفرعـون والمفاوضـات تتأزم ثم يتكرر اللقاء بين موسى وإلـه إبـراهيم وإسـحق ويعقـوب وبعـد عـدة معجزات قام بهـا موسـى، يحـدثنا الإصـحاح الـسابع عـن غـضب الله وبدايـة الضربات العشر التي تشرق لها أسنان الأطفال ضحكاً لسخريتها مما ترويـه مـن تخريف وسذاجة، ففي الضربة الأولى من يهوى يجعل كل مياه مصر تنقلب إلى دم وهي أولى الشهوات العبرية، شهوة الدم التـي كثـيراً مـا نـشهدها في صـفحات التوراة ولا نشهدها ربما في أي مرويات أخرى إلا نادراً، لأنها تـصورات مقـززة كما في رواية الأرملة اللعوب يهوديت حين ارتمت في أحضان قائد جـيش آشـور وأخبرته أن العبريين مقبلون على ذبح دوابهم وشرب دمائها.

(يهوديت 11:11).

ومن ثم يبدأ الإصحاح الثامن لـتملأ الـضفادع وجـه الأرض في الـضربة الثانية، وربما شكلت هذه الضفادع لكثرتها قشرة ضـفدعية عـلى وجـه الأرض، مكونة من عدة طبقات تنق نقيقاً لا يختلف كثيراً عن ثرثرة التوراة، والغريـب في هذه الثرثرة التي أثقلت صفحات التوراة، أن هذه التوراة تزعم مـراراً وتكـراراً أن فرعون مصر كان مؤمناً جداً بيهوى و«يهوى» لم يقبله في شركة القديسين أبناء الله المختارين رغم أن الفراعنة كانت من تقاليدهم المقدسة الطهر. أعني الختـان. وحجة المفسرين وتبريرهم لعدم قبول فرعون في شركة القديسين: إن الله يهـدي من يشاء ويضل من يشاء وله في ما يشاء أشياء. فيا ما شاء الله على هذه الأشياء، لما فيها من رياء وهراء. على أي حال وبعد الضربة الثانية ولإيمان فرعون بيهـوى يترجى هذا الفرعون من موسى وأخيه هارون أن يصليا إلى الرب لأجله ولأجل شعبه ليرفع الرب عنهم هذه الضفادع.

فدعا فرعون موسى وهارون وقال صليا إلى الرب ليرفع عني وعن شعبي الضفادع، فأطلق الشعب ليذبحوا للرب، فقـال موسـى لفرعـون عـين لي متـى أصلي لأجلك ولأجل عبيـدك وشـعبك لقطـع الـضفادع عنـك وعـن بيوتـك، ولكنها تبقى في النهر، فقال غداً، فقال كقولك لكي تعرف أن لـيس مثـل الـرب إلهنا فترفع الضفادع عنك وعن بيوتك وعبيدك وشعبك ولكنها تبقـى في النهـر. (حوار لا يحدث إلا في قصص الأطفال).

ثم خرج موسى وهارون من لـدن فرعـون، وصرخ إلى الـرب مـن أجـل الضفادع التي جعلها على فرعون ففعل الرب كقول موسى فماتت الضفادع مـن البيوت والدور والحقول وجمعوها أكواماً كثيرة حتى أنتنت الأرض!!!

(خروج 8: 8 ـ 14).

نعم أنتنت الأرض كتلك العقول النتنة التي جاءتنا بهـذه الأفكـار النتنـة. أليس كل إناء بما فيه ينضح؟

يتابع الرب «يهوى» ضرباته القاسية ويتابع الـوحي في الإصـحاح الثـامن ليخبرنا بالضربة الثالثة، حيث أوعز الله لموسى ليوعز بدوره لهارون بأن يـضرب

عصاه في الأرض. ضرب هارون بعصاه الأرض فأفرخت بعوضاً أكثر من تراب مصر بحسب تقديرات الراوي التوراتي الذي يدون بتلقين من الـروح القـدس، إذاً عدد ذرات تراب أرض مصر كان أقل من عدد البعوض! والآن دعونا نأخـذ كلام الوحي بشيء من الجدية ولنعتبر أن هذا الكلام ليس صادراً إلا عـن رجـل متزن عاقل وصادق وهو النبي موسى، الذي قدر كثرة البعوض بأكثر من تراب مصر. فإذا علمنا أن تحت قدم واحد لطفل وبعمق بسيط هناك من ذرات التراب التي يعجز خيال أي عاقل عن تقديره فكيف لنا هنا أن نقدر كثرة البعوض التـي أفرخته عصا هارون بعدد قدَّره كاتب الوحي بأكثر من تراب مصر، وما هو قدر هذه الزيادة وإلى أي سماء وصلت سـماكة هـذه القـشرة البعوضـية التـي غلفـت عقول من فيه روح يهوى الفاضلة.

بكل الأحوال هذا كلام هراء وحسب.

تأتي الضربة الرابعة بالذباب الذي غطى كـل أرض مـصر مـا عـدا أرض جاسان، وأرض جاسان لم تلوثهـا ذبابـة واحـدة لـسبب بـسيط وهـو أن أرض جاسان هي الأرض التي كان يقـيم فيهـا الأخيـار، ولكـن مـا نعرفـه جميعـاً أن الـذباب لا تجتمـع إلا حيـث تجتمـع الأوسـاخ والقـاذورات، وكثـيرون هـم المؤرخون الذين شهدوا على أن الجماعات العبرية الرعوية كانت دائماً منبوذة مـن المصريين بسبب تفشي الأوساخ والأمراض المتأتية مـن هـذه الأوسـاخ، ولكننـا نكتفي هنا بشهادة التوراة كما يقال من فمهم أدينهم:

لأن المـصريين لا يقـدرون أن يـأكلوا طعامـاً مـع العبريـين لأنـه رجـس عند المصريين.

(تكوين 32:43).

قال أحدهم وكان دائماً يعظم هذا الشعب: إن العبريين قالوا هـذا الكـلام في توراتهم وكذبوا كذبة بيضاء، وبالحقيقة لم يكونوا هكذا! يبدو أن حمامة الوحي انقلبت إلى بطة في كل حطة وسقطة تقول هذا مزاح أبيض، ولكن أنا لا أريـد أن أستحضر عشرات الشواهد على هذه القاذورات ولكن أكتفي فقط بشهادة النبي

المحترم حزقيال إذا كان صحيحاً بأنه كان يكتب بوحي من الله وإذا كان صحيحاً ما جاء في صفحات توراته وهي ما لا يمكن لها أن تكون كذبة بيضاء، ولا يمكن لها أيضاً أن تكون مزحة وحي. ولاسيما أن النبي حزقيال هو من أبرز أنبياء ياهو، وهو أحد الأنبياء الكبار الأربعة في العهد القديم. يقول النبي حزقيال معبراً عن ذوق رفيع جداً وعن سمو مكانته وسلوكه:

وتأكل كعكاً من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه..

فقال لي (الرب) انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان فتصنع خبزك عليه..

سفر حزقيال 4: 12 ـ 15

بعد أن ترقى هذا الكاهن النبي المقدس أبدل له الرب خراء الإنسان بخثي البقر فهل هناك رعاع دون هذه النجاسة، وهل يخطئ من يقول عن هذه الجماعات حثالة المجتمعات فما هي الحكمة من هذه الألفاظ البذيئة في تعاليم التوراة إذاً، ثم ألا تقدح هذه الصور بصورة القداسة التي ينعت بها أنبياء الله القديسون ألم تكسر هذه الحالة في وصايا الله التي تطلب وتشترط الطهارة في الكاهن والنبي كما جاء في لاويين 21 و22 ـ انظر كذلك تث 12:23.

يقول المفسرون إن حزقيال طلب من الله أن يعفوه عن استخدام فضلات الإنسان كوقود لأن ذلك يكسر وصايا الطهر بحسب ما جاء في لاويين 21و22 وتثنية 23:12-14 وقد حرص حزقيال ككاهن على حفظ تلك الوصايا حفظاً لطهارته[1].

نحن لن نسأل المفسرين لماذا لم يعفُ الله هذا الحزقيال من هذه النجاسة ولكن من منا يصدق اليوم أن حزقيال عاقب نفسه بأن رقد على جنب واحد لمدة 360 يوم متواصلة، من منا يصدق هذا التفنيص؟

إذا كان أحدنا يجرب أن يرقد على جنب واحد لمدة ساعات قليلة قد يصاب بالشلل فكيف لحزقيان أن يرقد سنة على جنب واحد ثم يرقد أربعين

1 - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص 1594.

يوماً على جنبه الآخر؟ ماهذه الخزعبلات والتفنيصات؟ انظر الإصحاح الرابع لسفر حزقيان.

وبقي لي هنا أن أشير إلى أن هذا الذباب الذي لا يتواجد عادة إلا حيث تتواجد القاذورات، كان ملازماً لهذا الرعاع لا في المآكل والمشرب وحسب، بل أيضاً كان ملازماً لأفكارهم ومذاهبهم ومعتقداتهم الدينية تحت اسم بعل زبوب أي الآلهة الذبابة وكان هذا البعل زبوب إلاهاً يقدسه الملوك والأنبياء العبريون وهو يجسد الإله والشيطان في نفس الوقت.

وفي قصة مرض أخزيا وهو ثامن ملوك إسرائيل، تعبير جلي على إيمان الملك بهذا الإله، حيث بعث رسلاً إلى هذا الإله ليعرف منه هل سيشفى من هذا المرض أم لا.

(ملوك الثاني ١:١).

على أي حال لسنا الآن بصدد هذا التلوث، وربما استرسلنا فيه بعض الشيء، ولكننا بصدد هذا الذباب بقدرة قادر ملأ أرض مصر عدا أرض جاسان التي غطاها العبريون وتأتي هذه الضربات واحدة تلو الأخرى، وفي الإصحاح التاسع تأتي الضربة الخامسة وهي ضربة من الوباء الذي اجتاح أرض مصر ولم يترك من حمير مصر، وجمالها، وبقرها، وطيورها، وكل دوابها، إلا ما ملكته بنو إسرائيل وقبل أن نذكركم يا سيدي بالضربة السادسة علينا أن نتذكر أن موسى كان مطلوباً للعدالة في مصر حين قتل المصري وهرب، وأما الضربة السادسة فهي سلوك الولدنة الذي ينتهجه الطفل حين لا يحس بخوف من رادع، أو لا يعي حجم مسؤولية ولدنته، وكأن موسى وفرعون طفلان تشاجرا فيقوم أحدهما برشق خصمه بحفنة من التراب وهذه هي قصة موسى مع فرعون. إذاً الضربة السادسة كانت عندما وقف موسى في وجه فرعون وفي حالة انفعالية من الغضب الذي أعمى بصيرته، أخذ شيئاً من الرماد ولا أعلم والعلم عند الله من أين جاء بهذا الرماد ورشقه في عيني فرعون ولم يَعْمِه، ولكن أصاب هذا الرماد بقدرة قادر كل المصريين، القاصي والداني، بالقروح والبثور ويا سبحان الله حتى

الحيوانات المصرية لا العبرية طبعاً ولكن الحكواتي التوراتي لا يذكر لنا من أين جاءت لنا حمامة الوحي بتلك الحيوانات بعد أن كان موسى قد أماتها عدة مرات.

ثم تأتي الضربة السابعة بالبرد الذي أهلك كل دواب المصريين ثانية وثالثة ولا تنسَ ما هو جدير أن فرعون الذي كان معجباً جداً بموسى وحكمته ومؤمناً جداً بـ«يهوى» وقدرته كان يطلب دائماً ومن وقت لآخر من موسى وهارون مترجياً أن يصليا لأجله. فما رأيكم يا من اختاركم ربكم؟

فقال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية ولكن لا تذهبوا بعيداً، صليا لأجلي.

(خروج 28:8)

وينتهي الإصحاح التاسع ليبدأ الإصحاح العاشر بالضربة الثامنة، وإذا بجيش من الجراد يغزو مصر، ويأكل الأخضر واليابس، رغم أن الضربة السابقة جاءت على النبات والحيوان. وثانية وثالثة يترجى فرعون من موسى وهارون أن يصليا لأجله ويصفحا عن خطيئته بحق الشعب المختار والأسطوانة تتكرر، وتتكرر بشكل مخجل وممل، كما في كل ضربة من هذه الضربات.

فدعا فرعون موسى وهارون مسرعاً وقال أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما، والآن اصفحا عني هذه المرة فقط وصليا إلى الرب إلهكما ليرفع عني هذا الموت فقط.

خروج 16:10

أما الضربة التاسعة وإن لم تكن الضربة القاضية إلا أنها كانت ضربة متميزة عن كل الضربات الأخرى، لأنها جاءت بظلام دامس ولا مجال للسخرية هنا لأن من شدة كثافة هذا الظلام الدامس كان يمكن أن يلمس باليد بكل سهولة!!! لما التعجب ألم ترَ يدك قط هكذا ظلام؟ أعني هل لمست يدك يوماً ظلاماً كثيفاً وتحسسته؟ هل للأب الصادق جداً أن يفسر لي هذه المعضلة التي استعصت على فهمي القاصر، إذ كيف يمكن ليدي أن تلمس الظلام. هل لديكم جواب يا ذوي الألباب.. ربما تتفتق عبقرية منافق متسفسط ويقول: إن

شدة كثافة الضباب ممتزجاً بعتمة المساء جعل له ملمساً. لا يا سيدي لا فهذا ليس صحيحاً فالضباب هو الضباب، والعتمة هيَ العتمة، ثم الضباب يا حباب إن كثف لدرجة اللمس فهذا يعني أصبح طلاً أو مطراً وفي كلتا الحالتين يسقط على الأرض والنبات، ثم هل الوحي يعجز عن التمييز بين الضباب والعتمة والماء إلا إذا كان في عماء.

المشكلة أن آيات مضحكة كهذه الآية المهزلة لا يأتي المفسرون على تفسيرها لنا فتبقى ألغازاً معجزة لا يعلم مرادها إلا هو الحاضر الغائب دائماً.

ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس..

خروج 21:10

اللهم لا أسألك رد القضاء وإنما اللطف فيه، يعني خذني بحنانك شوية ولا تبعدني كثيراً عن القضية.

أما الضربة العاشرة، فكانت الضربة القاضية لنجدة الشعب المختار من تلك العبودية، وهنا كان لزاماً وفرض عين على فرعون المؤمن جداً أن يحمد «يهوى» كل الحمد وإن كان هذا الـ«يهوى» لم يرد عنه هذا القضاء والقدر إلا أنه ألطف فيه جداً، حيث ضرب «يهوى» بكر كل من في أرض مصر ما عدا أبكار شعبه وحيواناته. ضرب من بكر فرعون الجالس على عرشه، حتى بكر الجارية الجالسة خلف حجرة الرحى، وبكر كل سجين ولم يستثني من هذه الضربة كل أبكار حيوانات مصر التي كان قد أماتها موسى عدة مرات إلا أبكار حيوانات العبريين تلك الأبكار من الأبقار المقدسة.

بعد هذه الضربات والمعجزات أطلق فرعون العبريين على وجه السرعة وقال لموسى صلوا لأجلنا. يا سبحان الله الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله في ما يشاء فنون. انطلق العبريون وانشقت أمامهم مياه البحر فعبروها، بل هبطوا إلى قاع البحر «بالبرشوط» أو ربما بدرج أوصلهم إلى قاع البحر الذي يبلغ عمقه 1850م ثم صعدوا بهذا الدرج رملاً أو جرياً أو بالمناطيد، والعلم عندالله،

وجاء على أثرهم المصريون ليسقطوا كالعميان في هذه الحفرة الهاوية تدحرجاً أو كرجاً فأطبقت عليهم المياه وأعدمتهم كما في المرات السابقة فتح البحر يديه مرحباً بالمصريين كما يفتح الفخ الغدار يديه منتظراً غنيمته وما إن دخل المصريون قاع البحر حتى أطبق عليهم هذا البحر الغدار كما يطبق الفخ على فريسته أو كالأخطبوط حين يحتضن ضحيته.

خرج العبريون من رعمسيس (أو رمسيس) رغم أنهم كانوا مقيمين في أرض جاسان الخصبة التي انتقاها يوسف لإخوانه أما رعمسيس التي خرجوا منها كما تزعم التوراة فهي تبعد عن البحر الأحمر مئات الكيلومترات، وبدلاً من أن يتجهوا شرقاً إلى فلسطين اتجهوا جنوباً إلى سكوت، رغم أن سكوت أحياناً يضعها المفسرون بالموقع نفسه، الذي لرمسيس فإن كان معنى لهذا التلبك عند المفسرين فهو يعني التلبك عند ملقن الوحي، انظر إلى الخريطة.

ثم بعد سكوت انطلقوا إلى مارة وايليم ثم رفيديم وساروا مئات الكيلومترات ثم اتجهوا شرقاً في مسارهم بضع كيلومترات ثم شمالاً إلى برية فاران ثم برية سين ووصلوا إلى حدود أريحا عبر أرض موآب وعمون بعد أن اجتازوا مئات الكيلومترات ثانية.

هكذا حدد الكتاب المقدس مسار العبريين في الخروج، وكما أسلفنا لو نظرت إلى خريطة هذا المسار والمدن التي عبروها تجد أن العبريين لم يعبروا البحر الأحمر، وقصة أن مياه البحر انشقت لهم ليست إلا كذبة توراتية كغيرها من الأكاذيب التوراتية الكثيرة، دست هذه الكذبة الغبية لا لتزيد في هذه الحكاية عناصر مشوقة، وإنها لتزيد في رصيد التوراة من الغباء.

وصل العبريون إلى حدود أرض كنعان وانتهت مهمة موسى الذي استودعهم في يد أمينة وهو خليفته يشوع بن نون الذي كان أعتى سفاحي ذاك الغوغاء، وانتهت مهمة موسى في إخراج العبريين من مصر وكان كابوساً جاثماً على صدر مصر وانزاح كانزياح السقم عن الجسم. والآن نعود لعين السؤال الذي بدأنا به هذا الموضوع.

من هو موسى؟ ولماذا موسى بالذات هو رجل الله وليس رجلاً آخر؟

وهل كان موسى حقاً حليماً جداً وأكثر من كل الناس كما تقول التوراة التي كتبها موسى؟!

وما هي قصة الخروج مع موسى؟ هذه هي الأسئلة الأهم في هذه القضية.

يجيب زبن التوراة على هذه الأسئلة البسيطة بقوة شواهد الكتاب المقدس قولهم إن الله أوحى إلى موسى واختاره من بين جميع الناس.. لأنه كان جميلاً جداً مستشهدين بخروج 2:2 وعبرانيين 11:23 وأعمال الرسل 7:20 الخ.

في ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جداً.

أعمال الرسل 7:20

فحبلت المرأة وولدت ابناً ولما رأته أنه حسن خبأته..

خروج 2:2

إذاً كل النساء العبريات كن يلدن أبناء بشعين إلا موسى الذي كان جميلاً جداً، لهذا كل الوالدات وئدن أبناءهن إلا أم موسى.

موسى بعدما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبي جميلاً.

الرسالة إلى العبرانيين 11:23

فلما شاهدته ابنة فرعون رق له قلبها الحنون جداً رغم أنها كانت من الكفار الوثنيين، كما أنها كانت تعرف أن هذا اللقيط هو من أبناء العبريين الذين أمر فرعون بقتل جميع أطفالهم.

إن الله لم يَخْتَرْ موسى ليقود شعبه المقدس لمجرد أن موسى كان جميلاً جداً وحسب، لا بل كان هناك سبب آخر، وهو أن موسى كان قد حصل على شهادة حسن السلوك بدرجة دكتوراه شرف مثل كثير من القادة الديمقراطيين، وهذا ما شهدت عليه التوراة بقولها إن موسى كان رجلاً حليماً جداً وأكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض. هذا هو تقرير راوي سفر العدد وهذا الراوي الصادق جداً كان هو ذاته الجميل جداً والحليم جداً، إنه موسى ذاته، لأنه هو الذي كتب سفر العدد، والأمثال الشعبية أوهمتنا أن مادح نفسه كذاب. أليس كذلك.

وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض.

سفر العدد 3:12

فهل انكشف لك سر اختيار الله لهذا المختار الذي نال 99.9٪ من رضا الرب والشعب ليقود أمة الله.

إن السخرية والمهزلة الملفتة للانتباه هنا، أن هذا الموسى الذي نال كل هذا الرضا من الله، وهذا الإله الذي لم يجد أجمل من موسى، وأحلم من موسى إن هذا الموسى لم يدخل أرض الميعاد! لماذا؟ لأن الله عاقبه! وما هي خطيئته؟ التوراة لم تذكر أن موسى أخطأ ليستحق هذا العقاب فهل يشوع بن نون وكالب بن يفنة اللذان دخلا أرض الميعاد كانا أحق من موسى في أرض الميعاد؟ فهل للمفسرين أن يأتوا لنا بسبب يُبيِّن لنا لماذا لم يدخل رجل الله -موسى- أرض الميعاد؟ التوراة تذكر أن الله حَرَمَ موسى من دخوله أرض الميعاد ليس لأنه أخطأ وإنما لأن الشعب أخطأ! هل يعقل هذا؟

على أي حال إن الله اختار موسى لأن موسى كان جميلاً جداً، ولأن موسى كان حليماً جداً، ولكن دساس الوسواس بين الناس، يجعل بعضهم يتشككون بأخلاقيات موسى الحليمة، ويقولون: إذا كان موسى هذا الرجل الحليم والحليم جداً بتشخيص كاتب سفر العدد (موسى) فكيف تصرف هذا الموسى بحماقة ما بعدها حماقة حين كسر لوحي الشهادة وهي هدية الرب لشعبه وخاصته؟ أليس كسر الهدية هو كسر واحتقار لمانحها؟

وكان عندما اقترب موسى إلى المحلة، أنه أبصر العجل والرقص، فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل.

خروج 19:32

يقول المفسرون إن مشاعر الغضب طغت على وعي الرجل الحليم موسى حين شاهد الشعب عراة يرقصون حول العجل الذهبي. والحقيقة أن الشعب لم يخطئ، بل إن هارون كان المخطئ حين عراهم وصنع هذا العجل الذهبي. على

أي حال حتى لا نبتعد عن موسى الحليم جداً، نعود ثانية لنسأل: أين كان قد أودع موسى هذه الأخلاق الراقية حين قتل الرجل المصري الذي تشاجر مع أحد العبريين ولماذا لم يصلح بينهما؟ فهل كلَّما تلاسن حاييم وسليم يأتي حليم ويقتل سليم نصرة لحاييم؟ فهل كلما تشاجر اثنان يأتي حليم دون أن يعرف ما سبب الخلاف ويقوم على قتله والفرار من وجه العدالة كما فعل موسى (خروج 2:11) فهل هذا هو جزاء المصريين الذين التقطوه وآووه وربوه هل هذه هي عدالة موسى وحلمه الرفيع؟ وهذا أيضاً ما أحاق برعوئيل حميه عندما هرب موسى من المصريين والتجأ إلى أهل مدين فاستضافه رعوئيل وأعطاه ابنته صفورة وعندما تسلم موسى قيادة العبريين قام على أهل مدين الذين استضافوه وكرموه يوماً فتمرد عليهم وأبادهم جميعاً رغم أنهم استجاروه وزوجوه ابنتهم وحموه أربعين سنة وهو يرعى أغنامهم ويأكل من خيراتهم، حتى أصبح واحداً منهم ولم يلقَ منهم أي سوء وكما قال ابن المقفع في أمثاله: إن اللئيم لا يزال نافعاً ناصحاً حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل، فإذا بلغها اشرأبت (تطاولت) نفسه إلى مافوقها ولاسيما أهل الخيانة والفجور، فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فَرَقٍ (خوف) أو حاجة فإذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد إلى جوهره كذنب الكلب الذي يُربط ليستقيم فلا يزال مستوياً ما دام مربوطاً فإذا حُل انحنى وتعوج كما كان (كُليلة ودمنة ص 159) وهذا موسى ما أن قوي ساعده وخرج عن حماية المديانيين له حتى عاد إلى أجرامه وقام بإبادة أهل مدين وعن هذا النكران للجميل والغدر القذر نقرأ بعض ما جاء في سفر العدد:

فقال موسى للشعب: جهزوا منكم رجالاً مجندين لمحاربة المديانيين والانتقام للرب منهم، أرسلوا للحرب ألفاً واحداً من كل سبط من أسباط إسرائيل مجردين للقتال، فأرسلهم موسى ألفاً من كل سبط فكانوا اثني عشر ألفاً من بين ألوف إسرائيل، مجردين للقتال، فأرسلهم موسى ألفاً من كل سبط للحرب بقيادة فينحاس بن العازار الكاهن الذي أخذ معه أمتعة القدس وأبواق

الهتاف (ولا أعلم من أين جاء موسى بأمتعة القدس، والعبريون لا زالوا في التيه فما رأيكم؟ يتابع موسى قوله) فحاربوا المديانيين كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وقتلوا معهم ملوكهم الخمسة: اوي وراقم وصور وحور ورابع كما قتلوا بلعام بن بعور بحد السيف، وأسر بنو إسرائيل نساء المديانيين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وسائر أملاكهم، وأحرقوا مدنهم كلها بمساكنها وحصونها واستولوا على كل الغنائم والأسلاب من الناس والحيوان.

سفر العدد 31: 3 ـ 11

هذا هو الأسوأ من جزاء سنمار! لا ليس هذا وحسب، بل أكثر وأكثر حتى أن موسى غضب جداً لأن بني إسرائيل تركوا بعض النساء أحياء ولم يقتلوهن، وهذا ما أصاب موسى بالسخط وهو الرجل الحليم جداً. ألسنا بصدد الحديث عن أخلاق موسى الدمثة؟ فها هو موسى الحليم جداً.

فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من الحرب، وقال لهم: لماذا استحييتم النساء؟!

عدد 31: 14 ـ 15

فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً!!

عدد 31: 17 ـ 18

أي مجرم، وأي سافل، وأي حقير يرى في هذه الأوامر الشريرة آيات مقدسة؟

أمر موسى أن يقتل الأطفال! لماذا؟ وأمر استحياء العذارى، لماذا؟

لماذا.. لماذا.. لماذا قتل الأطفال يا عقال، واستحياء العذارى يا ذوي الطهارى؟

ثم هل للأب الفاضل أن يفسر لي ما استعصى على فهمي القاصر، كيف ميز العبريون بين العذارى والثيب؟ هل أخضعوا كل امرأة وفتاة إلى طبيب شرعي ليتلمس غشاء البكارة فإن وجد عفا وإن لم يجد أمر بقتلها؟

هذه كانت أخلاق موسى هذا الرجل الحليم جداً، وهذه هي الأخبار التي كتبها موسى بالذات، ولكن لماذا نذهب بعيداً بالحديث عن أخلاق موسى ومجازره في حق الأغيار، لماذا لا نتكلم عن أخلاق هذا الرجل الحليم وفتكه بأبناء جلدته العبريين إذا صدقت التوراة في قولها إن موسى هو عبري الجنسية.

أم أنه كان هناك طريقة أخرى لفرز الثيب من العذارى وهو اغتصاب كل أنثى فمَنْ أدمت نجت، ومَنْ لم تدمِ ذبحت؟ هل لك يا سيدي أن تفسر لي ما عصي على فهمي المتخلف وأنت الحكيم العليم بها لا يعلمه الضالون أمثالي.

هل لديكم جواب يا ذوي الألباب؟ أريد جواباً من شريف، ولا أريد لوياً لعنق الأخلاق من حقير. فإننا سئمنا واشمأزت نفوسنا لا من سفالة السفلة، وإنما ممن هم أسفل منهم، بتبريراتهم لهذه القبائح والشنائع حين يؤطروها بهالة من القدسية، ولا يرون فيها إلا أعمالاً من أعمال البر، التي يأمر بها الرب فأي رب مجرم هو هذا الإله؟ إنه إله الغش والاحتيال، إله القتل والإجرام، إله الخساسة والنجاسة.

إنه إله الفخ الذي حدثنا عنه أحيقار في مثله الشهير حين سأل العصفور للفخ: لماذا تفتح يديك هكذا إلى السماء؟ قال الفخ: إني أصلي إلى الرب، فقال له العصفور: ولما هذا الصوف الذي تمسحت به؟ قال الفخ: ألبسُ الصوف لزهدي وتصوفي، ثم قال العصفور: وما هذا الفتات الذي في فمك؟ قال الفخ: هو خبز التقدمة أثناء الصلاة، إنه الخبز الذي أقدمه قرباناً للمحتاجين، ألست جائعاً؟ فاقترب العصفور من الفخ ليتناول الطعام، فأطبق عليه الفخ، فصاح العصفور وهو يئن بين قبضتي الفخ: إذا كان التموه بالصوف تصوفاً، وإذا كانت هكذا صلاتك، وإذا كانت هذه تقدمتك، فبئس الرب الذي أنت تعبده. وكذلك نحن نقول إذا كانت هذه المجازر أوامر من الرب فبئس هذا الرب وبئس هذا الدين الشرير. لعمري أدين بدين الشيطان، ولا أُدين لإله هو أشرُّ من إبليس.

سيدي القارئ نعود إلى موسى والسؤال يبقى:

هل هذا هو موسى الرجل الحليم جداً؟ فنِعْمَ الحُلم من هذا الموسى، ونِعْمَ العدل من هكذا رب رئيس مافيا، يأمر بقتل الأطفال واستلاب العذارى. حقيقة هنا، وربما هنا فقط، يصح المثل القائل اتّقِ شرَّ مَنْ أحسنتَ إليه، وهذا هو موسى الذي أحسن إليه أهل مدين وزوَّجوه ابنتهم، وحموه أربعين سنة هكذا فعل بهم، وكذلك قتلوا النبي بلعام بن بعور (فغور) السوري ذلك الرجل

عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما.
لاويين 19:20

ولكن أبا موسى كسر وصية الله وتزوج عمته وأنجب منها موسى وهذا طبعاً حرام.

وبالنتيجة يكون موسى ابن حرام كتحصيل حاصل كما أسلفنا.

وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى.
سفر الخروج 20:6

على أي حال إن أبشع من سلوك موسى في الإجرام والقتل هو التصديق بنبوة موسى، والتسليم بنزول الوحي عليه. والمؤسف والمحزن والمؤلم والمعيب أيضاً أن يعيش إنسان حضارة اليوم مخدراً بأفيونات توراتية أكل الزمان عليها وبال. هلوسات خرّف بها أكثر شعوب العالم تخلفاً. واليوم وبعد مرور أكثر من ألفي سنة لا زلنا بكل أسف نتجاهل كل تلك الحضارات القديمة، التي حضارتنا اليوم مدانة لها بتقدمها، ونتعلق بهذا التخريف والانحطاط الأخلاقي ونجبر أبناءنا وبناتنا أن ينسجوا على هذا النول البالي الذي لم يصلح لستر عيوب من يتدثر به.

سيدي القارئ، لا زلنا في سيرة النبي موسى وقضية الخروج، ولابد أن نعود ونسأل ثانية: ما هو الدافع أو السبب الذي حمل موسى لادعائه النبوة؟

الحقيقة أن الجواب على هذا السؤال على ما نراه، أن هناك احتمالين يستحقان الدراسة.

الاحتمال الأول رغم حججه القوية إذا سلمنا بصحة ما ورد في التوراة، إلا أن الاحتمال الثاني هو الأرجح منطقياً، وبداية لابد لنا من أن نأتي على الاحتمال الأول لأنه استنتاج طبيعي من معطيات التوراة، ومن ثم نحكم العقل ونأتي على الاحتمال الثاني.

أما الاحتمال الأول وهو أن موسى كان فاراً من وجه العدالة المصرية بتهمة جريمة القتل العمد ونتيجة لهذا الفرار تغرّب إلى أرض مدين، وبالتالي

العدد 22: 9 ـ 24: 25 وللعلم إن الصغير دائماً يطلب البركة من الكبير، ولو لم يكن بلعام أخير وأكبر من كل العبريين لما طلبوا منه البركة.

هذه كانت أخلاق موسى هذا الرجل الحليم جداً، وهذه هي الأخبار التي كتبها موسى بالذات، ولكن لماذا نذهب بعيداً بالحديث عن أخلاق موسى ومجازره في حق الأغيار، لماذا لا نتكلم عن أخلاق هذا الرجل الحليم وفتكه بأبناء جلدته العبريين إذا صدقت التوراة في قولها إن موسى هو عبري الجنسية.

وهنا لابد لنا من أن نسأل: أين كانت أخلاق هذا الموسى وحلمه الرفيع، وأين كانت إنسانيته عندما أمر بقتل ثلاثة آلاف من العبريين (خروج32:27) الذين تندموا من الخروج ويئسوا من تعاسة التيه والتنقل في الصحارى أربعين سنة حتى هلك جميع من خرج من مصر باستثناء يشوع بن نون وكالبه بن يفنه.

هكذا يخبرنا سفر الخروج 32:27 ـ يأمر موسى الأخ بقتل أخيه، والابن يقتل أباه، والأب يقتل ابنه، لا بسبب خطأ ارتكبوه، إنما لخطأ ارتكبه هارون أخو موسى، ومع هذا، لا هارون ولا ذووه أصيبوا بأذى، وإنما ثلاثة آلاف شخص ممن أحسوا بالخديعة وأعربوا عن أسفهم لخروجهم من مصر هم الضحية! أليس في هذا أمر عجاب يا أحباب.

فهل حقاً بعد هذه الأمور يجوز القول إن موسى كان ذاك الرجل الحليم والحليم جداً كما تصفه التوراة، أم أن الله ينزل الوحي على المجرمين، والقتلة، والفارين من وجه العدالة، وأبناء الحرام؟

نعم يا سيدي، موسى وقبل كل شيء، وقبل أن يكون مجرماً وفاراً من وجه العدالة، فهو ابن حرام، وأنا لا أتجنّى عليه باطلاً أو أتهمه زوراً، وإنما هو ابن حرام بتشخيص التوراة وعلى ذمتها، حيث تؤكد التوراة أن أبا موسى تزوج من عمته، وأنجب منها موسى، وهذا طبعاً حرام كتحصيل حاصل لأن الشرع والناموس يقول:

6 ـ لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة أنا الرب..

12 ـ عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك.

لاويين 18

عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما.
لاويين 20:19

ولكن أبا موسى كسر وصية الله وتزوج عمته وأنجب منها موسى وهذا طبعاً حرام.

وبالنتيجة يكون موسى ابن حرام كتحصيل حاصل كما أسلفنا.

وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى.

سفر الخروج 6:20

على أي حال إن أبشع من سلوك موسى في الإجرام والقتل هو التصديق بنبوة موسى، والتسليم بنزول الوحي عليه. والمؤسف والمحزن والمؤلم والمعيب أيضاً أن يعيش إنسان حضارة اليوم مخدراً بأفيونات توراتية أكل الزمان عليها وبال. هلوسات خرّف بها أكثر شعوب العالم تخلفاً. واليوم وبعد مرور أكثر من ألفي سنة لا زلنا بكل أسف نتجاهل كل تلك الحضارات القديمة، التي حضارتنا اليوم مدانة لها بتقدمها، ونتعلق بهذا التخريف والانحطاط الأخلاقي ونجبر أبناءنا وبناتنا أن ينسجوا على هذا النول البالي الذي لم يصلح لستر عيوب من يتدثر به.

سيدي القارئ، لا زلنا في سيرة النبي موسى وقضية الخروج، ولابد أن نعود ونسأل ثانية: ما هو الدافع أو السبب الذي حمل موسى لادعائه النبوة؟

الحقيقة أن الجواب على هذا السؤال على ما نراه، أن هناك احتمالين يستحقان الدراسة.

الاحتمال الأول رغم حججه القوية إذا سلمنا بصحة ما ورد في التوراة، إلا أن الاحتمال الثاني هو الأرجح منطقياً، وبداية لابد لنا من أن نأتي على الاحتمال الأول لأنه استنتاج طبيعي من معطيات التوراة، ومن ثم نحكم العقل ونأتي على الاحتمال الثاني.

أما الاحتمال الأول وهو أن موسى كان فاراً من وجه العدالة المصرية بتهمة جريمة القتل العمد ونتيجة لهذا الفرار تغرّب إلى أرض مدين، وبالتالي

تعرف على يثرون أو رعوئيل الذي أعطاه ابنته صفورة، وبحكم هذه القرابة بين موسى ويثرون اتفقا على ادعاء موسى بالنبوة لتزعم العبريين. وحيث إن موسى لا يستطيع الظهور أمام المصريين الذين يطلبونه بجريمة القتل العمد، لذلك ورط العبريين بالسرقة وقال لهم:

هكذا يقول السيد الرب إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب، يقول تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين.

سفر الخروج 3:22

والحالة هذه تورط العبريين بالسرقة، فأصبح القاسم المشترك بين العبريين وموسى هو الفرار من وجه العدالة. فالعبريون لم يستطيعوا الرجوع إلى مصر لأنهم سرقوا المصريين وموسى فار من وجه العدالة، لأنه قتل رجلاً مصرياً، أما ادعاء موسى بأنه كان يذهب إلى فرعون مصر ليستأذن منه بأن يطلق شعبه، فهذا الكلام غير مقبول، ولا يقتنع بهذا المنطق أي عاقل، لأن التوراة تؤكد على فرار موسى من مصر والحالة هذه يعني أن موسى إلى مدين كان يذهب بين الحين والآخر، ويتلقن من حميه يثرون سياسة تسييس العبريين الذين كانوا بين الحين والآخر يعربون عن ندمهم على الخروج وكثيراً ما كانوا يشدون الرحال للعودة إلى مصر. أما الضربات العشر وكنا قد أشرنا إليها وهي من أكثر القصص سذاجة، وليس فيها أي منطق، وأخيراً استطاع موسى بحكمة يثرون أو بحكمته أن يخرج العبريين من مصر، متبعاً سياسة الترغيب والترعيب فمن يُطعْ يعده بأرض الميعاد جنة تفيض لبناً وعسلاً، ومن تذمر عمل السيف في رقبته كما شاهدنا، فكان يثرون يدبر ويخطط لموسى وعندما كان يستعصي أمر عليه كان يذهب إلى حميه يثرون ليستشيره ويقول للعبريين بأني ذهبت إلى فرعون مصر وأحياناً كان يقتضي الأمر بأن يأتي يثرون بنفسه إلى الشعب ويحل المشاكل المستعصية على موسى كما حدث ذات مرة.

وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب، فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع إنك تكل أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً، لأن الأمر أعظم منك لا تستطيع أن تصنعه وحدك، الآن استمع لصوتي فأنصحك فليكن الله معك، كن أنت للشعب أمام الله، وأخيراً استمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال يثرون لموسى.

سفر الخروج 18:24

هذا كان أحد الاحتمالات في تزعم موسى للعبريين وادعائه النبوة، هذا لو أخذنا بمعطيات التوراة على أساس أنها أخبار صحيحة ولاسيما زعمها من أن موسى هو عبري الجنسية وليس مصرياً، ولكن على ما أرى لا التوراة صادقة في ما ترويه، ولا هذا الاحتمال أرجحه لأن الاحتمال الثاني هو الأصح وهو ما ذهب إليه أشهر من عني بهذه الدراسات ومنهم أيضاً اليهودي سيغموند فرويد. إذاً الاحتمال الثاني يقول:

2 ـ إن حقيقة موسى قد تكون على غير ما وردت في أسفار التوراة والتي تروي بأن موسى كان لقيطاً وانتشلته ابنة فرعون لأنها تركيبة مقتبسة من قصة سركون الأكادي التي سبقت عهد موسى بأكثر من ألف سنة[1].

وهنا يحتمل أغلب الظن أن موسى قد يكون فرعونياً مصري الجنسية وربما ضابطاً في الجيش المصري، إذ كلف بمهمة إخراج العبريين من مصر كما طرد الهكسوس (الملقبين بالرعاة) الذين قدموا من آسيا وغزوا مصر على أيام إبراهيم بن تارح أي نحو 1800 ق.م عندما قام عليهم الفراعنة وطردوهم من مصر في الوقت الذي طردوا فيه العبريين أي بعد دخولهم أرض مصر بحوالي أربعمئة سنة ثم إن اسم موسى هو مصري ويعني الطفل، وقد ورد اسم موسى في تركيب أسماء الكثير من أسماء الفراعنة مثل تحوت موس (تحوتمس) أي تحوت الطفل وأمونموس أي أمون الطفل وأكد على هذا المذهب الكثير من المعنيين

---

1 - انظر دراسات توراتية صفحة 62.

بهذه القضية، انظر كتاب موسى والتوحيد ص9/ سيغموند فرويد/ وكذلك اليهودية والغيرية ص42 ـ البيرتودا نزول/ دار الأوائل/ وفي خروج 19:2 قصة تعرف موسى على بنات رعوئيل إشارة إلى كون موسى مصري الجنسية في قولهم لأبيهم إن رجلاً مصرياً أنقذهم من الرعاة، والتوراة لا تذكر كيف عرفت بنات رعوئيل أن موسى مصري الجنسية والتوراة لا تذكر شيئاً بهذا الخصوص ولكن لابد من أن بنات رعوئيل تعرفت على جنسية موسى المصرية من خلال ملامح وجهه ولون بشرته، ولكنْ؛ بأي لغة تفاهم هذا المصري مع تلكم المديانيات فهذا لا يهم، وليبقى سراً لا يعلم مراده إلا الله كالأسرار الكثيرة التي زينت صفحات المنزلات.

أما المهم في الأمر كما نرى هو أن العبريين طردوا من مصر ولاسيما أن التوراة تذكر بأنه قام ملك جديد في مصر فقال لشعبه:

ها بنو إسرائيل أكثر منا، وأعظم قوة، فلنتأمر عليهم لكي لا يتكاثروا وينضموا إلى أعدائنا إذا نشب قتال ويحاربونا.. 13 فتفاقم عنف استعباد المصريين لبني إسرائيل 14 ـ وأتعسوا حياتهم بالأعمال الشاقة.

سفر الخروج الإصحاح الأول.

ومما لا شك فيه لدى أي قارئ لهذه الأسطورة أن هذا الكلام فيه الكثير من المبالغة لأنه لا يمكن لبني إسرائيل أن يكونوا أكثر قوة وعدداً من المصريين كما ورد هنا، إذ كيف يدخل مصر سبعون نفساً ويتكاثرون أكثر من المصريين الذين كانوا من أكبر الإمبراطوريات آنذاك مع أن يعقوب الذي أدخلهم مصر بينه وبين موسى الذي أخرجهم لم يكن سوى ثلاث آباء. انظر عبودية بني إسرائيل في كتابنا دراسات توراتية.

ومن الدلائل الكثيرة التي تشير إلى أن المصريين طردوا العبريين طرداً نشير إلى:

عدد 4:11 حيث تؤكد التوراة أن من بين الذين أخرجهم موسى من مصر مع العبريين أقواماً أخرى غير عبرية فالقضية إذاً ليست قضية تحرير شعب

الله المختار من العبودية إنما هي قضية طرد المصريين لكل الأجانب من أرض مصر، كما أن في هذه الآية أيضاً إشارة واضحة على أسف العبريين وبكائهم بسبب الخروج من أرض مصر وبالتالي يعني أن العبريين خرجوا إما مرغمين أو مخدوعين.

تقول هذه الآية:

واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم.

عدد 4:11

ولو دققنا في كثير من آيات التوراة نتيقن أن المصريين طردوا العبريين طرداً وليس كما جاء في بعض الآيات الغبية التي تقول إن العبريين كانوا يتلهفون إلى الهروب من مصر، ولو أرادت أي جماعة في أي بلد أن تخرج من ذاك البلد فما هو المانع هل سيضعون خفيراً عند كل نفر؟ وهذه نماذج من هذه الدلائل، حيث يقول الرب لموسى: وعندما يطلقكم فرعون يطردكم طرداً من هناك بالتمام.

سفر الخروج 1:11

وكذلك في خروج 39:12 حيث خبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز مله فطير إذ لم يختمر لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا.

شواهد كثيرة وردت في التوراة لتعبر عن سياسة الفراعنة في تعجيز العبريين لدفعهم للهروب من مصر كما في خروج 1: 9 ـ 14 و5: 7 كما أن في التوراة شواهد كثيرة تؤكد على أن المصريين كانوا ينظرون إلى هذه الجماعات الرعوية نظرة احتقار كما أسلفنا فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً، لكي تسكنوا في أرض جاسان لأن كل راعي غنم نجس لدى المصريين.

سفر التكوين 34:46

يقول سيد محمود القمني: وكان آبيون مؤرخاً يكره اليهود كراهية شديدة ووصفهم بكل ما هو خسيس، وأفاد أنهم دخلوا مصر عبيداً جوعى، ثم طردوا منها بعد أن تفشت بينهم الأوبئة الناشئة عن عدم النظافة والعلاقات الجنسية غير السوية، ولم يتعلموا أي شيء متحضر من المصريين، مما أدى لطردهم خشية تفشي الداء في البلاد[1].

وتصديقاً لقول آبيون من أن العبريين لم يتعلموا أي شيء متحضر من المصريين، نستشهد بقول النبي صموئيل الذي يؤكد لنا بأن العبريين لم يتعلموا أي شيء من علوم الحضارة والصناعة حتى بعد استقرارهم في أرض الميعاد:

ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله.

صموئيل الأول 13:19.

زد على ذلك أن الكثير ممن يعنون بالخروج يذهبون إلى أن اللاويين الكهنة كانوا من المصريين، وبدليل أن السبط اللاوي هو السبط الوحيد من الأسباط الاثني عشر الذي لم يكن يحصى عادة مع العبريين، ثم إن هذا السبط هو السبط الوحيد بين الاثني عشر سبطاً الذين كثرت فيه الأسماء المصرية، كما أن هذا السبط هو السبط الوحيد الذي لم يعط أرضاً في إسرائيل وهذه الأمور كلها تعزز الرأي القائل أن أولئك اللاويين خرجوا مع موسى لمساعدته في إبعاد العبريين من مصر.

كما أسلفنا فإن أموراً كثيرة ترجح بأن موسى لم يكن عبرياً بل كان مصرياً فحتى أن الطقوس والنواميس العبرية كان موسى يجهلها، فكيف لنبي أن يجهل طقوس ديانة، ويقوم بتوجيههم إلى هذا الدين؟ هل يعقل هذا يا سيدي؟

ففي رواية ظهور الرب لموسى عندما صارعه وأراد أن يقتله، نجد صفورة زوجة موسى ابنة يثرون الكاهن الوثني أسرعت وقطعت غرلة ابنها ومست

---

1 - رب الزمان صفحة 34

قدمي الله قائلة إنك عريس دم لي فعفا عنها وعنه الله بعد أن ختنت صفورة ابنها (خروج 4: 24 ـ 25) وكلمة الختن وهي من أصل آرامي تعني العريس، يفهم من هذا أن موسى لم يكن يتقن جيداً النواميس اليهودية كما كانت تتقنها زوجته صفورة ابنة الكاهن الوثني يثرون. ثم إن موسى حتى اللغة العبرية لم يتعلمها بطلاقة وهذا ما جعله يعتمد على أحد العبريين للترجمة عند الحاجة وهو هارون أخوه المزعوم، وربما موسى لم يكن يعرف كلمة واحدة عبرية، والتوراة تزعم أن موسى اعتمد على هارون لأن لسانه كان ثقيلاً وهي توحي بهذا الزعم أن موسى كان أقلث، أي أنه كان يتأتئ وهذا تضليل.

فقال موسى للرب اسمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا منذ كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان.

سفر الخروج 4:10

وعلينا أن نعلم أيضاً أن موسى عند إبعاده العبريين عن مصر خلال أربعين سنة من التيه في البرية لم يكن يقيم مع العبريين بل كان مقيماً في مصر مع زوجته وأبنائه وكان يقول للعبريين سأصعد إلى الجبل لألتقي الرب ويحذرهم من الاقتراب إلى هذا الجبل تحت لعنة الموت أو التهديد بالقتل.

ولا يصعد أحد معك وأيضاً لا يرَ أحد في كل الجبل. الغنم أيضاً والبقر لا ترع إلى جهة ذلك الجبل.

خروج 3:34

وكان يغيب شهوراً في مصر وعندما كان يتفقدهم من وقت لآخر لئلا يعودوا إلى مصر ثانية كان يجد بعضهم يشد الرحال للعودة إلى مصر.

فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

(عدد 4:14)

وبقي موسى يرغبهم ويرعبهم في البرية أربعين عاماً، يعدهم بأرض الميعاد أرض تفيض لبناً عسلاً لمن أطاع، ويعمل السيف في رقاب من عصوا، إلى أن أفنى كل الجيل الخارج من مصر ولم يدخل أرض كنعان سوى يشوع بن نون

وشخص آخر يدعى كالب، أما من دخل مصر فكانوا من الجيل الذي لم يرَ مصر، حيث ولدوا جميعاً في التيه.

والسؤال ثانية، إن هذا النبي العظيم موسى، لماذا لم تكن النبوة تخرج من ذريته ولماذا سمَّى ابنه جرشوم بمعنى الغريب، أليست هذه أيضاً إشارة إلى كونه غريب عن العبريين، ثم لماذا لم يعط موسى دوراً في التاريخ العبري لأولاده جرشوم والعازر ولماذا لم يعطوا أرضاً ولماذا اختفت أخبارهم باختفاء موسى، بينما النبي هارون كان لأولاده دور محوري في تاريخ هذا الشعب؟

الحقيقة أن لعبة موسى بعصاته مع العبريين كانت تشبه لعبة الفلاح مع حماره، والقصة نعرفها جميعاً وكنا قد أشرنا إليها في كتابنا دراسات توراتية فعندما كان الحمار لا يسير إلا بخدعة، قام الفلاح بربط الجزرة بعصاته ووضعها أمام الحمار، وكلما كان يسير الحمار الجائع كانت الجزرة تسير أمامه حتى وصل الفلاح إلى القرية والحمار لم يصل إلى الجزرة، وأخيراً وصل موسى إلى غايته في إخراج العبريين من مصر ولم يصل العبريون إلى أرض الميعاد.

صحيح أن موسى لم يربط جزرة بعصاه ليسير خلفها العبريون إلا أنه عمل بنفس مضمون هذه الخطة، حيث كان عمود السحاب في السماء بمثابة هذه الجزرة نهاراً، أما في الليل فكان شخص ما يحمل شعلة نار عن بعد لتنوب عن هذه الجزرة، وهكذا كان موسى في النهار يقول للعبريين إنَّ الله كائن ضمن ذاك السحاب ليهدينا إلى أرض الميعاد، علينا أن نسير خلفه إلى أن نصل إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، وفي الليل كان موسى يقول بأن الله حمل لنا شعلة النار ليهدينا، (فوراك وراك يا معين والزمان طال أربعين من السنين).

وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم على الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب.

سفر الخروج 21:13

لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب وهم يسيرون خلفه أربعين سنة، ولم يصلوا إلى أرض الميعاد، أليس هذا الإعجاز في مقاصد الله التي نعجز عن إدراكها آلاف السنين مرت، وهذا الرب الحنون لم يوحِ لنا برسالة تفسيرية لهذه الألغاز والطلاسم السماوية.

يقول المفسرون إن الله أَتَاهَ العبريين أربعين سنة عقوبة لهم لأنهم أخطؤوا إلى الرب، وعندما سألنا وما هي هذه الخطيئة المميتة التي أفنت وأبادت كل من خرج من مصر حتى جاء الجيل الجديد، وأدخلهم هذا الرب الرحيم إلى أرض الميعاد، يقول المفسرون: لأنهم خافوا أن يدخلوا أرض الميعاد، ثم لم يثقوا بمواعيد الله. ولكن نحن ما نعرفه جيداً أن في اليوم الأول من خروجهم من مصر لم يتجهوا إلى أرض الميعاد فأرض الميعاد تقع إلى الشرق من جاسان حيث كانوا، بينما هم اتجهوا جنوباً إلى البحر الأحمر، وتمضي السنون والعبريون هائمون في البرية، حيث أرسل موسى الجواسيس ليستطلعوا أرض الميعاد وجاؤوا بالأخبار لموسى، عندها خاف العبريون وبكوا جميعاً فغضب الرب عليهم وأرسل الحيات التي أماتت منهم الكثير، ثم إن هذا الرب الذي كان ممتطياً صهوة السحاب هل كان يقودهم إلى فناء وضياع؟ إذاً كيف للمريدين أن يثقوا بهذا المرشد المخادع الذي أشبه ما يكون ببومة تقود مقتفيها إلى خراب.

ولكن هل تعلم يا سيدي القارئ بأية لغة كان يتكلم هذا الـ موسى مع الله حين كان يناديه من بين الغيوم؟ هل سألت نفسك هذا السؤال ذات مرة؟ إذاً لا تستغرب يا سيدي إن قلت لك إن تلك اللغة الإلهية لم يكن يتقنها أو يفهمها إلا من كانت فيه روح فاضلة موهوبة من العلي، أما تلك اللغة فكانت لغة الطبيعة يا سيدي، فحين كانت ترعد الغيوم، كان يقول موسى هذا هو صوت الله ينذركم فيرتعب الشعب ويرضخ لأوامر موسى.

وكان صوت البوق يرتفع جداً وموسى، يتكلم والله يجيبه بصوت الرعد.
سفر الخروج 19:19

فاضطربوا ووقفوا على بعد وقالوا لموسى كلمنا أنت فنسمع ولا يكلمنا الله لئلا نموت.

سفر الخروج 19:20

إن ما ورد في خروج 19:19 وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت الرعد جاء مبتوراً في بعض الطبعات العربية والأجنبية حيث أسقطت كلمة الرعد في بعض الطبعات وبقيت كما هي في طبعات أخرى هكذا: «موسى يتكلم والله يجيبه بصوت».

ففي الطبعة الهولندية طبعت سنة 1951 ـ 1951 — Nederlands Bijbel Genootschap. Haarlem، جاءت بالشكل التالي وغير مبتورة:

"mozes sprak en God antwoordde hem in de donder"

«موسى يتكلم والله يجيبه بالرعد».

وفي طبعة شهود يهوى 1992 جاءت على الشكل التالي (مبتورة):

".mozes spreken waar op de ware God hem antwordde met een stem"

«موسى يتكلم والله يجيب بصوت».

يجمع المؤرخون الذين عاشوا في زمن قريب نسبياً من زمن خروج العبريين من مصر على تقزيم العبريين وتكذيب توراتهم الذاهبة إلى تعظيم هذه الجموع الرعوية التي لم تكن أكثر من شماطيط متشرذمة ومنقسمة على بعضها.

إن هذه الجموع الرعوية خرجت من مصر دون رغبة منها بل بحيلة جهنمية محكمة دبرها الفراعنة، وهذا ما حملهم دائماً لأن يعربوا عن أسفهم، وندمهم من الخروج إلى حد البكاء على مصر وأيام مصر وخيرات مصر، حيث كانوا يعيشون بنعيم أسيادهم المصريين وحين خرجوا إلى التيه ماتوا إما جوعاً أو أصبحوا طعاماً للضواري وهذا كلام التوراة:

فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل، وقالت لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط، بالسيف تصير

نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

سفر العدد 14: 1 ـ 4

ومن المعقول جداً كما يرى البعض أن موسى قد قتل على يد هذه الجماعة التي أخرجت من مصر بمكر في إحدى ثورات غضبهم ويأسهم مما لاقوه من خدعة في إخراجهم وعدم تمكنهم من الرجوع. وتؤكد التوراة في كثير من آياتها أن من بين الخارجين مع العبريين من مصر كان لفيف من الأمم كما أسلفنا.

وأخذت هذه الجماعة تقاوم موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسين، رؤساء الجماعة مدعوون للاجتماع ذوو اسم فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما، إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب.

سفر العدد 3:16

وإذا لم يتوفر ماء للشرب اجتمعوا على موسى وهارون وخاصموا موسى قائلين له: ليتنا هلكنا كإخواننا الذين أهلكهم الرب لماذا قدتما شعب الرب إلى هذه الصحراء؟ لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ لماذا أخرجتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان القاحل؟ حيث لا زرع فيه ولا تين ولا كرم ولا رمان ولا ماء للشرب.

عدد 20: 2 ـ 5

والذي يحملنا إلى الظن أن موسى ربما قتل على يد هذه الجماعات الغاضبة، هو تأكيد التوراة على أن موسى كان في كامل صحته وحتى أن عيونه لم تضعف ولا شبابه فارقه حتى اختفى فجأة وقالوا إن موسى مات، ودفنه الله بيده ولم يعرف أي إنسان قبره لأنه لم يحضر أي إنسان موته.

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه الله في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فاغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته..

تثنية 5:34

على أي حال، إن قتل موسى، أو مات، أو عاد إلى مصر، فليس هذا بيت القصيد، وإنما قصدنا هو أن موسى أخرج العبريين بحيلة جهنمية.

وهكذا تمكن موسى من الاحتيال على العبريين في إخراجهم والتخلص منهم مطهراً المجتمع المصري من تخلفهم وتلوثهم، هذا الرجل الفولاذي الذي أخرجهم كان موسى فكنت تجدهم من خلال تنقلهم في الصحراء يموتون أحياناً من الجوع أو من العطش، وأحياناً أخرى يموتون من الوباء والأمراض بسبب الأوساخ، وأحياناً يموتون من لسع الأفاعي والعقارب والوحوش المفترسة.

وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف فأرسل الله عليهم الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل.

عدد 21:5

وأحياناً أخرى كنت تجد الأمراض والأوبئة تتفشى بين هذه الغوغاء كالجرب من قلة النظافة، لندرة المياه، وأمراض أخرى تتولد بسبب الجوع وسوء التغذية وزمهرير البرد القارص، فيموت منهم مجموعات أحياناً تبلغ الآلاف بل عشرات الآلاف، وخاصة تلك الأمراض الناتجة عن سوء العلاقات الجنسية. فكان الذين ماتوا بالوباء في إحدى المرات أربعة عشر ألفاً وسبعمائة ضحية.

(عدد 16:49)

ومرة أخرى كان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً.

عدد 25:9

ولا أعلم إذا كان هذان الخبران لحادثة واحدة جاء أحدهما يناقض الآخر أم أن هذين الحدثين مختلفان.

وحين كانت تموت تلك الجماعات بسبب الأمراض المتأتية من سوء العلاقات الجنسية، كانوا يحملونها لخطيئة الزنا التي أغضبت الله فعاقبهم بالموت.

ولكن هذا الشعب المسكين الساذج الذي سئم من تعاسة الخروج مما لاقاه من هلاك وشقاء وفناء، عندما كان يعرب عن ندمه من الخروج كان على رجل الله موسى الحليم جداً أن يأمر بقتله حتى أن إحدى تلك المجازر التي ارتكبها هذا الرجل الحليم جداً بحق هؤلاء المساكين بلغت ثلاثة آلاف ضحية.

ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.

سفر الخروج 32:28

هذه كانت الأسباب التي اكتنفت خروج العبريين بقيادة موسى بعد أن وعدهم بمسيرة ثلاثة أيام في البرية ليصلوا إلى أرض الميعاد بحسب (خروج3:5) إلا أنهم استغرقوا في سفرتهم هذه أربعين سنة، ولماذا؟ هل كان يهوى يقودهم إلى ضلال، أليس الله الذي أنقذهم من العبودية وأخرجهم من مصر بيد قوية ليهديهم إلى أرض الميعاد؟. فلماذا إذاً تاهوا أربعين سنة في البرية حتى مات جميع من خرج من مصر باستثناء موسى الذي عاد أدراجه، ولم يدخل أرض الميعاد إلا يشوع بن نون والجيل الجديد الذي دخل مرغماً لا بطلاً. هل أخرج الله شعبه من مصر ليقبرهم في أرض التيه؟ إذا لم يكن كذلك فلماذا إذاً أخرجهم من أرض العبودية وقبرهم في البرية؟

ولكن باطل الأباطيل هو ادعاء اليهود بأن موسى هو الذي أعطاهم المن أو ما يسمى بالخبز السماوي، لأن الطبيعة ما زالت حتى اليوم تعطي هذا المن في ظروفه المناسبة، وهو عبارة عن تعرق عسلي تفرزه بعض الأشجار ويجف جفاف الصمغ له مذاق حلو ذو نكهة طيبة وطعم لذيذ، وأفضل أصنافه كانت تحضر بالعراق، إذاً الأرض هي التي كانت ولا زالت تمن علينا بهذا المن، وليس لموسى أو غيره أي منة في هذا المن، ولكن موسى ساس العبريين بالطريقة الشيطانية التي اتبعها إبليس ذات مرة مع آدم، وهذا كان عندما سقط آدم بالخطيئة وطرد من الجنة إلى هذه الأرض، وحيث إن آدم لم يتعود بعد على الظلام وكان هذا مخيفاً له فجاء إليه الشيطان مستغلاً جهل آدم في تناوب الليل والنهار ـ الظلام والنور فقال

الشيطان لآدم: ما بالك يا حبيبي آدم إني أراك كئيباً وحزيناً جداً فقال آدم مندهشاً: من أنت وكيف عرفت اسمي وماذا تريد مني؟ أجابه الشيطان لا تَخَفْ يا آدم فأنا الرب إلهك في هذه الأرض، وليس لك إله غيري فقال آدم: إن كنت كما تدعي فأنِر علي وأنقذني من هذه العتمة الرهيبة، فقال الشيطان ولكن من لم يؤمن لا يبصر النور فقال آدم نعم يا ربي سمعاً وطاعة فها أنا آمنت وتيقنت بأنك إله النور فأنِر علي إذاً. فقال الشيطان لآدم: حسناً قلت، فالآن تستطيع أن تنام مطمئناً وعندما تستيقظ ستجد المعجزة، فنام آدم وعند الصباح استيقظ، وإذا بالنور يملأ قلبه إيماناً، فقال آدم: حقاً أنت إله النور، ومن قال غير هذا كفر. ولكن عند المساء غابت الشمس وأثارت العتمة مخاوف آدم ثانية فاغتاظ آدم وكفر وذهب إلى الشيطان متذمراً، قال له الشيطان: ما بالك يا آدم، فقال آدم: لماذا أظلمت عليَّ ثانية، فقال له الشيطان: اسمع يا آدم ولأني وجدتك ضعيفاً أمام التجارب وها قد انهار إيمانك ونسيتني، لذلك قررت أن أقيدك بقيود ظلام أبدية. فذعر آدم وقال: اللهم سامحني وأنت الغفور الرحيم والآن ما عساني أن أفعل من أجل رضاك، فقال له الشيطان: اعمل ما هو مستقيم في عيني، فقال آدم: وكيف فقال الشيطان: اذهب وصلِّ لي وعندما أجد أن إيمانك ثابت سأنير عليك، فذهب آدم وصلى كل الليل جاثياً إلى أن أشرقت الشمس كالعادة، وفرح آدم للنور ثم حزن للظلام مرة أخرى، وهكذا وعلى هذا المنوال، عندما كانت تغرب الشمس كان الشيطان يقول لآدم: ها أنت لم تعمل المستقيم في عيني، لأنك انزحت من تحتي لتنبطح تحت آلهة أخرى، وها أنا أقيدك بقيود ظلام أبدية، وما أن تشرق الشمس حتى يأتي الشيطان إلى آدم ويقول له: إنك ابني المدلل، لهذا وجدت نعمة في عيني. هذه كانت سياسة موسى مع العبريين فإذا مات الشعب من الجوع والعطش والأمراض ومن افتراس الحيوانات ولسعات الأفاعي، كان موسى يقول: لأنكم شعب صلب الرقبة وأخطأتم إلى الرب وهذا جزاؤكم. وعندما تفرز الطبيعة المن أو عندما كانوا يجدون في طريقهم نبع ماء بعد عطش قاتل، كان موسى يقول لهم: إني طلبت من الرب هذا، وها أنتم تجدون نعمة في عينه.

هجرة إبراهيم الخليل

من قصص التخبط العشوائي لملقن الوحي التوراتي قصة إبراهيم الخليل.

أكثر من ثلاثة آلاف سنة مرت، وغربال المنقحين التوراتيين يتماوج برقصات وهزات لم تهدأ، وهي تتناغم مع العواطف الإيمانية لغربلة التوراة وتنقيحها من لوثة الحطات والتناقضات والركاكة والسذاجة والعيوب التي لا حصر لها، ولا زالت هذه الصفحات مشبعة بهذه الأخطاء والتناقضات منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ومقصات المطهرين لم تفتح فمها إلا لتغلق وتقص وترقع وتنسخ وتمسخ في الأصل. وبالرغم من كل هذا، لا زالت صفحات التوراة متخمة بهذه الحطات والأخطاء. فلماذا لم ينضب هذا المعين من العيوب؟ الحقيقة أن الجواب بسيط جداً. وهو أنه لا يوجد صفحة واحدة من صفحات التوراة تخلو من الأخطاء من يوم دوّنها أناس جهلة، وغالباً ما كانوا من الرعاة الأميين الثرثارين الذين لا يفقهون، بل مهووسون بعقدة الوعد والوعيد. ولو عدت إلى دراسة تاريخ أنبياء يهوى لوجدت أن أغلبهم كانوا رعاة دواب إن لم يكونوا جميعاً كذلك. وقد يقول قائل وما الضير في الرعاة. وماذا ينقصه الراعي؟ طبعاً هناك ضير كبير وضرر خطير وينقصه الكثير الكثير، فهل يتساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ هل يصح أن نخطف الملفان الذي أفنى عمره في البحث العلمي ونقذفه في البرية خلف الحيوانات ونأتي من خلف الدواب الراعي لنزرعه في منبر التعليم؟

ألا يفترض أن يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، أم سيزعم الأفاضل أن في عهد الآباء والأنبياء العبريين لم يكن هناك علماء.

هل يجهل إلا الجهول أن قبل إبراهيم بأجيال كان هناك علوم وعلماء درسوا الفلك، وقسموا الزمن بقوانين علمية لا زلنا حتى اليوم نعمل بها، وستبقى قوانين أبدية لا أساطير غبية كما يلقنوننا من حكايات وروايات توراتية، وجميعها ليست إلا أساطير الأولين، أم يظن مريدو التوراة أن توراتهم وأنبياءها سجاؤوا لنا بتقسيم الزمن إلى أيام وساعات وسنين وغير ذلك من أسس العلم.

هل يتساوى هذا العالم بذاك الراعي الذي عزل عن المجتمع وحيداً مع حماره بحكم طبيعة عمله، لم يجد من يكلمه حتى أصبح يكلم نفسه، إلى أن أصابه مس من الجنون وبدأ يكلم حماره رفيقه الوحيد، كما حدث للنبي بلعام حين وقع في نقاش حاد بينه وبين حمارته بعد أن حمي غضبه عليها وكان هو على خطأ وحمارته على صواب، وهذا على ذمة النبي موسى الذي أورد لنا هذا الخبر في سفر العدد، الإصحاح الثاني والعشرون،الفقرة ثمان وعشرون! هل هذا الرعاع المعتوه هو الذي جاء لنا بالأبجدية والعلوم الذرية والبرمجية، أم أن العلوم التوراتية والإيمانية التي فيها بؤس ومنفعة للعالمين تغنينا عن كل هذه العلوم التي هي من إفرازات وبدع الوثنية والأمم الشريرة. في عصرها الجاهلي.

سيدي القارئ، والسؤال يتكرر رغم تقطيع وترقيع النساخين المساخين للكثير الكثير من حطات التوراة فلماذا لم ينضب هذا المعين من العيوب؟

الحقيقة أني أقول وبكل بساطة، وهو لأنه لا يوجد صفحة واحدة من صفحات الوحي تخلو من الأخطاء من يوم دوّنها أناس جهلة لا يصلحون إلا للسير خلف الدواب حتى أصبح العالم يسير خلفهم وأصبح الإيمان بالخطأ الدارج خيراً من الصواب الغائب، وها نحن نسرد إحدى تلك الروايات الساذجة وهي قصة إبراهيم أول الأحبار، وهجرته من أور الكلدان إلى كنعان ـ أرض الميعاد.

إن من يقرأ قصة هجرة إبراهيم في التوراة إذا تجرد هذا القارئ من عاطفته الدينية التي عادة تفرمل عقله، وتصادر حقه في التفكير أو إذا نسي هذا القارئ العزيز للحظة واحدة أنه يقرأ في كتاب مقدس معصوم فحتماً سوف

يستنتج بأنه يقرأ قصة كتبت بقلم راوي محشش أو سكير أثملته الخمر التي صادرت الرزانة من عقله حتى أخذ يسرد قصة من نسيج خيال معتوه أصابته الهلوسة فهو لا يعي بما يهذي. نعم إلى هذه الدرجة من التخبط تنحط هذه القصة الركيكة والغبية، وبداية وقبل التوغل في خربطات وخبطات التوراة في قصة سيدنا إبراهيم، يجدر بنا كمقدمة لهذه القصة التحفة الفريدة أن نتعرف على موطن هذا الخليل، وإن كنا لا نستطيع أن نستقر على رأي في تحديد موطن هذا الحبر بسبب معطيات التوراة المتناقضة حول موطنه الأصلي. ولكن ما هو متعارف عليه تقليدياً أن موطن إبراهيم الخليل هو أور الكلدان وهذه أول إشارة من التوراة تقول بأن موطن إبراهيم هو أور الكلدان، ومنها كانت انطلاقته الأولى وهذا ما جاء في سفر التكوين 11: 27 ـ 31: وهذه مواليد تارح. ولد تارح إبرام وناحور وهاران ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدان..

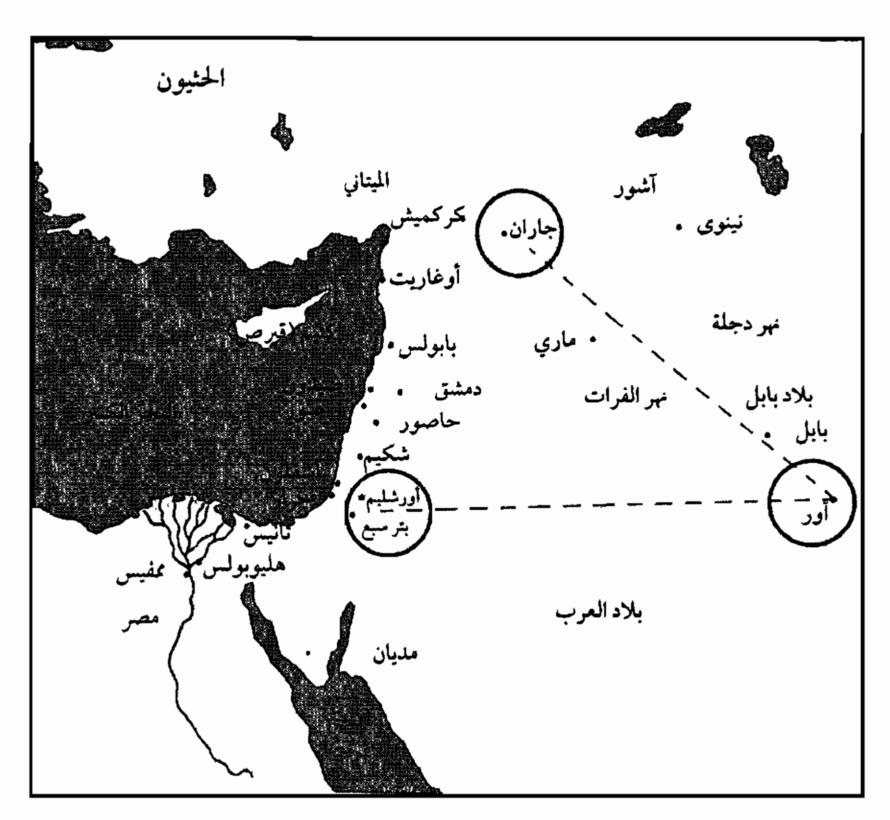
وأخذ تارح إبرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة إبرام ابنه فخرجوا معاً من أور الكلدان ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حران وأقاموا هناك.

إذاً أرض ميلاد إبراهيم وموطنه أور الكلدان، ولكن بعد هذه الإشارة من التوراة بكون أور الكلدان موطن إبراهيم، تفاجئنا التوراة بأن مدينة حران هي موطن إبراهيم وموطن عشيرته وأجداده، وهذا ما جاء في الإصحاح التالي مباشرة:

وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض، فذهب إبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان إبرام ابن خمسة وسبعين سنة لما خرج من حران.

سفر التكوين 12: 1 ـ 4 وانظر كذلك تكوين 27: 43 و29:4

هذه الشواهد الثلاثة من سفر التكوين، تؤكد على أن حـران هـي مـوطن إبراهيم وموطن أهله وعشيرته، أما سفر التكوين 24: 4 يسمِّي موطن إبـراهيم آرام النهرين كما يسميها مدينة ناحور، ونـاحور هـو أخـو إبـراهيم، ولكـن آرام النهرين تبعد عن أور الكلدان، كما تبعد عن حران بما يقارب السبعمائة كيلـومتراً / انظر الخريطة/ .



خريطة هجرة إبراهيم

هكذا تفاجئنا التوراة وتقفز بنـا مـن مـوطن إلى مـوطن، ومـن مدينـة إلى مدينة، دون أن تعتمد على رأي، وبعد أن تعودنا على هذه المفاجآت مـن التـوراة عجزنا عن تحديد موطن إبراهيم، وأهله وعشيرته، وحتى تزيـد هـذه التـوراة في الطنبـور نغـماً، تـسمي مـوطن إبـراهيم أحيانـاً فـدان آرام، وهـذا مـا جـاء في

تكوين 20:25 و5:28. إذاً فدان آرام، أو آرام النهرين، أو أي آرام، أليس إبراهيم آرامياً تائهاً، إذاً ما الضير إن كان موطنه آرام دمشق، أو آرام بيت راحوب، أو آرام بيت صوبا، كل هذه المناطق هي مسقط رأس إبراهيم، وهذه ليست بمشكلة تؤرق مريدي التوراة، وإنما ما يؤرق مريدي التوراة مشاكل كثيرة أخرى، وأول مشكلة تصدم المفسرين من رجال الدين ومريدي هذه التوراة المنزلة بالبرشوط على جبل سيناء حين يدرسون قصة سيدنا إبراهيم، هي الحيرة التي أربكتهم في معرفة سبب هجرة هذا البطرك من أور الكلدان إلى حران، بالرغم من أنه تلقى وحياً مباشراً من الله، بأن يحمل عصاه، ويشق طريقه، من أرض آبائه في أور الكلدان إلى أرض الميعاد ـ أرض كنعان.

إذاً إبراهيم الخليل، تلقى من خليله وحياً مباشراً ودون أي وسيط، بأن يذهب إلى أرض كنعان إلى جهة الغرب، إلا أنه اتجه شمال أور الكلدان قاصداً حران، والسؤال يبقى لماذا غير هذا الخليل اتجاهه وخالف الوحي.

يقول سفر التكوين 31:11:

وأخذ تارح إبرام ابنه، ولوطاً بن هاران ابن ابنه، وساراي كنته امرأة إبرام ابنه، فخرجوا معاً من أور الكلدان ليذهبوا إلى كنعان، فأتوا إلى حران وأقاموا هناك!

وبغض النظر عن تناقض هذه الآية مع أوامر الوحي بالذهاب إلى كنعان، لكنهم أتوا حران وأقاموا فيها خمس سنوات، وبغض النظر أيضاً عن التناقض بين هذه الآية وما جاء في الرسالة إلى العبرانيين 8:11 والتي تقول إن إبراهيم لم يكن يعرف إلى أين سيذهب عندما خرج من أور الكلدان.

بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. وبنفس المعنى نقرأ في تثنية 5:26 إن إبراهيم آراميٌ تائهٌ. أي أنه لم يكن يعرف إلى أين سيذهب.

إن هذه التناقضات الكثيرة ليست لنا بيت القصيد، لأن المشكلة بالرأس وليست بالكراس، فبيت القصيد وكل ما نقصد هو نزع الحيرة المستعصية في

رؤوس دارسي الكتب المقدسة ومفسريها، حين يقولون إن إبراهيم تلقى الوحي من الله بأن يذهب إلى كنعان، ولكننا لا نعلم لماذا أتى حران وشتان ما بين كنعان وحران التي مكث فيها خمس سنوات، وقبل تبرير هذه الحيرة لابد لنا من الإشارة إلى أن المسافة بين أور الكلدان وكنعان تساوي تقريباً المسافة نفسها بين أور الكلدان وحران إلا أن حران تقع إلى الشمال، وأرض كنعان تقع إلى الغرب كما هو مبين بالخريطة.

والسؤال يبقى لماذا هاجر إبراهيم من أور الكلدان، هل حقاً كانت أرض كنعان أرض الميعاد لإبراهيم وأبنائه من بعده، أم كانت أرض الوعيد كما رأينا كيف انقبر جميع من خرج من مصر في أرض التيه؟

الحقيقة أن القول بأرض الميعاد هذا ليس صحيحاً مطلقاً فإبراهيم وابنه إسحق وحفيده إسرائيل، والأجيال والأحفاد من بعدهم وعلى مدى أكثر من أربعمئة سنة لم يستقر أي منهم في أرض كنعان، أكثر من أربعمئة سنة قضوها في العبودية في مصر ومن ثم أربعين سنة في الضياع والتيه، وقبلها الكثير من السنين قضوها بين حط وترحال من أور الكلدان إلى حران إلى أرض كنعان إلى مصر، فهل كان الوعد الإلهي لإبراهيم بأن أحفاده بعد أكثر من خمسمائة سنة سيرثون أرض كنعان.

فإذا كان من إبراهيم حتى يشوع لم يستقروا في أرض كنعان، فلماذا يقال إن الرب وعد إبراهيم وإسحق ويعقوب ومن بعده في أرض الميعاد، ولماذا لم يعد الرب مباشرة يشوع ومن بعده.

الحقيقة أن العبريين لم يعيشوا في أرض كنعان أكثر من ثلاثمائة سنة، بينما قضوا في الشتات أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، هذا إذا اعتمدنا التوراة مصدراً لمعلوماتنا. أليس غريباً أمر الله هذا الذي جعل مختاريه يعيشوا في الشتات أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة بينما أرض الميعاد لم يعش فيها العبريّون أكثر من ثلاثمائة سنة. فهل هكذا يكون الوعد الإلهي.

أما لماذا خرج إبراهيم من أور الكلدان فلنا في هذا رأي يرتكز على نصوص التوراة، وهو أن إبراهيم بما أنه كان قد تزوج من أخته ساره، وهذا أمر

معاب أخلاقياً وممنوع قانونياً ولاسيما أنه كان في عصر الأمير المثقف حمورابي، الذي كان قد ضبط بشريعته كل الأمور، ومنها أيضاً الأمور الاجتماعية، وبما أن إبراهيم كان قد امتهن الديوثية أيضاً* لذا هرب من أور الكلدان إلى حران، علّه يبتعد قليلاً عن أنظار عارفيه، وعندما لم يتمكن إبراهيمنا من الاستمرار بهذه الوضعية المغلوطة في حران أيضاً، لأنه فوجئ بأن المجتمع الحراني لا يتقبل هذه الأخلاق، لهذا نبذ من هناك أيضاً ليهرب ثانية ويبتعد وباتجاه مغاير، فاتجه إلى كنعان ثم إلى مصر ثم إلى كنعان، وهكذا قضى كل حياته بين حط وترحال وهجرة وانتقال، وهذه الظاهرة ترسخت في طبائع نسله من بعده.

وقد يذهب البعض إلى أن ما علاقة حمورابي بهذه الأمور العائلية الخاصة؟ نقول بأنه يجب أن لا ننسى بأن القوانين التي كانت تصدر عن الملك، أولاً كانت تشمل كل الشؤون، ومنها المدنية والروحية. ثانياً كانت هذه القوانين إلهية مقدسة بنظر المجتمع وكانت ملزمة قضائياً لأنها كانت تصدر عن الملك الذي كان يمثل السلطة الروحية والدنيوية، وهو وكيل الإله على الأرض. فهذا كان السبب في هجرة إبراهيم من أور الكلدان إلى حران ومن ثم إلى كنعان، وإذا توهم البعض من أن في زمن إبراهيم كانت الأمور (داشرة) أي أن الزواج بين الأخوة والأخوات كان مباحاً والتعرصة مباحة، فهذا ليس صحيحاً. انظر شريعة حمورابي الذي كان معاصراً لإبراهيم، ولكن كون تارح مع ابنه إبراهيم عندما خرجا من أور الكلدان قد يبعث على الحيرة قليلاً، لأن يرضى هذا التارح بزواج ابنه إبراهيم من ابنته سارة، حيث كانت كل النواميس والشرائع قد استنكرت هذا النمط من الزواج بين الأخوة والأخوات وقبل إبراهيم بأجيال بعيدة، إلا أن وجود تارح مع إبراهيم في حران أو هجرة الأب مع ابنه من أور الكلدان على الأرجح عارٍ عن الصحة، وهو تلفيق من الراوي للإيحاء بموافقة ورضا تارح على ابنه إبراهيم بهذا الزواج، فالحقيقة التي تبدو من معطيات

---

* انظر كتابنا الأسوأ من سادوم وعامورة: تلك الزانيات المقدسات في صفحات التوراة لدراسة تفاصيل هذه القويدة من إبراهيم صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وركبه ومن ركب له قرون الشرف لينطح بهم الأمم.

الرواية أن تارحَ لم يكن موافقاً على هذا الزواج وما يبعث إلى هـذا اليقـين أنـه في كثير من الآيات الواردة في هذه الرواية إشارات إلى عدم صحتها وعـدم وجـود تارح مع إبراهيم هذا استنتاج مـن كثـرة التناقـضات الـواردة في هـذه الروايـة ولتبيان هذه الحقيقة نشير بداية إلى الآية الـواردة في سـفر التكـوين 1:12 وقـال الرب لإبراهيم اذهب من أرضك ومن عـشيرتك ومـن بيـت أبيـك إلى الأرض التي أريك.

إننا نلاحظ في هذه الآية أولاً أن الرب لم يقل لتارح (وهو رب العائلة) اذهب بل قال لإبراهيم اذهب من بيت أبيك، أي اترك بيت أبيك، بل اترك أباك واذهب.

أما في سفر التكوين 26:11 فقد ورد بأن عمر تارح كان سبعين سنة عندما ولد له إبراهيم وفي تكوين 32:11 ورد بأن عمر تارح كان مئتين وخمس سـنوات عندما توفي في حران فإذا أسقطنا سبعون سنة عمر تارح عنـدما ولـد إبـراهيم مـن مئتين وخمس سنوات عمر تارح عندما توفي في حران، فيكـون والحالـة هـذه عمـر إبراهيم مئة وخمسة وثلاثين سنة عندما توفي أبوه تارح في حـران، ومـن ثـم خـرج إبراهيم من حران بعد موت أبيه كما يؤكد على هذا ما جاء في أعمال الرسـل 4:7 ـ وخرج إبراهيم من حران بعد موت أبيه، إذاً عمر إبراهيم مئة وخمسة وثلاثون سنة عندما خرج من حران. ولكن في سفر التكوين 4:12 ورد بأن إبراهيم كان عمـره خمسة وسبعين سنة عندما خرج من حران، وبالتالي يبقى هذا التنـاقض في الآيـات وثيقة تؤكد على تلبك الوحي وتخبطه في تنسيق هذه الحكاية الكاذبة.

هذه الأخطاء والتناقضات تحمل القارئ للاعتقاد بـ أن تارحَ لم يكـن مـع إبراهيم عندما خرج من أور الكلدانيين، وبالتالي عدم وجود تارح مـع إبـراهيم، أي عدم هجرة الأب مع ابنـه، يعنـي أن تـارح الأب لم يكـن راضـياً عـن زواج إبراهيم من أخته سارة، لذلك يصح القول هنا بـأن إبـراهيم إمـا طـرد مـن أور الكلدان ومن بيت أبيه وعـشيرته، أو كـان آرامياً تائهاً كـما جـاء في صـفحات التوراة، وحتماً لهذه الأسباب التي سقناها. ولكن هذه الجريرة التي لا ننكر جميعاً أنها من الكبائر المشينة إذا نظرنا إليها من منظار مفاهيمنـا الاجتماعيـة والدينيـة،

فالمشكلة لم تتوقف عند حدود نزوة عابرة من إبراهيم فالطامة الكبرى تتمثل في سوء أخلاق هذا الرجل الجليل الذي كان دجالاً في طبعه، وكلما اقتضت الحاجة إلى ثمن بخيس ففي سفر التكوين 2:20 و13 ـ ورد أن إبراهيم قال لزوجته سارة، في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي، وهذا معروفك الذي تصنعينه معي، وهذا كان سلاحه الذي لازم أخلاقه من يوم خرج من أور الكلدان، ورغم كونه دجالاً حفز زوجته أيضاً على هذا النهج إن لم يكن لها هي أيضاً ثلثا الخاطر في فكرة زوجها، وخطته التقويدية التي حملها معه أين حط ونط. وعندما ضاقت الحياة، وأسباب العيش مع إبراهيم، على حد زعم التوراة، وأنا لا أجدها إلا حجة واهية ـ حمل هذا الإبراهيم الشهم جداً تحفته التي لا يذبل ربيع شبابها والنادرة جداً بجمالها تلك الزوجة.. الحيزبون حملها إلى فرعون مصر ليقدمها له متاجراً بجسدها التي تصفه التوراة بالجميل جداً، وهو على ما أرى أبشع سلوك ينتهجه الإنسان، ولا أظنك تخالفني الرأي يا عزيزي. وكأن الراوي التوراتي أراد أن يقول لنا إن في كل أرض مصر لم يكن امرأة واحدة ترقى إلى جمال وصبا هذه العجوز التي تجاوزت الثمانين عاماً.

المؤسف المضحك اليوم أن في طقوس الزواج يطلب الكاهن من العريسين عند ربط القران الاقتداء بهذين السلفين الصالحين.

روى لي أحدهم وقال: لا أنسى ذلك اليوم، يوم كنت واقفاً مع زوجتي أمام الكاهن الذي كان يعقد قراننا حين قال: وأما أنت يا فلان فليكن إبراهيم مثالاً لك في الأخلاق تقتدي به، وأنت يا فلانة فكوني زوجة مطيعة في كل ما يقوله لك زوجك كما أطاعت سارة زوجها إبراهيم. وقال الراوي: وما أن انتهى الكاهن من هذا الكلام حتى أحسست بوخزة في قفاي، فقلت في قرارة نفسي لا قبح الله إلا القوادين أمثال هذا السلف الطالح ومن نهج نهجهم وأردت أن آخذ زوجتي وأترك كل هذه الطقوس، ولكنْ؛ إنه المجتمع الذي يقدس الخطأ الدارج وينكر الصواب الغائب إنه المجتمع الذي إنْ جُنَّ فيه رفاقك استغني عن عقلك.

العقد المبرم بين الله وخليله (صاحبه)

فقال الله بل سارة امرأتك تلد ابناً وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده.

تكوين 17: 19

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، فقال ها أنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده إلى هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك.

تكوين 22: 1

!!! ماذا حدث للأصحاب، ماذا أصاب الله وخليله إبراهيم، هل تندم كعادته هذا الـ«يهوى» من العهد الذي قطعه مع صاحبه إبراهيم، أم أن الشيخوخة عتمت على ذاكرة الحبرين حتى عجزا عن التذكر على ما تعاهدا ذلك العهد الأبدي، وهوبأن يبارك الله لخليله في ابنه إسحق الذي سيكون أباً لجمهور كثير؟

فكيف طلب الله من صاحبه أن يقدم ابنه إسحق محرقة على أحد الجبال؟

يزعم المفسرون أن الله امتحن إبراهيم وكان هدف الله أن لا يسقط خليله في أوحال الكفر، والخطيئة، فغرض الله كما يرى مريدو التوراة هو أن تتقوى قدرة إبراهيم على طاعة الله وتتكون له الشخصية الإيمانية الشريفة ليتبارك به وبنسله كل أمم وشعوب الأرض، فالله أخضع إبراهيم للتجربة كصائغ ماهر حين يخضع الذهب للصهر، فالنار تحرق الشوائب ويبقى

الـذهب الخـالص، وهكـذا إبـراهيم بقـي طـاهراً إذ نجـح في هـذه التجربة القاسية.

سيدي القارئ، انظر سيرة حياة الرجل الديوث إبراهيم في كتابنـا الأسـوأ من سادوم وعامورة تلك: الزانيات المقدسات في صفحات التـوراة، ودراسـات توراتية، فهل يصح هذا الكلام على إبـراهيم بعـد أن نقـرأ سـيرة حياتـه الحافلـة بالمعاصي والخساسة؟ هل يصدر هكذا كلام عن إبراهيم من إنسان نزيه وعاقل؟ وهل حقاً أن إبراهيم الخليل نجح في هذا الامتحـان منـذ أن أوحـى لـه الله بـأن يخرج من أور الكلدان إلى كنعان؟ وهل صحيح أن إبراهيم أطاع أوامـر الـوحي الإلهي؟ ألم يخالف إبراهيم أوامر الله بذهابه إلى حران بدل أن يذهب إلى كنعـان؟ وهل كان إيمان إبراهيم بخليله قوياً لا تهده النوائب؟

إذاً لماذا قال إبراهيم لزوجته عند خروجه من أور الكلدان مترجياً:

وحدث لما أتـاهني الله مـن بيـت أبي أني قلـت لهـا هـذا معروفـك الـذي تصنعين معي في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي!

تكوين 20:13

ممن كان يخاف هذا الإبراهيم إذا كان إيمانه بالله قوياً؟

وإذا كان إيمانه بالله هكذا مهزوزاً وإذا كان خائفاً على حياته لماذا خرج من أور الكلدان، هل كانـت اور الكلـدان لا تعـرف الله وخـرج منهـا إلى ديـار الله كنعان ومصر الذين يعرفون الله؟ طبعاً هذا ليس صحيحاً وفي التـوراة شـهادات كثيرة إلى أن الديار التي خرج منهـا إبـراهيم كانـت تعـرف الله أكثـر مـن مـصر وكنعان وغيرها..

ثم ما هي قصة الذبيحة والقربان الإبراهيمي؟

وهل صحيح أن إبراهيم كان يريد أن يذبح ابنه فعلاً حباً بيهوى؟

أم هي تركيبة ركيكة وساذجة كما سنرى؟

يتابع الراوي التوراتي نص الرواية فيقول:

فبكر إبراهيم صباحاً وشد على الحمار وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه، وشق حطباً لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال الله له، وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام (إسحق) فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحق ابنه، وأخذ بيده السكين، فذهبا كلاهما معاً وكلم إسحق إبراهيم أباه، وقال: يا أبي، فقال ها أنذا يا بني، فقال: هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة؟ فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني، فذهبا كلاهما معاً فلما أتيا الموضع الذي قال له الله، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب، وربط إسحق ابنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال: إبراهيم، إبراهيم، فقال: ها أنذا، فقال: لا تمد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينه، ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهويراه، حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى، ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال: بذاتي أقسمت، يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي.

سفر التكوين الإصحاح 22

ذبح الأغيار والأخيار الأعداء والأبناء، الحماقة والغباء وكل الشرور والسوء إذا صدرت عن السلف التوراتي، فهي عمل عظيم من أعمال البر والخير، وهي إرادة الله ورغبته وكل الأعمال التي يقوم بها غير هذا السلف الصالح فهي أعمال حقيرة وغير جديرة بالاعتبار اكتشاف العجلة وتقسيم الزمن

واستنباط الأبجدية وكل هذه الأعمال التي أفرزتها الحضارة السورية، فهي بدع وثنية ملوثة بالكفر، وكلها أعمال تافهة أمام الأعمال العظيمة التي قام بها إبراهيم ومن فرخ من بعده ممن كانوا في صلبه.

وفي قضية إبراهيم وذبحه لابنه يرى المفسرون عملاً عظيماً بل من أعظم أعمال البر التي قام بها إبراهيم مؤكداً لخليله على إيمانه وولائه وطاعته.

ولكن هل صحيح أن الله كان يريد اختبار حبره إبراهيم ليتأكد من صدق ولائه؟ أليس مفروضاً أن يكون هذا الإله عالماً ما في الخفايا والخبايا من نوايا؟

ثم لماذا يكون طلب هذا الرب الدموي ذبح الأبناء، ألم تكن هذه التقدمات طقوساً وثنية حرمت شريعة الله ممارستها، أم أن الله كان يجهل نص الشريعة المنسوب إليه.

سيدي القارئ، هل لك أن تأخذ أي عبرة مفيدة من هذه الرواية المهزوزة الأركان فنياً وأخلاقياً وإيمانياً. إذاً فَلْنَعُد إلى قراءة ما بين سطور هذا النص المقدس.

وكما يقول هذا النص المحبوك بحبكة إلهية متماسكة جداً، إن إبراهيم بكر صباحاً وشد على الحمار مقداراً من الحطب بما يكفي لحرق ابنه الحبيب، الذي به سر، وبعد أن قطع مسافة ثلاثة أيام، رأى الموضع المقصود من بعيد، فنقل حمل الحطب من على ظهر هذا الحيوان إلى ظهر ابنه القربان، وسار كلاهما حتى وصلا إلى الموضع، ورتب الحطب وربط ابنه، وعندما أخذ إبراهيم السكين بيده ليذبح وحيده اكتشف هذا الرب الجهول أن إبراهيم كان خليلاً وفياً، فقال هذا الرب لإبراهيم لا تمد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني.

(تكوين 22:12)

إذاً قبل الآن لم يعرف هذا الرب الجهول أن حبره وفيٌّ ومخلص ومحب، والآن علم، فنقول مبروك للرب هذا الاكتشاف الجديد الذي يستحق جائزة نوبل للسلام، حيث أنقذ هذا النسل الصالح من الانقراض، ولكنْ؛ لماذا هذا المزاح المرعب من يهوى مع حبره إبراهيم؟

هل احتار هذا الرب في اختيار تجربة أقل قساوة ورعباً من الـذبح ليعـرف هذا الـ«يهوى» أن خليله جدير بالصحبة الأبدية؟

بكل الأحوال يبقى السؤال الجاد الآن:

لماذا طلب الله من صاحبه تقـديم ابنـه وحيـده ذبيحـة؟ ألم تكـن الـذبائح البشرية طقوساً وثنية، وهي من أبشع الجرائم الإنسانية بحق الأطفـال الأبريـاء، حيث بقيت هذه المجازر اللاإنسانية يمارسها العبريون إلى أوقـات متـأخرة جـداً عن كل الأمم والشعوب الوثنية، ولا أريد الإسهاب في هـذه الوحـشية العبريـة ولكنني أكتفي بمثلين أو شاهدين على هذه المجازر بحق الأطفال.

النبي يفتاح الذي قدم ابنته الوحيدة محرقة للرب كما جاء في سـفر القـضاة الإصحاح الحادي عشر، وعلى أثرهـا نـال البركـة مـن الـرب ورأى فيـه النبـي صموئيل دليلاً على أمانة يهو في إتمام وعده بإقامته منقذاً لبني إسرائيل على يده[1].

إن أي عمل من الأعمال الإجرامية والمشينة يرى فيها المفسرون التوراتيون أعمالاً نبيلة إذا كان ممارسوها من السلف التوراتي الصالح جداً والشريف طبعـاً، أما إذا سألنا لماذا هذا فيكفي أن يقال إنه الإيمان وكفى ثرثرة.

يقول المبرر التوراتي تفسيراً لذبح إسحق وتعليقاً على نص هذه الرواية:

في الصباح التالي شرع إبراهيم في القيام بعمل من أعظم أعمال الطاعة التي عرفها الإنسان. لقد تعلم طيلة السنوات العديدة دروساً صعبة عن أهمية الطاعة لله، وفي هذه المرة كانت طاعته حاسمة وكاملة[2].

إذاً هذه كانت من أعظم أعمال إبراهيم كما يـرى المفـسر التـوراتي، ولكـن مـاذا يقـول المفـسر عـن تقـديم إبـراهيم زوجتـه لفرعـون مـصر وأبي مالـك الفلسطيني، أليست هذه المبادرات النبيلة هي أيضاً من أعظم أعمال إبـراهيم، أم أن للمفسر رأياً آخر؟ وهل في سيرة حياة إبراهيم أعمال تخـرج عـن نطـاق هـذه الأعمال العظيمة؟

---

1 - انظر قاموس الكتاب المقدس صفحة 1079، وانظر أيضاً لنفس المصدر صفحة 934 حيث قدم العبريين مئات الأطفال محرقة..

2 - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس صفحة 58.

إذاً هاتوا دليلكم إن كنتم صادقين؟

عودة ثانية إلى نص التكوين الثاني والعشرين، لنلاحظ أن الله يمتحن إبراهيم في ابنه ليقدمه ذبيحة للرب، هذا بعد أن كان الله قد وعده بهذا الابن بأنه سيرث الأرض ومن قبل أن يولد، فكيف حدث هذا؟ هل نسي إبراهيم ميثاق الله السَّابق معه؟

ونلاحظ أيضاً أن إسحق بعد أن كبر وأصبح بإمكانه أن يحمل حطباً، حمل حماراً وسار به ساعات كثيرة كما هو واضح من قول الراوي التوراتي حين قال: ورفع إبراهيم عينه وأبصر الموضع من بعيد. أي أن البعد كان على مدى البصر. وبعد أن وضع إبراهيم كل هذا الحمل على ظهر هذا المسكين، وقطع به كل تلك المسافات الطويلة، والعرق يتصبب منه حتى انهارت قواه. أنا لا أعلم ما كانت حاجة إبراهيم ليربط ابنه بعد كل هذا الإرهاق والانهيار الذي أصابه من التعب، هل كان يخاف إبراهيم من شموصية إسحق؟ أم هل كان يخشى من أن هذا الإسحاق إذا استراح واستعاد قواه كان سوف ينقلب على أبيه ويربطه بدلاً عنه ويجعله قرباناً ويسحق عظامه، مع أن الله لا يحبذ كثيراً لحم وعظام الشيوخ كما يحب لحم الشباب، بل لحم الأطفال هو النخبة الممتازة الأكثر إسالة للعاب الشهوة عند ياهو.

ثم هناك سؤال آخر يزاحم على طاولة الاستفسار، ألا وهو بماذا يفسر أصحاب الكرازة التبشيرية قول إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام اسحق فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما؟ ألم يكن إبراهيم صلوات الله عليه يكذب على الغلامين واسحق بهذا الكلام، أم هي كذبة بيضاء كما كذب على فرعون وأبي مالك عندما قال عن زوجته هي أخته.

لماذا عندما سأل إسحق أباه هوذا النار والحطب فأين الخروف للمحرقة؟ لماذا لم يُجِبْ إبراهيم بصدق ويقول لإسحق إنه ينوي أن يذبحه؟ هل هذه أيضاً كانت كذبة بيضاء كالعادة يا سادة؟ أم أن إبراهيم كان يعلم مسبقاً أن الله قد هيأ له الكبش؟ أم أن إبراهيم هو بذاته كان قد هيأ الخروف وربطه في الغابة ليلعب

لعبة مسلية له ومرعبة لابنه، وتكون بهذا هذه اللعبة البائخة كلها تمثيلية أو تركيبة لقصة ركيكة وسخيفة ليس لها أي معنى؟ أم أن هذه القصة كذبة توراتية منتهية الصلاحية لا يستسيغها إلا أصحاب العقول الآسنة التي تهضم معداتهم كل توافه السلف الصالح.

أسئلة لا تنتهي، وأخيراً نلاحظ أن الله يعود ثانية ليجدد ميثاقه أو عقده مع إبراهيم، ويعده من جديد بأنه من أجل أنه لم يمسك ابنه وحيده عن الله لذلك سيجعله أباً لجمهور كثير وكأنه لأول مرة يعاهده.

حبرائيل أو خليل الله (صاحب الله)

حبر يعني خل أو صديق وحبرائيل أو خليل يعني صاحب الله ورفيق الله
هل كان إبراهيم أبو الأنبياء أم كان هناك من هم أعظم من إبراهيم؟
هل كان إبراهيم خليل الله فعلاً أم كان هذا الزعم قولاً باطلاً؟

إذا افترضنا أن الله اتخذ له من إبراهيم صاحباً فهل كان هذا الحبر وفياً لحبره، وهل كانت الثقة بين الحبرين حاضرة ومتينة لا تتزعزع، أم كانت ثقة مزاجية تحتاج إلى تجربة اختبارية من وقت إلى آخر؟

الجواب العفوي والبرقي في سرعته من المفسرين هو: طبعاً وبديهي أن إبراهيم كان خليل الله، وهو أبو الأنبياء بلا منازع، ولا نبيّاً أعظم من إبراهيم الذي انحصرت النبوة في صلبه ونسله من بعده.

الحقيقة أن إبراهيم بن تارح لم يكن أبا المؤمنين والأنبياء كما جاء في رومية 11:4

ولا كان خليل الله كما ورد في أخبار الأيام الثاني 7:20 واشعيا 8:41، بل إن الحوادث والأخبار التي تسردها الكتب المقدسة تؤكد بأن الثقة كانت مفقودة بين الخليلين أو كانت موضع شك متبادل في أحسن الأحوال.

لو أن إبراهيم كان واثقاً من حماية الله له فما هي حاجة إبراهيم لأن يكذب على فرعون، وأبو مالك، ولو أن الله كان واثقاً من إبراهيم فما هي حاجة الله لأن يختبره في ابنه، والأمثلة من هذا القبيل كثيرة.

وكلنا يعلم بأن الثقة هي أهم ما يربط الأصحاب، ثم إن صفحات المنزلات تؤكد بأنه كان هناك من هم أعظم من إبراهيم أمثال الملك الصديق (البار) ملكي صادق ملك السلام. فمن هو ملكي صادق وأين هي مكانته في الكتب المقدسة؟

ملكي صادق ملك شاليم الذي تترجم من الكنعانية السورية الملك الصديق (البار) ملك السلام كان كاهناً للإله عليون (الإله العلي) وكان ملكي صادق كاهناً كنعانياً يقدم الخبز والخمر قرباناً لهذا الإله، ولم يكن كالعبريين في طقوسهم الدموية في تقدمة الذبائح القربانية، لهذا اقتدى به المسيح وجاء على رتبته، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.

الرسالة إلى العبرانيين 20:6

لم تذكر الكتب المقدسة أن المسيح جاء على رتبة إبراهيم أو موسى بل إن المسيح على رتبة ملكي صادق جاء.

ولم تذكر الكتب المقدسة قدسية وعظمة نالها أحد أكثر من القداسة والعظمة التي نالها ملكي صادق، ذلك الكاهن الوثني والنبي الكنعاني!!

أقسم الرب ولم يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

مزمور 4:110

يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس إن اسم ملكي صادق هو اسم عبري معناه ملك البر. (ص2651)

ماذا نقول عن هذا المفسر؟ هل نقول إنَّه مفسر غبي أو متغابٍ؟ أليس هذا الكلام من المفسر لَوْيَاً لعنق الحقائق وإن صغر شأنها؟ كيف للمفسر أن يقول إن اسم ملكي صادق هو عبري، والتوراة تشهد أن ملكي صادق هو كنعاني سوري، وهو أصلاً موجود قبل أن يكون أي وجود لإبراهيم أبي العبريين فهل اللغة العبرية كان لها وجودها قبل إبراهيم؟

ليس بعيداً عن المؤمنين جداً أن يزعموا أن اللغة العبرية كانت من محتويات اللوح المحفوظ.

يقول قاموس الكتاب المقدس إن اسم ملكي صادق هو سامي. وهذا الكلام من القاموس هو صحيح عندما نعلم أن السامي هو الشامي، وبلاد سام هي بلاد الشام (سورية)، ولكنْ؛ أن يقال إن ملكي صادق هو اسم عبري فهذا أمر مرفوض حتماً، ولكنْ؛ حسناً فعل التفسير التطبيقي حين أضاف قائلاً إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستخدم قصة ملكي صادق ليوضح أن هناك من هو أعظم من إبراهيم أبي الأمة اليهودية.

كان ملكي صادق كاهناً لإله عليون (الإله العلي) أرجع إلى شرح سفر التكوين 14:18 في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. وكذلك انظر في تكوين16 لدراسة هذه الشخصية العظيمة، وهو الكاهن الأبدي قبل وجود الشعب الإسرائيلي وهذا بشهادة المفسر.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

ما كان له أن يقدم العشور لغريب لو لم يكن هذا الغريب أعظم منه.

أي أن إبراهيم ما كان له أن يقدم العشور لملكي صادق إن لم يكن ملكي صادق أعظم منه. تفسير الرسالة إلى العبرانيين ـ القس تادرس يعقوب ملطي.

وردت قصة مباركة ملكي صادق لإبراهيم في سفر التكوين الإصحاح14. تروي هذه القصة أخبار معركة نشبت بين ملوك أو زعماء المدن هناك، وكانت النتيجة أن خسر ملك سادوم المعركة، وكان لوط ابن أخ إبراهيم من الساكنين فيها فوقع أسيراً، فجاء من أخبر إبراهيم العبراني أن ابن أخيه قد وقع بالأسر، فجهز إبراهيم رجالاً واستردوا لوطاً وغنموا غنائم كثيرة، وفي عودة إبراهيم من المعركة أعطى العشر من كل ما غنم للكاهن ملكي صادق، فقرب ملكي صادق قرباناً للرب من الخبز والخمر.

إن في هذه القصة ظاهرة غير مألوفة في أخلاقيات العبريين، بل فيها هفوة من هفوات كتبة التوراة! مقصد القول إن هذا الأمر لمدهش جداً لأنه ليس من طبيعة العبريين أن يثنوا على غريب مهما كان له من شأن عظيم، فما بالك وملكي صادق غريب عنهم. كيف كان لهم أن يدونوا في توراتهم بأن إبراهيم الذي نال

كل المواعيد والمواثيق من الله أن ينحني هو ونسله أمام دين عليون وكهنوت ملكي صادق. ألا يقدح هذا في القول إن إبراهيم كانت النبوة محصورة في صلبه؟

أليس مخطئاً كل من يزعم أن إبراهيم كان خليلاً لله أو هو أبو الأنبياء؟

ألا يعني هذا أن إله ملكي صادق كان أعظم من إله إبراهيم؟

إذاً لنقرأ ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين 4:7

لنتأمل الآن كم كان هذا الشخص عظيماً، فحتى جدنا الأكبر أدى له عشراً من غنائمه 5 ـ ونحن نعلم أن شريعة موسى توصي الكهنة المنحدرين من نسل لاوي بأن يأخذوا العشر من الشعب أي من إخوانهم مع أن أصلهم جميعاً يرجع إلى إبراهيم 6- ولكن ملكي صادق الذي لا يجمعه بهؤلاء أي نسب أخذ العشر من إبراهيم وباركه، مع كون إبراهيم حاصلاً على وعود بالبركة من الله 7- إذاً لا خلاف من أن ملكي صادق أعظم من إبراهيم وإلا ما كان قد باركه 8- أضف إلى ذلك أن الكهنة المنحدرين من نسل لاوي الذين يأخذون العشور بموجب الشريعة هم بشر يموتون، أما ملكي صادق الذي أخذ العشور من إبراهيم فمشهود له بأنه حي 9 ـ ولو جاز القول لقلنا: حتى لاوي الذي يأخذ نسله العشور، هو أيضاً قد أدى العشور لملكي صادق من خلال إبراهيم، فمع أن لاوي لم يكن قد ولد بعد فإنه كان موجوداً في صلب جده إبراهيم عندما لاقاه ملكي صادق.

هذه الرسالة جاءت في الإصحاح السابع عبريين من 4 حتى 10 ونقلناها بالحرف الواحد. فهل بعد هذه الشواهد يجوز لنا أن نقول إن إبراهيم هو الأعظم؟

ومن الدلائل التوراتية التي تشهد بأن أمثال إبراهيم الخليل كثر، وهم من غير العبريين ونذكر النبي بلعام السوري(عدد 9:22) الذي كان يتجلى له الله ليتنبأ.

وكثيراً ما استمد العبريُّون منه البركة، فمن خلال الإصحاح الثالث والعشرين في سفر العدد، بارك بلعام الآرامي أربع مرات للعبريين، ونحن نعلم أن الصغير دائماً يطلب البركة ممن هو أعظم منه. إذاً لا خلاف من أن النبي بلعام

السوري كان الأعظم من كل أنبياء يهوى حتى طلبوا بركته، وليس بغريب أن يجعل المفسرون من اسم بلعام السوري اسماً عبرياً!

يقول قاموس الكتاب المقدس:

بلعام اسم عبري، ربما كان معناه الملتهم، وهو ابن بعور من فتور، وهي قرية فيما بين النهرين، سورية، وكان نبياً مشهوراً في جيله والظاهر أنه كان موحداً يعبد، الله وليس ذلك بعجيب لأنه من وطن إبراهيم الخليل، حيث يظن أن أصول تلك العبادات كانت لم تزل معروفة عند أهل تلك البلاد ما بين النهرين (سورية).

قاموس الكتاب المقدس صفحة 189.

لم يكن ملكي صادق والنبي بلعام الوحيدين اللذين شهدت لهم الكتب المقدسة بأنهم كانوا يعرفون الله، بل كثر هم من غير العبريين الذين عرفوا الله وعملوا من أجله، نذكر منهم الملك الآشوري نبوختنصر ملك بابل وهذه شهادة التوراة تقول:

واشدد ذراعي ملك بابل، واجعل سيفي في يده، واكسر ذراعي فرعون فيئن قدامه انين الجريح، واشدد ذراعي ملك بابل، أما ذراعا فرعون فتسقطان، فيعلمون أني أنا الرب حين أجعل سيفي في يد ملك بابل، فيمده على أرض مصر وأشتت المصريين بين الأمم وأذريهم في الأراضي فيعلموا أني أنا الرب.

حزقيال 30:24

لماذا يجعل الله سيفه في يد نبوختنصر ملك بابل؟

لماذا يشدد الله يدي نبوختنصر ويأخذ به إلى النصر؟

لأن نبوختنصر كان يعرف الله! لأن نبوختنصر كان يؤمن بالله! لأن نبوختنصر كان يعمل مشيئة الله!

لذلك هكذا قال السيد الرب ها أنذا أبذل أرض مصر لنبوختنصر ملك بابل، فيأخذ ثروتها ويغنم غنيمتها وينهب نهبها، فتكون أجرة لجيشه، قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذي خدم به، لأنهم عملوا لأجلي يقول السيد الرب.

حزقيال 29:19

إذاً نبوخذنصر عمل من أجل الرب لأنه كان يؤمن بهذا الرب أليس كذلك؟ أم أن حزقيال كان يكذب.

هناك عشرات الشواهد من هذا القبيل في العهد القديم وأخيراً جاء المسيح ليؤكد لنا: إن في كل إسرائيل أيام اليشع النبي لم يوجد من يرقى بره إلى مستوى بر نعمان السوري الدمشقي، أو بر أرملة صيدا السورية في زمن النبي إيليا.

وبالحقيقة أقول لكم كان في إسرائيل أرامل كثيرات في زمان إيليا، حيث أغلقت السماء ثلاث سنين وستة أشهر، حتى حدثت مجاعة عظيمة في الأرض كلها. ولكن إيليا لم يرسل إلى أية جهة واحدة منهن، بل إلى امرأة أرملة في صرفة صيدا السورية، وكان في إسرائيل في زمان النبي اليشع كثيرون مصابون بالبرص، ولكن لم يطهر أي واحد منهم، بل نعمان السوري. فامتلأ جميع من في المجمع غضباً لما سمعوا هذه الأمور، وقاموا يدفعونه خارج المدينة وساقوه إلى حافة الجبل الذي بنيت عليه مدينتهم ليطرحوه إلى الأسفل (ليقتلوه).

إنجيل لوقا 25:4

يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس معلقاً على هذه الرواية (لوقا 28:4) هذه الكلمات تصيب أهل الناصرة في مقتل، لأن يسوع يقول إن الأمميين (أي غير اليهود) أكثر اهتماماً بأخبار الله السارة من اليهود، واتهمهم الرب يسوع بعدم الإيمان، مثلهم مثل أهل مملكة إسرائيل الشمالية في أيام إيليا واليشع، وهو زمان اشتهر بكثرة الشر. **الصفحة 2078**

إبراهيم (خليل الله) وزوجتاه

امرأة عجوز تحمل ابنها الراشد على كتفها وليس فيه أي علة. وزنه أكثر من وزن أمه وهي تحمله على كتفها وتسير به عشرات الكيلومترات. هل تصدقون هذا الكلام أم كذب الدعي بما ادعى؟

ولد لتارح ثلاثة أبناء، إبراهيم، وناحور، وهاران، ومات هاران في أرض ميلاده أور الكلدان.

اتخذ إبراهيم من أخته سارة زوجة له، واتخذ أخوه ناحور ملكة له زوجة وهي ابنة أخيه المتوفي.

(تك 11:27)

إذاً تزوج إبراهيم من أخته، وناحور تزوج من اليتيمة ابنة أخيه الذي ائتمنه عليها بعد موته.

خرج إبراهيم من أور الكلدان إلى حران ومنها إلى كنعان، وكان عمره خمسة وسبعين ستة.

أصبح عمر إبراهيم ستة وثمانين سنة، وسارة لم تنجب له أبناء، وهي تصغره عشر سنوات لأنها كانت عاقراً فدخل إبراهيم على جاريته المصرية هاجر وأنجب منها إسماعيل (تك 16:16) وبعد أربعة عشر سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه إسحق، وكان عمره مئة سنة! يا سبحان الله بينما سارة كان عمرها تسعين سنة.

وهنا بعدما ولد إسحق أخيراً أصبحت سارة تبحث لها عن ذريعة لطرد الجارية المصرية وابنها، لا بل قل إن مدون التوراة الذي يكتب بتلقين من الوحي

المقدس أخذ يتلمس الأعذار لتكون له ذريعة تبرر طرد هذه الغيرية من بيت المختارية، وربما بعد قليل من الجهد أطلق الوحي صيحته الأرخميدسية ـ وجدتها وجدتها وهي أن إسماعيل كان يمزح؟!

ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها.

إذاً الجريمة التي استحقت عقوبة الطرد هي أن إسماعيل كان يمزح. ولكن التوراة لا تذكر لنا شيئاً عن نوع هذا المزاح، ولا مع من كان يمزح، وهنا بعض ما يهمنا من لب القضية. وبداية دعونا يا سيدي نقرأ النص كما جاء في التوراة، ومن ثم نشير إلى التشويه الذي ينتهجه أشوه أخلاق الخليقة ـ أعني المفسرين:

ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق، فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه.

تكوين 21: 9 ـ 11

إذاً مجرد مزاح فتح باب جهنم على تلك المعترة وابنها وشردت إلى جحيم وبؤس أليم. ولكن التفسير التطبيقي للكتاب المقدس المحترم جداً جداً كاتبه، لابد من أن يزيد في الطين بولة، وهو يقول:

ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق. صفحة 56

ولكن يا هذا المحترم الأمين، من أين علمت أن إسماعيل هذا الرجل البالغ كان يسخر من الطفل إسحق، حتى سطرت هذه الكلمات بكل ثقة، والتوراة لم تذكر أي شيء من هذا القبيل؟ ولكن ما يبعث على السخرية جداً جداً أن الفاضل كاتب قاموس الكتاب المقدس، بل مجموعة كتاب قاموس الكتاب المقدس الأفاضل جاؤوا ليزيدوا في هذه البولة نجاسة، وجاؤوا لنا بخبر يعبر أصدق تعبير عن أمانتهم ونزاهتهم في التفسير والتأويل وهو قولهم:

ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح وقد قيل إنه كان يصوب سهامه على إسحق مهدداً بقتله من باب التخويف. قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان سارة.

سيدي القارئ، سوف لن أتوه بك كثيراً في التفسيرات والتأويلات التي ليس لها أي أساس من الصحة، وهي مضيعة للوقت، ولاسيما تلك السهام المسمومة التي جاء بها المفسرون من عقولهم الآسنة وأفكارهم الشريرة. وباختصار نقول إن في التوراة بكل بساطة جاء ما لا يحتمل أي تفسير أو تأويل من هذا القبيل، بل إن معطيات التوراة تحملنا إلى تأويل وتفسير مخزٍ جداً للزبن المتشرفين بالسلف التوراتي، وهذا الخزي والعار نستوضحه من سيرة الست المصون شرفها جداً سارة، تلك السيرة الجنسية المباحة لكل من استحلى رشاقة تنقلها من حضن فرعون إلى فراش أبي مالك الفلسطيني، ولاسيما ما نستشفه من قول الديوث لزوجته الوقور عند خروجه من أرض ميلاده:

علمت أنك امرأة جميلة المنظر في كل مكان نأتي إليه قولي إنك أختي حتى يكون لي خيراً بسببك.

تكوين 12:11 و13:20!!!

إذاً حتى يكون لي خير بسببك!

إن هذه السير الجنسية الإباحية في سلوكيات السلف الطاهر، يوحي لنا أن هذا المزاح المبتورة تفاصيله هو بالحقيقة آية قلب المفسرون معانيه. أي إن سارة هي التي أرادت المزاح مع الشاب اليافع الذي نفرت نفسه منها اشمئزازاً لقبح صورتها، وهذا ما أغاظها فطلبت من إبراهيم طرده مع أمه انتقاماً لكرامتها المهانة، كما ترى على أي حال دعونا ننحي هذه التأويلات والتفسيرات جانباً لنقول إن إبراهيم كان عمره ستة وثمانين سنة عندما ولد له إسماعيل (تكوين 16:16) وبعد أربع عشرة سنة ولد إسحق (تك 5:21) وبعض السنين إلى أن فطم ولي العهد إسحق وأصبح اسماعيل رجلاً كاملاً يعرف معنى الجد والهزال واللعب بالسهام، وعلى ذمة الراوي المطاطية أنه أراد المزاح فطرده والده مع أمه.

ولكن هنا لب القضية. من يصدق كلام الوحي عندما يقول إن هذا الرجل إسماعيل استطاعت أمه حمله على كتفها، وقطعت به مسافات طويلة لا يستطيع أن يقطعها كما أرى إلا خيال دجال منافق، أو من كانت فيه روح فاضلة كمدون التوراة. فهل نصدق الوحي قوله إن هذه المرأة المعترة حملت على كتفها رجلاً بالغاً رشيداً وسارت به هذه المسافات حتى نفذت المياه من الجرة يا فاجرة.

فبكر إبراهيم وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما هاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفهما، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ثم قال لها الرب، قومي واحملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة.

تكوين 21:14

فما رأيكم بهذه القصة التي تبعث الغصة في حلق المفسر وتمنعه من ابتلاع ريقه كلما بحث عن سبب مبرر لحمل الأم لابنها على كتفها ولن يجد؟

الخمر وعربدة الأنبياء

بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الأرض، من خمرها شربت الشعوب من أجل ذلك جنت الشعوب.

إرميا 51:7

سوف لن ننشد الأناشيد عن هذا المجد الذي أصابته بابل بكونها كأس ذهب في يد الرب، ولكننا بصدد هذا الخمر الذي في هذا الكأس الذهبي الذي يحمله هذا الرب.

عرف الإنسان قديماً صناعة الخمر في زمن مبكر من تاريخه، وكانت بابل أشهر من أتقنت صناعته حتى ضرب المثل في جودة الخمور البابلية المعتقة، وعلى ما يبدو أن تلك الجموع الرعوية من العبريين أثناء ما سمي بالسبي البابلي، تعلموا صناعة هذا الشراب الذي سحرهم حتى أدخلوه في طقوس عباداتهم ونسيج أساطيرهم الدينية. ولأن الكأس يحتاج إلى لقمة طيبة ولا أطيب من اللحومات المشوية وأدخنتها الشهية. ولاسيما إذا كان هذا الجو مُطيَّباً بروائح البخور العطرية.

إذاً من هنا جاءت الشريعة الموسوية بفريضة تقدمة اللحومات المشوية مع الخمور المعتقة، لأن اللحومات المشوية والخمور والبخور تبعث رائحة السرور في روح الله والدعاة إلى دينه.

وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل وقل لهم متى جئتم إلى أرض مسكنكم التي أنا أعطيتكم، وعملتم وقوداً للرب محرقة أو ذبيحة وفاء لنذر أو

نافلة، أو في أعيادكم، لعمل رائحة سرور للرب من البقر أو من الغنم، يقرب الذي قرب قربانه للرب تقدمة من دقيق عشراً ملتوتاً بربع الهين من الزيت، وخمراً للسكيب ربع الهين.

سفر العدد 15: 1 ـ 5 وكذلك لاويين 13:23 وخروج 40:29

إذاً مع اللحومات المشوية بعض الخمر!

نصت شريعة موسى على فريضة تقدمة الخمور التي تعلم العبريُّون صناعتها أثناء إقامتهم في بابل، وقد يبدو غريباً هذا الكلام إذا علمنا أن موسى الذي وضعت الشريعة على يده سبق ما يسمى بالسبي البابلي بأكثر من سبعة قرون، ولكن ما يجب أن نتذكره دائماً هو أنه ليس كل ما نسبت كتابته إلى شخصية توراتية، يكون صحيحاً أن ذاك الشخص هو كاتبه وهذا ما أثبتناه في دراستنا هذه وكذلك ليس كل ما نسب إلى موسى صحيحاً، ودارسو التوراة دراسة علمية جادة، يعلمون جيداً أن أكثر شريعة موسى كتبها النبي عزرا أثناء وبعد إقامتهم في بابل، وربما موسى لم يكتب كلمة واحدة مما جاء في صفحات التوراة المنسوبة إليه، أو ربما يكون موسى قد كتب بضع كلمات تحت اسم وصايا الله. على أي حال ليس هذا هو المهم في ما يشغلنا هنا، وإنما ما يشغلنا هو: أين تقع أهمية الخمرة ونشوتها وعربدتها في الفكر التوراتي، وما هي الفعلة التي فعلتها هذه الخمرة في أخلاقيات أنبياء الله المختارين. وحتى لا نظلم هذه الخمرة المباركة، فيما وصل إليه السكارى والمعربدون من أولئك السلف الصالح لا بل الطالح إن أردنا الجد، أذكر سيدي القارئ بحكمة أبو النواس حين قال:

وجدت أقل الناس عقلاً إذا انتشى ... أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا

تزيد حسى الكأس السفيه سفاهة ... وتترك أخلاق الرجال كما هي

إذاً الخمر:

يسعد حلماء الخلق ... ويثير جهالة الحمق

ولو علم الخمر بأن الأحمق شاربه ... لأقسم الكرم بأن لا ينبت عنبه

والآن تعالوا لنبدأ حكاية الخمر مع أول الأبطال التوراتيين بعد آدم، وهو النبي نوح بطل الإيمان العظيم الذي لم يجد الرب باراً غيره من كل البشرية:

هبط نوح من الفلك هبوط فارس جبار من صهوة حصان، بعد أن حقق انتصاره على ذلك الطوفان العاتي هبط على أرض خالية من الحياة إلا ما حفظ هو في فلكه مما اقتضت له الحاجة، ولا أدري من أين جاء هذا النوح بعد الطوفان بشتلات العنب التي غرسها كرماً، وصنع منه خمراً، وشرب وسكر وثمل، وأخذ يعربد ويبدي ما في وسع أخلاقه من سفاهة وفجور، وعلى ما يبدو من دراسة هذا النص التوراتي أن مدوني التوراة الأفاضل جداً أسقطوا الكثير مما جاء في هذه القصة من خزي وانحطاط.

يقول الراوي:

وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم.

سفر التكوين 9: 20 ـ 26

سكر نوح وتعرى من ثيابه وعربد، والمخفي أعظم. ذلك هو نوح النبي التقي الذي لم يجد الله أبر منه بين كل البشر الذين أعدمهم بالطوفان. سكر وتعرى هذا البار النقي التقي، وياله من مثال سيئ وقبيح، ولكن ما هو أسوأ من هذا هو هذا التلميع والترقيع والتجميل الذي يجريه المفسرون لتبرير هذه القبائح.

يقول المفسرون بأن نوحاً لم يكن يعرف بان الخمر مسكر، ولكن نحن قدرنا الذي ابتلينا فيه هو أننا دائماً في خلاف مع المفسرين، لا حباً في الخلاف وإنما خلاف في الأخلاق، فنحن مذهبنا التفكير، وهم دينهم التكفير، وشتان ما بين التفكير والتكفير، وهل يتساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

يقول المفسرون: النبي نوح!! فماذا تعني لهم كلمة النبي؟ نحن نفهم النبوة هي قراءة المستقبل. فهل قرأ نوح المستقبل ليعرف أن الخمر مسكر؟ طبعاً لا. وإلا لما وقع هذا المتنبئ في مستنقع العربدة. نحن نقرأ المفاهيم كما هي، ملتزمين بما تقتضيه الأخلاق النزيهة وهم يقرؤون المفاهيم بمزاجية مقلوبة وما تقتضيه شهواتهم المشوهة وهاهم يشوهون الحقيقة تناغماً مع رغباتهم المريضة. فالكنعانيون على سبيل المثال، والكل يعلم أن الكنعانيين شعب سامي، كان له من الحضارة ما يمجد عليها، ولم يكن العبريُّون أكثر من رعاع ترامت خيامهم الكئيبة على أطراف المدن المتحضرة كتحليق مجموعة من الذباب القذر حول قطعة حلوة ليس بوسعها إلا الزط، وهكذا العبريون حسداً من المدنية الكنعانية وحضارتها أخذوا يصبون جام غضبهم وثقيل لعناتهم على هذه المدنية، فزعموا بأن نوحاً قال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، ومبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم.

ولكن السؤال الذي لابد منه هو: ما ذنب كنعان بما حدث حتى يقول ذاك السكير المعربد بأن كنعان ملعون وعبد العبيد يكون لإخوته. يبدو أن نوحاً كان يقرأ النبوة مقلوبة، وبما يتناغم ومزاجية الأخلاقية اليهودية. فهل كنعان هو الذي أبصر عورة أبيه. أم أن ملقن الوحي أراد أن يلقننا مفهوماً وهو: إذا أكل الآباء الحصرم تضرس أسنان الأبناء؟ أي الآباء يسكرون ويعربدون والأبناء يلعنون. ألا يؤكد لنا هذا النص أن العبريين لأنهم كانوا يكرهون الكنعانيين الذين كانوا أكثر مدنية من أولئك الشماطيط لذا قالوا كنعان عبد العبيد يكون؟

هذه هي أول بذرة عنصرية بين التسمية السامية واللاسامية، والتي أصبحت أخطر سلاح معاصر يرهب حرية الرأي، فليس بعيداً أن يتجرد من وظيفته باحث أعطى عمره للتحصيل العلمي ولخدمة العلم لمجرد أنه ينتقد العنصرية الصهيونية، وليس أيضاً من الصعب اغتيال أي رأس مرفوع يجهر بالحقيقة في تعرية الصهيونية التي قلبت كل المفاهيم وبما يناسب مزاجيتها الشريرة. من هنا أنا أقول: نحن نقرأ المفاهيم كما هي ملتزمين بما تقتضيه

الأخلاق وبكل نزاهة، وهم يقرؤون المفاهيم بمزاجية مقلوبة وما تقتضيه شهواتهم المريضة، وها هم يشوهون الحقيقة تناغماً مع رغباتهم المشوهة.

يقول هذا النص: فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. ونحن لن نسأل نوحاً كيف علم وأحدٌ لم يخبره بهذا الخبر السار والمشرف، ولكن نقول لنوح وأنت الصادق ليس ابنك الصغير الذي فعل، فالصحيح أن حاماً ليس الصغير بل هو الأوسط، فأبناء نوح هم سام الأكبر، وحام الأوسط، ويافث الأصغر، وأهم من هذا هو أن كنعان ليس ابن حام، بل ابن سام، ولو استنكرت التوراة لهذه الحقيقة، فالعلوم التاريخية في الأنساب تؤكد بأن الكنعانيين شعب سامي، وهذا اليوم أصبح من البديهيات، أما العبريُّون لا يمكن أبداً تسميتهم بالساميين لأنهم خلطة أجناس من كل الشعوب، ابتداءاً من يوم أخرجهم موسى من مصر وخرج معهم لفيف كثير من غير العبريين، وحتى اليوم.

النبي نوح شرب الخمر وسكر! لماذا؟ الجواب: حتى يلعن كنعان ويجعل منه عبداً لسام. والمقصود التوراتي بالسامية: اليهودية. وهذه إحدى الأوجه التي شوهتها اليهودية.

النبي لوط يشرب الخمر ويزني بابنتيه، وينجب منهما عمون وهو أبو العمونيين وموآب وهو أبو الموآبيين. لماذا؟ لأن الموآبيين والعمونيين كانا العدوين التقليديين لبني إسرائيل فما رأيكم؟

ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر، وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها من المسكر، ضلا في الرؤيا قلقا في القضاء.

النبي أشعيا 7:28

تناقضات وأخطاء متفرقة

لوحا الشهادة أو وصايا الله العشرة

إن في قضية كتابة لوحي الشهادة، أو وصايا الله العشر، في من كتب هذه الوصايا. هل موسى كتب هذه الوصايا على لوحي الحجر أم أن الله بشخصه كتبهم وبإصبعه؟

من العرف المجمع عليه بين مريدي التوراة هو أن الله بذاته كتب لوحي الشهادة وباصبعه شخصياً، بينما سفر الخروج يقول: وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل، وكان هناك عند الرب أربعون نهاراً وأربعون ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء، فكتب على اللوحين كلمات العهد العشر..

سفر الخروج 34: 27 ـ 28

إذاً كما هو واضح فإن موسى هو الذي كتب لوحي الشهادة وبأمر من الله، ولكن لو عدنا قليلاً إلى خروج 31:18 فإننا نقرأ: ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله.

إذاً الله هو الذي كتب اللوحين، وليس بالمطرقة والإزميل، وإنما بإصبعه. (ولا عجب).

ظلم العبودية والتناقض في الوحي

ترجع ظاهرة العبودية في جذورها إلى أقدم العصور من تاريخ البشرية، ومالك العبد كان له حق التصرف بالعبد كامل التصرف، حتى إعدامه، ومن دون أي مسائلة. وقد مارست كل الأمم القديمة هذا النظام، ولكن أن تكون هذه العبودية بمباركة إلهية فهذا أمر مرفوض لأنه ظلم، وخاصة طرق اقتناء العبيد الذين كانوا غالباً من الأسر في الغزوات التي كانت تقوم من أجل هذه الغاية. أما العبودية من وجهة نظر الرب فيجب أن تكال بمكيالين، مكيال العبد الذي هو من شعب الله المختار، ومكيال العبد الذي هو من الأغيار وهذه عنصرية من الرب الذي هو صاحب العدل كله وهو أيضاً الذي كان له الشرف في بذر أول بذور العنصرية والعبودية في تلك التركيبة الغبية التي صاغها في رواية نوح وأبنائه.

فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم.

تكوين 9:25

أنا أرى أن لنوح بعض الشروع في هذا، لا لأن نوحاً كان يتكلم ويلعن بوحي من الله، بل لأنه كان يتكلم ويلعن بوحي من سكرة الخمرة التي جعلته يتعرى ويعربد حتى ظن أنه أصبح سخرية أبنائه.

على أي حال دعونا من نوح، نبح الله ذكراه من كل قبح وسواه، ونحن قصيدنا الوحي، وتخربطه في التلقين.

وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد كأجير كنزيل يكون عندك، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه، ويعود إلى عشيرته، وإلى ملك آبائه يرجع لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر، لا يباعون بيع العبيد. لا تتسلط عليه بعنف بل اخش إلهك، وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك، فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون

عبيداً وإماء، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم، منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم، الذين يلدونهم في أرضكم، فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم، ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر، وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف.

لاويين 25: 39 ـ 46

إذاً يتملك العبري عبيده من الأغيار ملكاً أبدياً، أما العبد إذا كان من الأخيار فيجب بأمر من الله أن يحرر في سنة اليوبيل (39:25) ونعم العدل!

واليوبيل هو كل خمسين سنة.

وتقدسون السنة الخمسين، وتنادون بالعتق في الأرض لجميع سكانها، تكون لكم يوبيلاً وترجعون كلاً إلى ملكه وتعيدون كلاً إلى عشيرته.

لاويين 10:25

ولكن في تثنية هناك ما يناقض هذا الكلام. والمعروف أن هذين السفرين تثنية ولاويين هما من كتابة موسى.

إذا بيع لك أخوك العبراني، أو أختك العبرانية، وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك، وحين تطلقه حراً من عندك، لا تطلقه فارغاً، تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك.

تثنية 12:15

موت شاول

ورد في صموئيل الثاني:

وفي اليوم الثالث، إذا برجل أتى من المحلة من عند شاول، وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب، فلما جاء إلى داوود، خرَّ إلى الأرض، وسجد، فقال له داوود: من أين أتيت؟ فقال له: من محلة إسرائيل نجوت، فقال له داوود، كيف كان الأمر أخبرني؟ فقال: إن الشعب قد هرب من القتال وسقط أيضاً كثيرون من الشعب، وماتوا، ومات شاول ويوناثان ابنه أيضاً. فقال داوود للغلام الذي أخبره: كيف عرفت أنه قد مات شاول ويوناثان ابنه، فقال الغلام الذي أخبره: اتفق أني كنت في جبل جلبوع وإذا شاول يتوكأ على رمحه، وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه، فالتفت إلى الوراء فرآني ودعاني، فقلت: هانذا، فقال لي: من أنت؟ فقلت له: عماليقي أنا، فقال لي: قف علي واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار لأن كل نفسي بعد في. فوقفت عليه وقتلته لأني علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه، وأخذت الاكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه، وأتيت بهما إلى سيدي هنا.

صموئيل الثاني 1: 1 ـ 10

في هذه الرواية ورد أن شاول مات مع أحد أبنائه وهو يوناثان، بينما في رواية سابقة جاء ما يخالف هذه الرواية وهو موت شاول بطريقة غير التي رواها صموئيل الثاني، كما أن مع شاول مات ثلاثة من أبنائه وليس واحد وهذا ما جاء في صموئيل الأول:

وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع، فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه، وضرب الفلسطينيون يوناثان وابيناداب وملكيشوع أبناء شاول واشتدت الحرب على شاول، فأصابه الرماة رجال القسي فانجرح جداً من الرماة، فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني

ويقبحوني، فلم يشأ حامل سلاحه، لأنه خاف جداً، فأخذ شاول السيف وسقط عليه، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه، فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم.

صموئيل الأول 31: 1 ـ 6

النَّبي صموئيل لم يخبرنا من أين له هذه المعلومات، وأحدٌ لم يخبره، كما في الرِّواية السَّابقة، ولكن هذا الشاول بكر ملوك إسرائيل والذي تصفه التوراة بالكمال والجمال والرجاحة أكثر من كل إسرائيل، وتنسبه إلى أسرة غنية جداً (صموئيل الأول 9:1) والذي انتحر حامل سلاحه عندما رأى سيده مات كما جاء في الرواية الأولى، ليس غريباً أن يجتمع أكثر من ربع مليون مقاتل خلفه بكلمة واحدة منه كما يتضح من صموئيل الأول الإصحاح الحادي عشر. ولكن الغريب في أمر هذه التوراة تقول أن شاول هذا الملك والنبي كان بنفسه يحرث حقله ويرعى بقره ويبحث عن حميره التي فقدت (صموئيل الأول 11:8 صموئيل الأول 9:3) ألا ترى معي أن هذا الأمر غريب بعض الشيء، أم أن عشرات الإماء والعبيد كان لهم ما يشغلهم عن خدمة سيدهم؟

إبادة الكنعانيين

إن أول من جاء لنا ببشرة انقراض الكنعانيين هو النبي موسى في سفر العدد، ولكن هذا الكذب من سيدنا موسى مرفوض، لأن سفر العدد يحدثنا عن أخبار العبريين قبل دخولهم أرض كنعان بعدة سنين، ثم إن موسى أصلاً لم تطأ قدمه أرض كنعان فكيف للعبريين أن يبيدوا الكنعانيين بقيادة موسى؟

فنذر إسرائيل نذراً للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدنهم فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم، فدعي اسم المكان حرمة.

سفر العدد 21:3

فحرموهم ومدنهم أي أبادوهم ومدنهم، وجعلوا من مدنهم مقابر وردماً أبدية كالعادة، ولكن في السفر التالي مباشرة وهو أيضاً من تدوين موسى نجد أن الكنعانيين انبعثوا إلى الحياة من جديد، ويأتي موسى بأمر إبادتهم من جديد مع شعوب وأقوام أخرى يذكرهم، وحقيقة إن هذه التسميات أيضاً هي لمدن كنعانية إضافة إلى أقوام وشعوب، بعضهم لم يكونوا أصلاً موجودين في المنطقة آنذاك.

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.
تثنية 7: 1 ـ 2

ذهب موسى وجاء يشوع لنا ببشرة (تازة) طازة يطزطز فيها على ما سبق من بشائر النصر والإبادة، ويخبرنا بأعمال الإبادة من جديد وبحق أعتى أبناء المنطقة من الكنعانيين، وهم العناقيون الذين كثيراً ما وصفتهم التوراة بالعماليق وضربت بهم المثل في الجبروت والضخامة والكثرة.

(تثنية 2:10)

وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حيرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل، حرمهم يشوع من مدنهم فلم يتبق عناقيون في أرض بني إسرائيل، لكن بقوا في غزة وجت وأشدود، فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى، وأعطاها ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب.

يشوع 21:11

تمر السنون والعبريُّون بقيادة يشوع فيأتيه كالب بن يفني، وهو رجل عجوز تجاوز الخمسة والثمانين من العمر، ويطلب إذناً من يشوع بإبادة العناقيين الذين أبادهم يشوع قبل قليل! فيسمح له يشوع، فيأتي كالب بن يفنة من جديد على إبادة العناقيين وتستريح الأرض منهم ثانية!

والآن فها أنا اليوم ابن خمسة وثمانين فلم أزل اليوم متشدداً كما في يوم أرسلني موسى، كما كانت قوتي حينئذ هكذا قوتي الآن، للحرب وللخروج وللدخول. فالآن أعطني هذا الجبل الذي تكلم عنه الرب في ذلك اليوم، لأنك أنت سمعت في ذلك اليوم أن العناقيين هناك، والمدن عظيمة محصنة، لعل الرب معي فاطردهم كما تكلم الرب. فباركه يشوع وأعطى حبرون لكالب بن يفنة ملكا؟.. واستراحت الأرض من الحرب.

يشوع 10:14

إذاً يشوع طهر الأرض من العناقيين واستراحت الأرض، فيأتي كلبه بن يفنة ليطهر الأرض ثانية ويبيد العناقيين، وفي الإصحاح التالي مباشرة يأتي يشوع ليقول بأن موسى طهر كل هذه الأراضي، وأعطاها ميراثاً أبدياً للراوبيين ولنصف سبط منسى؟!

وكأن هذه الفقرة اقتطعت من أسفار موسى لتدس في سفر يشوع.

موسى عبد الرب، وبنو إسرائيل ضربوها، وأعطاها موسى عبد الرب ميراثاً للراوبيين ولنصف سبط منسى.

يشوع 6:12

وتخربط الوحي لم ينحصر في ما سبق بل يزيد في تخبطه وتلخبطه ليقول إن بني إسرائيل لم يطردوا الكنعانيين. إذاً كل ما سبق كان نفاقاً بنفاق، وهذا ما جاء في سفر يشوع:

ولم يقدر بنو منسى أن يملكوا هذه المدن، فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض.

يشوع 12:17

مات موسى بعد أن أباد الكنعانيين، وجاء يشوع لإبادة الكنعانيين من جديد. يموت يشوع ويأتي سفر ملوك الأول ثانية ليبيد الكنعانيين، ومفاجأة المفاجآت هنا أن فرعون بعد أكثر من أربعمائة سنة من موت موسى يقوم بإبادة جازر وهي مدينة كنعانية ويعطيها هدية للنبي سليمان كمهر زواج من ابنته!

صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لابنته امرأة سليمان.

ملوك الأول 16:9

ما يجدر الاشارة إليه هنا هو أن الدارسين للتاريخ الفرعوني يعرفون حق المعرفة أن الملوك الفراعنة من أهم تقاليدهم أنهم لم يكونوا يتزوجون أو يزوجون خارج نطاق الأسرة المالكة. فما بالك أن يزوجوا لغير المصريين؟ وهناك رواية لا أذكر تفاصيلها، ولكن مفادها أن كورش ملك فارس حين قويت شوكته وطالت يده طلب أن يتزوج من أخت فرعون مصر وهذا ما أربك الفرعون، حتى برقت له فكرة، وهي أن أرسل لكورش واحدة من أجمل جواريه زاعماً أنها أخته، وبعد سنتين أو ثلاث انكشفت حقيقة هذه الزيجة، فقام كورش بحملة على مصر. ما أريد أن أقوله من هذه الرواية إن الذي زعم أن سليمان أخذ من ابنة فرعون له زوجة فهو يكذب، وبالتالي إن فرعون أباد جازر وأحرقها، ومن ثم أعطاها لسليمان مَهْراً عن ابنته فهذا أيضاً كذب ونفاق.

لو عدنا إلى سفر يشوع نلاحظ أن يشوع أباد جازر هذه التي تحدث عنها سفر الملوك ولم يبقَ منها شارد، والمعروف أن يشوع جاء قبل سليمان بما لا يقل عن أربعمائة سنة.

حينئذ صعد يهورام ملك جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارد.

يشوع 10:33

ويعود يشوع ليكذب نفسه بقوله:

فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين في جازر.

يشوع 16:10

فما رأيك يا رعاك الله في هذه التناقضات هل تعلم مرادها، أم أنها لا يعلم مرادها إلا الله؟

وهذه السمفونية التوراتية تتناغم على أسماعنا كثيراً ولنأخذ مثلاً آخر وهي مدينة يبوس أو أورشليم.

فتح أورشليم وتناقض الوحي

وذهب داوود وكل إسرائيل إلى أورشليم، أي يبوس، وهناك اليبوسيُّون سكان الأرض.

أخبار الأول 11:4

سفر القضاة يتحدث عن أخبار العبريين بقيادة القضاة الإسرائيليين قبل عهد الملوك، وأول ما يطالعنا به سفر القضاة هو خبر استيلاء العبريين على أورشليم وإحراقها، ويعود ثانية بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين في ذات الموقع والمدن السابقة.

وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار، وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين وسكان الجبل والجنوب والسهل، وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في حبرون، وكان اسم حبرون من قبل قرية أربع وضربوا شيشاي واخيمان وتلماي وسار من هناك على سكان دبير، واسم دبير من قبل قرية سفر، فقال كالب الذي يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي امرأة، فأخذها عثنيئيل بن قناز أخو كالب الأصغر منه فأعطاه عكسة ابنته امرأة.

قضاة 1: 8 ـ 13

إذاً عكسة تزوجت من كالب وهو عمها أخو أبيها.

والآن لنقف قليلاً عند النهاية من هذه الحكاية، ثم نأتي إلى البداية مع إحراق أورشليم والاستيلاء عليها. عثنيئيل بن قناز أخو كالب الأصغر منه أخذ ابنة أخيه زوجة له، وكان عمره أكثر من ثمانين سنة، لأن قبل موت يشوع كان عمر أخيه كالب خمسة وثمانين سنة بحسب يشوع 10:14. إذاً مبروك هذا الزواج لعريس الزين، ومبارك هذا الشرع الحلال جداً.

عثنيئيل أخذ عكسة له زوجة لأنه حقق نصراً وأباد مدينة دبير، فكانت عكسة ابنة أخيه هدية كزوجة تليق بالبطل الشايب أبي العجائب، وهذا ما جاء

في سفر القضاة، وسفر القضاة هذا كتبه صموئيل الذي جاء بعد موت يشوع، ولكن يشوعاً كان قد سبق وأخبرنا ما يناقض هذا الكلام، وينسب هذه البطولة لنفسه لا لعثنيئيل، وهذا ما جاء في سفر يشوع:

ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف وحرموا كل نفس بها لم يبق شارد.

يشوع 10:38

فمَنْ نُصدِّق برأيكم، السَّفَّاح يشوع أم النَّبي صموئيل؟

أما إذا عدنا إلى البداية من هذه الحكاية وفيها أخبار بني يهوذا الذين أخذوا أورشليم وضربوها بحد السيف بعد أن أحرقوها كما جاء في قضاة 1:8 وسفر القضاة هذا كتب قبل داود بنحو خمسمائة سنة، أما سفر الأيام الأول جاء ليكذب النبي صموئيل ويقول لا، بل إن الملك داوود هو الذي ضرب أورشليم وأخذها من اليبوسيين، وللعلم وبحسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، فإن كاتب هذا السفر هو عزرا، وإذا علمنا بأن عزرا كان في أيام السبي البابلي، فهذا يعني أن عزرا جاء بعد داوود بنحو خمسمائة سنة.

إذاً داوود يستولي على أورشليم.

وتوجه داوود على رأس الإسرائيليين إلى أورشليم، أي يبوس الآهلة بسكانها اليبوسيين، فقال اليبوسيون لداوود لا يمكن أن تدخل إلى هنا، فاستولى داوود على قلعة صهيون التي دعيت فيها بعد مدينة داوود، ثم قال داوود لرجاله إن من يقتحم اليبوسيين يصبح قائداً للجيش، فهاجمهم يوآب بن صروية أولاً وأصبح هو القائد.

أخبار الأيام الأول 11: 4 ـ 6

وللعلم إن هذه المجازر التي جاء بها العبريُّون على شعوب المنطقة، لم تبق نسمة في كل تلك الشعوب التي أبادوها، ولم يبق منهم شارد كذلك حسب تعبير التوراة، ولكن كالعادة إن الله يحيي الأموات وهي عظام، وهاهو يحيي هذه الأموات ليجعل منها عبيداً ليس لداوود وإنما لابنه سليمان.

جميع الشعب الباقي من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين بقوا بعدهم في الأرض، الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم (يبيدوهم) جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم.

الملوك الأول 9:20 انظر كذلك أخبار الأيام الثاني 8:7

أخطاء متفرقة

من هو حمو موسى؟ وهل هو قيني أم مدياني؟

تزوج موسى من زوجتين إحداهن كوشية لم تأتِ التوراة على ذكر اسمها أو اسم والدها، ولم تذكر إلا مرة واحدة في عدد 12:1 باسم المرأة الكوشية زوجة موسى، ويبدو أنها كانت نزوة عابرة من موسى، بينما الزوجة الثانية واسمها صفورة تجعل منها التوراة أحياناً قينية وأخرى مديانية.

ففي سفر القضاة 1:16 تجعل التوراة من حمي موسى قينيّاً.

وبنو القيني حمو موسى صعدوا من مدينة النخل.. الخ.

بينما مواضع أخرى وكثيرة تجعل من حمي موسى مديانيّاً!

وهذا أول ما تطالعنا به التوراة من أخبار زواج موسى.

وكان لكاهن مدين سبع بنات، فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن، فأتى الرعاة وطردوهن فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن، فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن، قال ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم، فقلن: رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو لماذا تركتن الرجل. ادعونه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته..

سفر الخروج 2: 16 ـ 21

إذاً حمو موسى ليس قينيّاً، بل هو رعوئيل كاهن مدين. أما في سفر الخروج 3:1 و4:18 و18:1 تجعل التوراة اسم حمي موسى لا راعوئيل وإنما يثرون المدياني.

وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان.

خروج 3:1

فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه..

خروج 4:18

فسمع يثرون كاهن مدين حمو موسى..

خروج 18:1

تعود التوراة للتخبط وتتخربط في تسمية حمي موسى ثانية وثالثة، فتسميه في سفر القضاة 4:11 باسم حوباب بينما سفر العدد 10:29 يجعل من حوباب ابناً لرعوئيل حمي موسى!

فهل يجوز بعد كل هذا الخلط في الأسماء والنسب، أن نقول بأن هذه الصفحات كتبت بإلهام الروح القدس؟ أليس من المفترض أن يكون الوحي معصوماً؟

أليس دجالاً من كتب هذه الكلمات وزعم أنه كتبها بوحي وتلقين من الروح القدس؟

هكذا قال السيد الرب هاأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم وأصيرهم أمة واحدة في الأرض، على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا يكونون بعد اثنين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطؤوا، وأطهرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً، وداوود عبدي يكون ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد فيسلكون في أحكامي، ويحفظون فرائضي، ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياها، التي سكنها آباؤكم ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد، وعبدي داوود رئيس عليهم إلى الأبد.

سفر حزقيال 37: 21 ـ 25

بداية قول المتنبئ بأن داود رئيس عليهم إلى الأبد كلام أخرق، لا يبرئه أي تأويل أو مجازية وغير ذلك من السفسطائية.

وربما أحدنا يقرأ هذا النص وما شابهه من التخريفات ويمر عليها مرور الكرام دون التدقيق والانتباه.

الحقيقة أن في هذا النص الكثير من التناقضات والخزعبلات وسنأتي على بعضها فقط.

أولاً القول بأن النبي حزقيال هو كاتب هذا الكلام مرفوض، لسبب بسيط جداً، وهو أن النبي حزقيال كان في السبي البابلي في النصف الثاني من القرن السادس ق.م وتنبؤه عن الملك داوود بأنه سيكون ملكاً على مملكة لا تنقسم أبداً، مرفوض، لأن النبي داوود سبق السبي بأربعة قرون، وكان نحو الألف الأول ق.م. أما القول بأن المقصود من داوود هنا هو المسيح الذي سيأتي ويوحد مملكة إسرائيل، فمتى كان هذا أو متى سيكون، هل ننتظر بعد لهذا الحدث الذي ليس إلا من أساطير المسيح المخلص الفاروق المهدي المنتظر. والقول بأن مملكة إسرائيل ستبقى مملكة موحدة، فهذا أيضاً تحريف، لأن مملكة إسرائيل لم تكن يوماً موحدة خلال ثلاثة آلاف سنة مضت، يستثنى منها قرنان من الزمان أيام داوود وسليمان، ويضاف إليها الخمسون سنة من أيامنا هذه، وأصلاً مملكة إسرائيل كانت عبارة عن عشرة أسباط متمردة دائماً، وأثناء ما سمي بالسبي البابلي ولت إلى حيث حطت رحلها أم قشعم ذهبت ولن تعود وهي الأسباط العشرة التي يقولون عنها الأسباط الضائعة، أما السبطان الباقيان أو ما يسمى بمملكة يهوذا وعاصمتها القدس، فذهبت إلى السبي ولم يعد منها إلا القليل، وأسماؤهم جميعاً مدونة بأسفار عزرا ونحميا. ومن هنا يجب ألاَّ يقال دولة إسرائيل عن الدولة المصطنعة سنة 1948، لأن مملكة إسرائيل كانت تلك الأسباط الضائعة، أما هذه الدولة المصطنعة اليوم هي عبارة عن كوكتيل أعراق مُتهوِّدة.

يقول قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان الشتات: إن اليهود المسبيين إلى بابل لم يعد منهم إلى إسرائيل إلا القلة القليلة، أما الباقية فتشتتوا بالأصقاع بعد السبي، ومنهم أيضاً من بقي في بابل. فأين هي نبوة حزقيال عن الاتحاد الأبدي لأمة إسرائيل.

هكذا قال السيد الرب هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتي بهم إلى أرضهم.

(حزقيال 37:21)

متى كان هذا أو متى سيكون، وقد مضى على هذه النبوة أكثر من 2500 سنة؟ هل إسرائيل اليوم هي المنشودة وهي هذا الخلط من الكوكتيل الغريب العجيب الذي جمع من كل طعم ولون، من الجليد الروسي، إلى الهمبرغر الأمريكي، والشاي الصيني، والتمر الهندي، والقهوة اليمنية، والموز الصومالي؟! هل التنين الصيني هو الأسد الخارج من سبط يهوذا؟ هل يهود الفلاشة والسفارديم والاشكناز والخزر ينتمون إلى أصول واحدة؟ اليوم نسمع في الأخبار أن الحاخام اليهودي اعترف بقبيلة يهودية هندية مكونة من خمسة آلاف فرد، وها هم يتأهبون للقدوم إلى إسرائيل وفي الأمس مثلهم من الفلاشة الحبشية، وغداً بلد ما يحدث فيه مجاعة فيتوجه إلى إسرائيل جماعة يهودية، فهل هذه الخلطة تنتمي إلى يعقوب الذي هو إسرائيل. كيف لإسرائيل أن يجمع من الصين العرق الأصفر، والعرق الأسود من الهند، والعرق الأبيض من روسيا، وينسبهم إلى أمة إسرائيل الموحدة المقدسة بعرقها، والطاهرة بدمها الصافي النقي، الذي هو امتداد لصلب ودم يعقوب الذي سمي اسرائيل؟.

ولا يتنجسون بعد بأصنامهم (37:23) الحقيقة أن صفحات التوراة هي وثيقة تؤكد على أن العبريين لم يتخلصوا يوماً من وثنيتهم وأصنامهم(*) ولسنا الآن بهذا الصدد.

* انظر كتابنا صورة الله الوثنية والدموية في التوراة وفيه دراسة عن الوثنية اليهودية.

مقتل العملاق الفلسطيني جليات

وكان الفلسطينيون وقوفاً على جبل من هنا وإسرائيل وقوفاً على جبل من هناك والوادي بينهم.

وعندما نعلم أن الجيش العبري يتكون من ستمائة ألف مقاتل، لابد أن نسأل أي جبل ممكن أن يحمل أو يتسع لهذا العدد، وكيف وجد الجبلان المتقابلان وبينهم هذا الوادي، وكيف تمكن العبريُّون والفلسطينيُّون أن يتخاطبا عن بعد بخطابات التحدي والسباب، على أي حال ليس هذا هو المهم، فالأهم من هذا أنه خرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات، وهذا الجليات طوله ستة أذرع وشبر، أما كيف عرف طول هذا الجليات بهذه الدقة فليس مهماً، والمهم أن على رأس هذا الجليات خوذة من نحاس، وكان لابساً درعاً حرشفياً، ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس وجرموقاً نحاس على رجليه، ومزراق نحاس بين كتفيه، وقناة رمحه كنول النساجين، وسنان رمحه ست مئة شاقل حديد.. وإذا علمنا بحسب قاموس الكتاب المقدس أن الشاقل يساوي أحد عشر غراماً ونصف فيكون وزن عدة الحرب ما لا يقل عن ربع طن.

وقف هذا العملاق متحدياً الإسرائيليين، ومعيرهم بإلههم حتى جاء من قتله!

والسؤال الذي هو لب القضية يا هل ترى من هو هذا البطل الذي قتل هذا العملاق؟

يقول النبي صموئيل بحسب الإصحاح السابع عشر من صموئيل الأول إن الغلام داوود قتل هذا الجليات وكان داوود غلاماً صغيراً.

بينما في صموئيل الثاني 19:21 يكذب نفسه هذا النبي ليقول إن الحانان بن يعري ارجيم البيتلحمي هو الذي قتل جليات. ثم يأتي كاتب أخبار الأيام الأول 5:20 ليعدل بين القولين ويقول بأن الحانان بن ياعور البيت لحمي قتل أخا جليات. فما رأيكم؟

ـ قبل دخول العبريين أرض الميعاد أقاموا في شطيم، وكان من طقوس أهل المنطقة البغاء المقدس، فقام الإسرائيليون بممارسة طقوس البغاء المقدس وممارسة الجنس في معابد أهل شطيم، وتقديم الذبائح لآلهتهم الوثنية، مما أغضب الرب الذي أرسل فيهم الوباء وقتل منهم أربعة وعشرين ألفاً، وقد أشار الرسول بولس إلى هذه الحادثة بقوله: ومات بالوباء ثلاثة وعشرون ألفاً[1].

ـ ورد في سفر الملوك الأول 1:15 ـ وفي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن نباط ملك ابيام على يهوذا، ملك ثلاث سنين في أورشليم واسم أمه معكة ابنة ابشالوم. وعندما نتابع بعد عدة سطور نقرأ ما يخالف هذا الكلام:

وفي السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك آسا على يهوذا، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم واسم أمه معكة ابنة ابشالوم.

الملوك الأول 9:15

إذاً معكة ابنة ابشالوم هل هي أم آسا الذي ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم أم هي أم ابيام الذي ملك ثلاث سنين؟

والتخبط الذي زاد على هذا التخربط هو ما جاء في أخبار الأيام الثاني2:13 في السنة الثامنة عشرة للملك يربعام ملك ابيا على يهوذا، ملك ثلاث سنوات في أورشليم واسم أمه ميخايا بنت اوريئيل من جبعة..

قارن هذا مع ما جاء في الملوك الأول 2:15

وفي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن نباط ملك ابيام على يهوذا، ملك ثلاث سنين في أورشليم واسم أمه معكة ابنة أبشالوم..

إذاً أبيا ملك يهوذا أمه معكة ابنة ابشالوم وأمه ميخايا بنت اوريئيل!

أنا ممكن أن أتفهّم أن يكون لهذا الملك أكثر من أب ولكن أن يكون له أكثر من أم فهذا ما لا أستوعبه، فإما أن تكون أم الملك معكة ابنة أبشالوم، أو تكون ميخايا بنت أوريئيل. فما رأيكم؟ هذا لا يجوز إلا إذا تزوج أبيا من أمه وأنجب منها آسا.

---

1 - قارن سفر العدد 9:25 مع رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 8:10.

أخذ رحبعام له زوجة وهي معكة بنت ابشالوم فولدت له ابيا.
أخبار الثاني 11:20

ثم اضطجع ابيا مع آبائه فدفنوه في مدينة داوود ملك آسا ابنه عوضاً عنه.
أخبار الثاني 14:1

إذاً أبيا تزوج من أمه وأنجب منها آسا فهو أب وأخ لآسا!

ـ ما إن خرج العبريون من مصر حتى قال الرب لموسى:
(خروج 30:22)

خذ لك أطيب العطور خمس مئة شاقل من المر النقي السائل، ومئتين وخمسين شاقل من القرفة، ومئتين وخمسين شاقل.. إلخ. وهذا الكلام لا يمكن لموسى أن يكتبه لأن العبريين لم يعرفوا الشاقل قبل دخولهم أرض كنعان فكيف لهم أن يعرفوا شاقل الملك أو شاقل أورشليم وهم لا زالوا في التيه، وطبعاً الفراعنة أيضاً لم يعرفوا الشاقل لأنه وزنة كنعانية.

ـ حول موطن العبريين في أرض مصر هناك تناقض يتكرر كثيراً وكل هذه التباينات منسوبة كتابتها إلى موسى وهذا لا يعقل.

ففي كل من تكوين 10:45 و34:46 و1:47 و4 و6 و27 وكذلك تكوين 8:50 وخروج 22:8 و26:9 في كل هذه الآيات المنسوبة لموسى تأكيد على أن العبريين جاؤوا مصر وأعطاهم فرعون أرض جاسان ليستوطنوا بها ويملكوها. بينما نقرأ في بعض آيات أخرى ما يناقض هذا الكلام، ففي تكوين 11:47 جاء بأن العبريين سكنوا رعمسيس وليس جاسان، والأغبى من هذا، ما إن ينتهي سفر التكوين حتى نجد أن سفر الخروج يفاجئنا بأن العبريين بنوا مدينة رعمسيس ومدناً أخرى (خروج 11:1). أي أن رعمسيس لم يكن لها وجود عند قدوم العبريين إلى مصر، فكيف يزعم موسى أن فرعون أسكن العبريين أرض رعمسيس عند قدومهم (تكوين 11:47) وأقاموا في رعمسيس أربعمائة سنة، أو أربعمائة وثلاثين سنة، ومنها ارتحلوا أثناء خروجهم من مصر.
تكوين 37:12 وكذلك عدد 33: 3 ـ 5.

ـ جاء في تكوين 36:2 ـ أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان عدا بنت إيلون الحثي واهوليبة بنت عني بنت صبعون الحوي وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت.

وهذا يخالف ما جاء في تكوين 26:34 حيث ورد فيه: ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ له زوجة يهوديت ابنة بيري الحثي وبسمة ابنة إيلون الحثي. وما يخالف هذا وذاك في تكوين 36:3 ورد اسم إحدى زوجات عيسو بسمة بنت اسماعيل أخت نبايوت بينما في تكوين 28:9 ورد اسمها محلة بنت إسماعيل أخت نبايوت فهل عيسو تزوج من الأختين محلة وبسمة أم نحن أمام روايتين مختلفتين؟

ـ ورد في أخبار الأيام الأول 11: 26 و35 ـ اليغال ابن أور بطل من أبطال الجيش عند داوود بينما سفر صموئيل الثاني 23:34 يورده باسم اليغلط بن أحسباي.

ـ اليهو ابن توحو وهو أحد أسلاف النبي صموئيل (صموئيل الأول 1:1) أورد ذكره أخبار الأيام الأول 6:27 باسم إلياب وفي أخبار الأيام الأول 6:34 ورد ذكره باسم إيليئيل راجع قاموس الكتاب المقدس للتأكد من هذا التناقض.

ـ إيثان ابن قيشي أو ابن قوشان من سبط لاوي وهو أحد المغنين في خيمة الاجتماع في عصر داوود بحسب ما جاء في أخبار الأيام الأول 6:44 و47 وكذلك 15: 17 و19 بينما جاء في أخبار الأيام الأول 16:41 باسم يدوثون.

ـ يقول المفسرون: وقعت أحداث قصة راعوث في وقت ما زمن القضاة[1]

اعتمد المفسرون في هذا الرأي على ما جاء في مقدمة سفر راعوث 1:1 قوله: عمت مجاعة في أيام القضاة..

ولكن كيف لنا أن نوفق بين ما جاء في هذه المقدمة وما جاء في نهاية قصة راعوث 4:20 الذي يذكر مولد داوود والذي حدث بعد عهد القضاة ربما بأكثر من مئة وخمسين سنة!

---

1 - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص540.

ونحن نعلم من هذا السفر أن راعوث هي أم عوبيد الذي هو جد النبي داوود!!

ـ جاء اسم مدينة هدد عزر ملك آرام في صموئيل الثاني 8:8 باسم باطح بينما كاتب أخبار الأيام الأول 8:18 يسميها طبحة.

بيت إيل ـ أي بيت الله

في قصة يعقوب عندما هرب من أخيه عيسو متوجهاً إلى بيت نهرين بات في مكان قرب مدينة لوز ورأى هناك رؤيا فدعا اسم المدينة حينئذ بيت إيل. بينما في قصة إبراهيم نرى أن بيت إيل كان لها وجود قبل يعقوب وهي المدينة الأولى التي حط فيها إبراهيم رحاله ونصب خيمته.

يقول سفر التكوين 28:

فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك، لأن الشمس كانت قد غابت، وأخذ حجارة ووضعها تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلماً، وإذ سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نفسك جميع قبائل الأرض، وها أنا معك فأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به. فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف، وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء، وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عاموداً وصب زيتاً على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولاً كان لوز.

سفر التكوين 28: 10 ـ 19

إذاً يعقوب هو الذي أعطى الاسم لمدينة بيت إيل التي كانت سابقاً لوز. بينما سفر التكوين 12 يخبرنا بأن بيت إيل كان لها وجودها قبل إبراهيم أبي يعقوب وهذا ما جاء في الرواية:

وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام، وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته.

إذاً في هذه الرواية إن إبراهيم أول ما قدم إلى أرض الميعاد نصب خيمته في الأراضي المرتفعة قرب بيت إيل.

تكوين 12: 8 و3:13

والسؤال هنا كيف لنا أن نوفق بين الروايتين المتناقضتين، ومن هو الصادق بين الاثنين؟

الحقيقة أن يعقوب هو الكذاب وابن الكذاب أيضاً، لا بل إن موسى الذي دون هذا السفر هو الأكذب من الاثنين، وبالتالي هذه الكذبة ليست إلا واحدة من جملة الأكاذيب التوراتية.

ـ ورد في تك 25:37 باعوا يوسف لتجار إسماعيليين بينما (تك 36:37) يجعل منهم مديانيين.

ـ الملك السادس من ملوك يهوذا اسمه اخزيا بن يورام أو يهورام، وكانت أمه عثلية بنت آخاب ملك إسرائيل خلف أباه على العرش كما جاء في الملوك الثاني 25:8، وكان ملكاً شريراً بتوجيه من أمه (أخبار الأيام الثاني 3:22) بينما سفر أخبار الأيام الثاني 17:21 يسميه يهو آحار وفي أخبار الأيام الثاني 6:22 يسمى عزريا.

ـ ورد في صموئيل الثاني: 2:3 ـ وولد لداوود بنون في حبرون وكان بكره أمنون من أخينوعم اليزر عيلية، وثانيه كيلاب من أبيجايل امرأة نابال الكرملي. بينما نقرأ في أخبار الأيام الأول 1:3 ـ وهؤلاء هم بنو داوود الذين ولدوا له

في حبرون، البكر أمنون من أخينوعم اليزرعيليه الثاني دانيئيل من أبيجايل الكرملية.

ـ وشني هو بكر النبي صموئيل بحسب أخبار الأيام الأول 28:6 بينما في صموئيل الأول 2:8 وأخبار الأيام الأول 33:6 و17:15 جاء باسم يوئيل!

الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

عدد 18:14

كيف لنا أن نفهم هذه الآية؟ ألم تفرغ نهاية هذه الآية ما تضمنته مقدمتها من إحسان وغفران؟ كيف لنا أن نفهم أن هذا الرب طويل الروح وكثير الإحسان، وكيف يكون هذا الإله غفوراً ورحيماً إذا كان لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء وحتى الجيل الثالث والرابع؟

يعني أبو عجاج يأكل دجاج عجاج وابن عجاج وحفيد عجاج يصلبوا على السياج.

أبو عجاج يأكل حصرماً فتضرس أسنان عجاج وخلفته حتى الجيل الثالث!

كيف يكون هذا الإله الغيور الحسود الحقود غفوراً ورحيماً إذا كان يفتقد الذنوب لا بمرتكبيها وإنما بأبنائهم حتى الجيل الثالث والرابع؟!

لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع.

خروج 5:20 وكذلك تثنية 9:5

كثيرة هي الآيات التي جاءت بهذا الظلم، وكثيرة هي أيضاً الآيات التي جاءت في عكس هذا الاتجاه كما في هذه الآية:

لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل. **تثنية 16:24 وأخبار الأيام الثاني 4:25 وملوك الثاني 6:14**

والسؤال الأهم يبقى: أليس هذا الإله هو ذاك الإله الذي يفتقد ذنب الآباء بالأبناء؟

وكان إلي كلام الرب قائلاً: ما بالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست، حي أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل، ها كل النفوس هي لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت.

حزقيال 18:1

في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل حصرماً تضرس أسنانه.

إرميا 31:29

وأخيراً جاء نبينا داوود صلوات الله عليه ليعمل مشيئة الرب، ويترجم عدالة الله ووسع رحمته، فيسلم إلى الجبعونيين سبعة من رعيته ليصلبوهم قرباناً للصلح، بحجة أن أباهم شاول انتقم من الجبعونيين، ومع أن في صفحات التوراة لا يوجد ذكر لانتقام شاول من الجبعونيين، وهذا ما أكد عليه التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص684.

فأجابه الجبعونيين لا نريد مالاً ولا فضة من شاول ولا من أهل بيته ولا نبغي أن نميت أحداً في إسرائيل(؟؟) فقال لهم مهما طلبتم أفعله لكم فقالوا للملك أعطنا سبعة رجال من بني الرجل الذي أفنانا(!!!) وتآمر علينا ليبيدنا فلا نقيم في كل أرض إسرائيل فنصلبهم للرب في جبعة شاول مختار الرب(!) فأجاب الملك أنا أعطيكم.. وأعطاهم!

صموئيل الثاني 21:4

أضحكتني ثانية يا رجل في قول الجبعونين لا نبغي أن نميت أحداً في إسرائيل، فقال لهم: مهما طلبتم أفعله، فقالوا: أعطنا سبعة رجال... لنصلبهم!

أليست قصصاً مضحكة هذه الروايات أم هي قصص أطفال وحسب؟

أما الحجة الأقوى في منطقية هذه الرواية، هي أن الجبعونيين الذين أفناهم شاول ولم يترك منهم شاردة، هم الذين انبعثوا أحياء وجاؤوا إلى داوود بطلب الثأر! حتى الشعوب المنقرضة تنبعث إلى الحياة من جديد لتأتي وتطلب ثأرها كما في هذه الآية السالفة.

ورد في صموئيل الثاني 25:17 ـ وكان عماسا ابن رجل اسمه يثرا الإسرائيلي الذي دخل إلى ابيجايل بنت ناحاش أخت صروية..

والمعروف أن ابيجايل هذه هي أخت صروية بنت يسى أبي داوود.

أما في أخبار الأيام الأول 16:2 يجعل من هذه الابيجايل أماً لعماسة ابن يثر الإسماعيلي.

إذاً يثرا أصبح يثر والإسرائيلي أصبح الإسماعيلي والأم أصبحت زوجة فما رأيكم؟ إنه الوحي ولا عجب.

ـ اشبيل أو اشبعل بن بنيامين يسميه أخبار الأيام الأول 6:7 يديعئيل بينما في تكوين 21:46 وعدد 38:26 وأخبار الأيام الأول 1:8 هو غير ذلك.

ـــ الياب وهو رجل لاوي من أسلاف صموئيل (أخبار الأيام الأول 27:6) بينما في صموئيل الأول 1:1 جاء باسم اليهو وفي أخبار الأيام الأول 34:6 يدعى إيليئيل.

ـ اليداع. يعني الله يعرف أو الله أعلم (ايل يداع) ورد بهذه الصيغة في صموئيل الثاني 16:5 ـ وفي أخبار الأيام الأول 8:3 ورد بصيغة الياداع ولا خلاف في هذا ولكن في أخبار الأيام الأول 7:14 ورد بعلياداع أي البعل أعلم وهذا لا يجوز لأن العبريين المؤمنين بالإله إيل كانوا على خلاف العبريين المؤمنين بالإله بعل وكان النبي إيليا من ألد أعداء البعل، حيث ذبح أربعمائة وخمسين نبياً من أنبياء هذا البعل، كما جاء في سفر الملوك الأول 40:18 ـ وطبعاً هذا رقم مبالغ فيه حتى لو كانوا من عامة الشعب، والأرجح أن هذا الكلام أصلاً ليس له أساس من الصحة وهو كذبة توراتية كبقية الأكاذيب التي عهدناها من مدوني أسفار الوحي.

ـ اليشوع وهو ابن داوود الذي ولد له في أورشليم (صموئيل الثاني 15:5 وأخبار الأيام الأول 5:14) بينما في أخبار الأيام الأول 6:3 ورد باسم اليشامع فاليشامع يعني ايل السامع بينما اليشوع يعني ايل المخلص.

بتشبع امرأة اوريا الحثي التي زنت مع داوود ومن ثم أنجبت منه سليمان جاءت في صموئيل الثاني 3:11 ـ ابنة لالبعام بينما في أخبار الأيام الأول 5:3 جاءت ابنة لعميئيل.

ورد في أخبار الأيام الثاني 3:17:

كان الرب مع يهوشافاط لأنه سار في طريق داوود أبيه ولم يطلب البعليم (الإله بعل) ولكنه طلب إله أبيه وسار في وصاياه لا حسب أعمال إسرائيل (الأثمة).. وتقوى قلبه في طرق الرب ونزع أيضاً المرتفعات والسواري من يهوذا.

أخبار الأيام الثاني 17: 3 ـ 6

إذاً يهوشافاط أزال المرتفعات والسواري التي شيدت من أجل البعل، وكذلك نقرأ عن هذا الملك التقي الذي عرف الله وأباد الأوثان والسواري والمرتفعات وهذا بشهادة النبي ياهو بن حناني حين قال له:

إن الله وجد فيك أموراً صالحة لأنك نزعت السواري من الأرض وهيأت قلبك لطلب الله.

أخبار الأيام الثاني 3:19

ولكن بعد صفحتين من هذا الكلام نقرأ ما يكذب ما سبق وهذا ما جاء في أخبار الأيام الثاني 33:20

إلا أن المرتفعات لم تنزع، بل كان الشعب لم يُعِدَّ بعد قلوبه لإله آبائهم.

فهل يجوز بعد هذا أن نقول إن سفر أخبار الأيام الثاني كتبه شخص واحد؟

يقال إنَّ تكوين، وخروج، وعدد، كَتَبَهم موسى وبوحي من الله مباشرة، انظر وجه الخلاف في أسماء أبناء شمعون:

أيام الأول 24:4	عدد 12:26	خروج 15:6	تك 10:46
بنو شمعون	بنو شمعون	بنو شمعون	بنو شمعون
نموئيل	نموئيل	يموئيل	1 يموئيل
يامين	يامين	يامين	2 يامين
يريب	ياكين	اوهد	3 اوهد
زارح	زارح	ياكين	4 ياكين
شاول	شاول	صوحر	5 صوحر
		شاول ابن الكنعانية	6 شاول ابن الكنعانية

فما رأيكم؟

ورد في أخبار الأيام الأول 6:7 لبنيامين ثلاثة أبناء هم بـالع الأول وبـاكر الثاني ويديعيئيل الثالث، بينما سفر العدد 38:26 أورد لبنيامين خمسة أبناء، مخالفة لما ورد في أخبار الأيام الأول 6:7 وهم بالع الأول واشبيل الثاني واحيرام الثالث وشفوفام الرابع ولحوفام الخامس أما سفر التكوين 21:46 فجاء ليذكر لبنيامين عشرة أبناء مخالفة لما سبق، وهم بالع الأول وباكر الثاني واشبيل الثالث وجيرا الرابع ونعمان الخامس وايحي السادس وروش السابع ومفيم الثامن وحفيم التاسع وارد العاشر.

ـ ورد في سفر العدد 35:26 لأفرام ثلاثة أبناء، هم شاتالح الأول وباكر الثاني وتاحف الثالث بينما أخبار الأيام الأول 20:7 أورد لأفرام تسعة أبناء، شوتالح الأول وبرد الثاني وتحث الثالث والعاد الرابع وتحث الخامس وزاباد السادس وشوتالح السابع وعزرا الثامن والعاد التاسع.

نلاحظ هنا تتكرر أسماء بعض أبنائه شوتالح وتحث والعاد.

ـ اسم مدينة كانت من نصيب شمعون يسميها أخبار الأيام الأول 30:4 بتوئيل بينما يشوع 16:12 يسميها بيت إيل وفي يشوع 4:19 يسميها بتول وفي يشوع 30:15 يسميها كسيل وكذلك صموئيل الأول 27:30 يسميها بيت إيل.

ـ مدينة أخرى من نصيب شمعون يسميها أخبار الأيام الأول 29:4 بلهة بينما يشوع 3:19 يسميها بالة وفي يشوع 29:15 وردت باسم بعلة.

(غلفة قضيب الفلسطيني كمهر زواج لداوود).

ورد في صموئيل الأول 27:18 ـ قام داوود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داوود بغلفهم.

بينما صموئيل الثاني 14:3 يقول: وأرسل داوود رسلاً إلى ايشبوشت بن شاول يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غلفة.

كم هو عدد أبناء يسى أبو داوود؟ سبعة أم ثمانية أم تسعة أم عشرة؟

ـ ورد في صموئيل الأول 12:17 وداود هو ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى وله ثمان من البنين.

أما في أخبار الأول 13:2 ورد بأن يسى له سبعة بنين. ويسى ولد بكره الياب وابيناداب الثاني وشمعي الثالث ونثنئيل الرابع ورادي الخامس وأوصم السادس وداوود السابع وأختاهم صروية وابيجايل.

فأيهما أصح سبعة أم ثمانية أم تسعة.

أنا على ما أرى فإن الروايتين لا تصحان إلا إذا اعتبرنا أن الأنثى تساوي نصف الذكر، وهنا تصح الرواية الأولى أما إذا اعتبرنا أن الأنثى لا تساوي أي شيء أو تساوي صفر على الشمال، فهنا تصح الرواية الثانية، أما الخطأ الذي لا نستطيع أن نكنسه تحت السجادة هنا هو أن في 1صم 9:16 و13:17 ورد أن اسم الابن الثالث هو شمه بينما 2صم 21:21 وأخبار الأول 3:2 ورد باسم شمعي.

يقول شموئيل بيت كليا في روايته: صعود القس صليو إلى السماء

فأنت يا دانيال تقول: بعد أن قرأت الكتابة على الجدار وفسرتها للملك جعلني الثالث في المملكة، ولكن الذي نعرفه أن بلشاصر، ملك بابل آنذاك والذي طلب منك قراءة الكتابة وتفسيرها قتل في نفس الليلة مع من كان في ذلك الاحتفال!! وانتهى حكم الكلدان اعتباراً من تلك الليلة. فيا ترى كم

ساعة دام حكمك كرجل ثالث في المملكة؟ وتقول أيضاً بأن داريوس الميدي (الصحيح الأخميني ـ المترجم) استلم الحكم في بابل (دانيال 5: 29 ـ 31) فلماذا لا تقول بأن قورش ملك الفرس استولى على بابل وجعلها عاصمة له؟ ولماذا لا تقول أيضاً بأن نبوءة إرميا قد تحققت؟:

وأسكر رؤسائها وحكامها وولاتها ومستشاريها وأبطالها، فينامون نوماً عميقاً أبدياً ولا يستفيقون (إرميا 51: 57 ـ 60). فقد قتل بلشاصر ملك بابل مع جميع الرؤساء والأبطال والمستشارين والقادة والولاة.. وهم سكارى بالخمر وناموا نوماً أبدياً..

فأنت يا دانيال ـ حسب ادعائك ـ كنت الرجل الثالث في حكومة بلشاصر، أي أحد كبار المسؤولين في المملكة، ولكن لم تقل لنا لماذا لم تقتل أنت أيضاً مثلما قتل بقية المستشارين والقادة المسؤولين؟ ما هو سر نجاتك من هذه المذبحة ومن القتل الذي أفنى رجال دولة بابل وبقيت أنت الوحيد حياً؟. نعم كيف نجيت لوحدك من بين آلاف القادة المسؤولين الجالسين على مائدة وليمة الملك في غرفة الولائم الكبرى؟ فأنت كنت جالساً بجوار الملك بلشاصر، مرتدياً الأرجوان، ومتقلداً الطوق الذهبي في عنقك؟ كيف لا وأنت حكيم الكلدان؟ رحلة القس صليو إلى السماء ص113 ـ 114

الفهرس